

منهج الاستدلال
على مسائل الأخلاق

عند أهل السنة والجماعة

تأليف
عُثمان بن علي حسن

المجلد الثاني

مكتبة الرشيد
سازموت

ح مكتبة الرشيد، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن حسن، عثمان بن علي

منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. ط ٥.

عثمان بن علي بن حسن. - الرياض، ١٤١٥هـ -

٤٠٨ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧-٢٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٢٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

١- التوحيد ٢- علم الكلام ٣- أهل السنة أ- العنوان

١٤١٥/١١١٣

ديوي ٢٤٠

ردمك: ٧-٢٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤١٥/١١١٣

٥-٢٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الخامسة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الرشيد - ناشرون

المملكة العربية السعودية - الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ - هاتف: ٤٥٩٢٤٥١ - فاكس: ٥٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



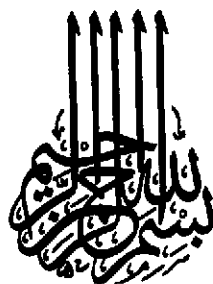
فروع المكتبة داخل المملكة

- ★ الرياض: فرع طريق الملك فهد - غرب وزارة الشؤون البلدية والقروية: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠
- ★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف - مقابل مستشفى علوي التونسي: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٢٥٠٦
- ★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي سفيان - ذر الغف: أري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠
- ★ فرع جدة: مقابيل ميل ميدان الطائف: هاتف: ٦٧٧١٣٣١
- ★ فرع القصيم: بريدة - طريق المدينة: هاتف: ٢٢٤٢٢١٤
- ★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: هاتف: ٢٣٧٣٠٧
- ★ فرع الدمام: شارع ابن خلدون: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦

وكلاؤنا في خارج المملكة

- ★ القاهرة: مكتبة الرشيد - مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥
- ★ بيروت: دار ابن حزم: هاتف: ٧٠١٩٧٤
- ★ المغرب: الدار البيضاء / مكتبة العالم: هاتف: ٣٠٣٦٠٩
- ★ تونس: دار الكتب - باب المشرق: هاتف: ٨٩٠٨٨٩
- ★ اليمن: صنعاء - دار الأثر: هاتف: ٦٠٢٢٥٦
- ★ البحرين: مكتبة الغريب: هاتف: ٩٥٧٨٢٢
- ★ الإمارات: الشارقة - مكتبة الصحابة: هاتف: ٥١٣٣٥٧٥
- ★ سوريا: دمشق - دار الفكر: هاتف: ٢٢١١١٦
- ★ قطر: مكتبة ابن القيم: هاتف: ٤٨٦٢٥٣٣
- ★ الأردن: عمّان - دار الفكر: هاتف: ٤٦٥٤٧٦١

تحذير: حقوق الطبع محفوظة. ولا يجوز تصوير أو نشر أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب، وكل من يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية من جانب الناشر.



1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and the role of the auditor in ensuring the integrity of the financial statements. It emphasizes the need for transparency and accountability in the reporting process.

2. The second part of the document outlines the specific procedures and standards that must be followed during the audit process. This includes the selection of samples, the use of statistical methods, and the documentation of findings.

3. The third part of the document addresses the challenges and risks associated with auditing complex financial systems. It highlights the need for continuous learning and adaptation to new technologies and market conditions.

4. The fourth part of the document provides a detailed analysis of the current state of the audit industry. It examines the impact of globalization, digitalization, and regulatory changes on the role of the auditor.

5. The fifth part of the document offers recommendations for improving the effectiveness and efficiency of the audit process. It suggests the implementation of new technologies, the enhancement of auditor training, and the strengthening of regulatory frameworks.

6. The sixth part of the document concludes with a summary of the key findings and a call to action for the industry to embrace change and innovation.

القاعدة الثامنة

ظواهر النصوص مفهومة لدى المخاطبين

- صورة القاعدة .
- فقه القاعدة .
- كلام الله ورسوله جار على معهود العرب .
- هل في القرآن ألفاظ بغير العربية ؟
- هل في القرآن ما لا يفهم معناه ؟
- اليسر في فهم نصوص الشريعة .
- مذهب المخالفين للقاعدة ، وجوابه .
- أدلة القاعدة .
- فوائد الالتزام بالقاعدة .

القاعدة الثامنة ظواهر النصوص مفهومة لدى المخاطبين

صورة القاعدة

كلام الله وكلام رسوله عربي مبين ، وظاهره غاية في البيان ، وهو مفهوم لدى المخاطبين من أهل اللسان العربي ، ولا سيما ما يتعلق من ذلك بأصول الدين والإيمان ، والتي كثر فيها خوض المتأخرين واختلافهم .

* * *

المبحث الأول : فقه القاعدة

كلام الله وكلام رسوله جار على معهود العرب :

من المعلوم أن القرآن عربي ، وأنزل على رسول عربي ، وخوطبت به - أول الأمر - أمة عربية ، وأن القرآن مقصود به الهداية والإرشاد ، فلزم أن يكون بينا للأمة المخاطبة به ، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتعقله ، ولا يتم ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب ، وعاداتها في الكلام ، وهكذا كان القرآن الكريم .

وقد كانت سنة الله في خلقه أن يرسل كل رسول بلسان قومه حتى يحصل المقصود من الرسالة ، فيكون الرسول مبيناً في كلامه وبلاغه ، ويكون المخاطب قادراً على الفهم ، متمكناً من الإدراك ، وبهذا تقوم الحجة وتنقطع المَعذرة : بالبيان من الرسول والفهم من المرسل إليه ، ولهذا قال موسى - في تعليل سؤاله الله أن يرسل معه أخاه هارون وزيراً - : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص : ٣٤] . فلو أن الله (تعالى) خاطب أمة بغير لسانها ، لما فهمت خطابه لها ، ومن ثم لم تقم الحجة عليها بذلك الخطاب ، وقد قال (تعالى) : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] قال أبو جعفر الطبري (رحمه الله تعالى) : « . . . كان معلوماً أنه غير جائز أن يخاطب الله (جل ذكره) أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب ، ولا يرسل إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه ، لأن المخاطب (المرسل إليه) إن لم يفهم ما خوطب به وأنزل إليه ، فحالته قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة وبعده سواء ، إذا لم يفده الخطاب والرسالة شيئاً كان به قبل ذلك جاهلاً » (١) .

فمعاني كتاب الله (تعالى) موافقة لمعاني كلام العرب ، كما أن ألفاظه موافقة لألفاظها ، ولهذا كان لا يمكن لأحد أن يفهم كلام الله ورسوله إلا من هذه الجهة ،

(١) تفسير الطبري ٧/١ (المقدم) .

جهة كونه عربياً : في ألفاظه وتراكيب تلك الألفاظ ، عربياً في أساليبه ومعانيه ، قال الشاطبي (رحمه الله) : « فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها : أصولاً وفروعاً ، أمران : أحدهما : أن لا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربياً ، أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب ، بالغاً فيه مبالغ العرب ، أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم ، وليس المراد أن يكون حافظاً كحفظهم ، وجامعاً كجمعهم ، وإنما المراد أن يصير فهمه عربياً في الجملة ... »^(١) .

فلا بد في فهم معاني نصوص الكتاب والسنة من مراعاة معهود العرب في خطابها ، فلا يصح العدول عن عرفها في كلامها ، كما لا يصح أن يفهم كلام الله ورسوله على نحو لا تعرفه العرب من لغتها وأسلوبها^(٢) .

وقد ذكر الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى)^(٣) بعض معهود العرب في خطابها ، وأنها تتخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً تريد به العام الظاهر ، ومثاله من القرآن الكريم : قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات : ١٣] فهذا يعم جميع الناس^(٤) .

وتخاطب بالشيء عاماً ظاهراً تريد به العام ويدخله الخصوص ، ومثاله من القرآن الكريم : قوله (تعالى) : ﴿ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء : ٧٥] فكل أهل القرية لم يكن ظالماً ، وإنما كان فيهم المسلم ، لكنهم كانوا مغلوبين على أمرهم^(٥) .

وتخاطب بالشيء عاماً ظاهراً تريد به الخاص ، مثاله : قوله (تعالى) :

(١) الاعتصام ٢٩٧/٢ .

(٢) انظر : الموافقات ٨٢/٢ .

(٣) انظر : الرسالة ص : ٥١ ، ٥٢ ، وتفسير الطبري (المقدمة) ٧/١ .

(٤) انظر : الرسالة ص : ٥٦ ، ٥٧ .

(٥) انظر : الرسالة ص : ٥٤ ، ٥٥ .

﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم : ٦] ودل القرآن على أن وقودها إنما هو بعض الناس ، لا كلهم ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ^(١) .

وتخاطب بالشيء ظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره ، مثاله : قوله (تعالى) : ﴿ وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] والمراد : أهل القرية ، وأهل العير ^(٢) .

وكل هذا موجود العلم به في أول الكلام أو وسطه أو آخره ، ثم قال الشافعي (رحمه الله) - بعد أن ذكر بعض تصرفات العرب في لسانها وفطرتها في الكلام والبيان - قال : « فمن جهل هذا من لسانها ، وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة ، فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه ، ومن تكلف ما جهل وما لم تثبت معرفته : كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة ، والله أعلم ، وكان بخطئه غير معذور » ^(٣) وذلك لأنه أتى البيت من غير بابه ، ورام الوصول إلى الغاية من غير طريقها ، ولهذا قال الحسن (رحمه الله) : « أهلكتهم العجمة ؛ يتأولونه - أي القرآن - على غير تأويله » ^(٤) .

وكل من كان بلغة العرب أعرف ولأساليبها في الخطاب أجمع ، كانت معرفته بمعاني نصوص الكتاب والسنة أشد ، وفهمه لدلولاتها أرسخ ، كما أن من كان في زمن موسى (عليه الصلاة والسلام) أعظم معرفة بالسحر ،

(١) انظر : الرسالة ص : ٦٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ٨٤ .

(٣) الرسالة ص : ٥٣ ، وكونه غير معذور ، إشارة إلى قوله (ﷺ) : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » رواه الترمذي في سننه ١٤٧/٨ كتاب التفسير - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه - حديث رقم : ٢٩٥٣ . قال أبو عيسى : « هذا حديث غريب ، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل ابن أبي حمز - أحد رواة - » وانظر : سنن أبي داود ٦٣/٤ ، ٦٤ كتاب العلم - باب الكلام في كتاب الله بغير علم - حديث رقم : ٣٦٥٢ .

(٤) رواه عنه البخاري في « كتاب » التاريخ الكبير ٩٣/٥ برقم : ٢٥٩ - دار الكتب العلمية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

كان علمه ومعرفته بإعجاز العصا أوفر ، وكذا من كان في زمن عيسى (عليه الصلاة والسلام) أحذق في الطب كانت معرفته بإعجاز إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص أكد^(١) .

وما زال السلف ومن كان على هديهم يستدلون على معاني الكتاب والسنة بكلام العرب من شعر وغيره ، وإذا أشكل عليهم فهم لفظة أو تركيب رجعوا إلى كلام العرب وأسلوبها في الكلام :

قال أبو الحسن الأشعري (رحمه الله تعالى) - وذلك في معرض حديثه في إثبات صفة اليمين لله (تعالى) واستدلالة على ذلك بالكتاب والسنة - فقال : « وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله (عز وجل) إنما خاطب العرب بلغتها ، وما يجري مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل : فعلت بيدي ، ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله (عز وجل) : ﴿ يَبْدِي ﴾ النِّعْمَةُ ... »^(٢) .

وهذا الموضع قد زلت فيه أقدام كثير من الناس حيث تأولوا كثيراً من النصوص في أبواب الصفات والمعاد وغيرها ، بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة^(٣) .

والمقصود هنا بيان أن نصوص القرآن والسنة عربية في ألفاظها وأساليبها ، ولا يفهمها إلا من كان عربياً في لسانه وفهمه ، وكلما كان علمه بلسان العرب وأساليبها في الكلام أعمق كان فهمه للكتاب والسنة أرسخ .

(١) انظر : نهاية الإقدام ص : ٤٥٨ .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص : ٥٤ بتقديم الشيخ صالح الفوزان - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) انظر : مختصر الصواعق ١/ ١٥ .

هل في القرآن ألفاظ بغير العربية ؟

ذكر أبو عبيدة القاسم بن سلام اختلاف الناس في هذه المسألة^(١) :
 وقرر صاحب الإتيان أن المنع هو قول الأكثر ، ومنهم الشافعي وابن جرير
 وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر بن العربي وابن فارس^(٢) ، وذلك لدلالة القرآن
 عليه في أكثر من موضع ، كما قال الشافعي (رحمه الله) : « القرآن يدل على
 أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب »^(٣) ، ولأنه لو كان فيه من
 غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله
 لأجل أنه أتى بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه^(٤) .

وبعد أن حكى أبو عبيد القاسم بن سلام الاختلاف قال : « والصواب
 عندي من ذلك - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن
 هذه الحروف - مثل طه وقسورة والإستبراق ونحوها - أصولها أعجمية كما قال
 الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بالستتها وحولتها عن ألفاظ
 العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه
 الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية
 فهو صادق »^(٥) أي أعجمية من حيث الأصل ، وعربية من حيث
 الاستعمال ، وهذا ما أشار إليه الشاطبي في الموافقات^(٦) حيث ذكر أن الألفاظ
 الأعجمية التي وردت في القرآن مستعربة باستعمال العرب لها وجريان خطابهم
 بها ، فصارت من كلامهم ، ولهذا تجدهم لا يدعون اللفظ الأعجمي على
 وضعه الأول - إلا إذا كانت حروفه في المخارج والصفات على نحو حروف
 العرب وهذا يقل وجوده - حتى يردوه إلى حروف العرب وأوزانها .

(١) انظر : الصاحبي لابن فارس ص : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) انظر : الإتيان للسيوطي ١/ ١٣٦ ، ١٣٧ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ .

(٣) الرسالة ص : ٤٢ .

(٤) الصاحبي ص : ٦٢ .

(٥) الصاحبي ص : ٦٠ ، ٦١ .

(٦) ٦٥/٢ .

فالعرب كانت لهم محالطات لسائر الأمم ، وذلك في أسفارهم وتجاراتهم ، فعلمت بلغة العرب بعض الألفاظ الأعجمية ، فغيرتها العرب بالنقص أو الزيادة حتى استقامت على الوزن العربي ، واستعملتها في نثرها وشعرها حتى جرت مجرى الكلام العربي الفصيح ، ووقع بها البيان ، فهي عربية من حيث الاستعمال لا من حيث النشأة ، وعلى هذا الحد نزل القرآن وتحدى الله (تعالى) العرب به^(١) .

قال أبو عبيدة : « نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول وقد يوافق اللفظ اللفظ ، ويقاربه ، ومعناها واحد ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها »^(٢) . وقال ابن فارس : « وقول سائر أهل اللغة إنه دخل في كلام العرب ما ليس من لغاتهم ، فعلى هذا التأويل الذي تأوله أبو عبيدة »^(٣) وعلى ما تقدم يحمل كلام ابن عباس وعكرمة وغيرهما أن في القرآن كلمات بغير العربية^(٤) .

فائدة : قال الشافعي (رحمه الله) : « فإن قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محض بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة فيه كتاب الله ، قال الله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم : ٤] فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد كانوا يُرسلون إلى قومهم خاصة ، وإن محمداً بعث إلى الناس كافة ، فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فهل من دليل أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟

الجواب : فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض : فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع ، وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ، ولا

(١) انظر : الالتقان ١٣٧/١ ، وروضة الناظر مع شرحها ١٨٤/١ ، ١٨٥ .

(٢) مجاز القرآن ١٧/١ . (٣) الصاحبي ص : ٦٠ .

(٤) انظر : المسودة ص : ١٧٤ ، وتفسير الطبري ٨/١ - ١١ (المقدمة) .

يجوز- والله أعلم- أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه»^(١) .

ولا يشكل على هذا الكلام ما تقدم من أن في لغة العرب بعض الألفاظ الأعجمية ، فقد تقدم- أيضاً- أنها وإن كانت أعجمية الأصل فقد استعربت باستعمال العرب لها ، ونزول القرآن بها موافق للاستعمال العربي . هل في القرآن ما لا يفهم معناه ؟

قال مجد الدين بن تيمية^(٢) : « يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يفهم معناه عندنا ، وكذلك قال ابن برهان : يجوز عندنا ، وقال قوم : لا يجوز ذلك ، ثم بحث أصحابنا يقتضي أنه يفهم على سبيل الجملة ، لا على سبيل التفصيل ، ووافقنا أبو الطيب الطبري ، وحكاه عن أبي بكر الصيرفي ، وكلهم تمسك بالآية»^(٣) .

قال الجويني : « والمختار عندنا : أن كل ما يثبت التكليف في العلم به فيستحيل استمرار الإجمال فيه . . . وما لا يتعلق بأحكام التكليف فلا يبعد استمرار الإجمال فيه . . . »^(٤) .

ويجب التفريق بين ما لا معنى له أصلاً ، وبين ما لا يفهم له معنى ، أما الأول فلا يتصور أن مسلماً يقول به ، إذا أنه عبث يتنزه الباريء (تعالى) عنه ، وهو أيضاً ينافي وصف القرآن بالهدى والبيان ، ولهذا قال القرافي : « والظاهر أن خلافهم فيما له معنى ولا نفهمه ، أما ما لا معنى له أصلاً ، فمنعه محل وفاق»^(٥) .

(١) الرسالة : ص : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) المسودة : ١٦٤ .

(٣) وهي قوله (تعالى) : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيبتغون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله . . . ﴾ [آل عمران : ٧] .

(٤) البرهان ١/٤٢٥ .

(٥) شرح الكوكب المنير ١٤٣/٢ بتحقيق : د/محمد الزحيلي ونزيه حماد- دار الفكر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . دمشق .

وأما ما لا يفهم معناه ، فهو يحتمل أن يكون ما لا يفهم أحد معناه وهذا لا يجوز إلا على مذهب المفوضة أهل التجهيل القائلين : إن نصوص الصفات والمعاد لا يعلم أحد معناها : ومنهم من يغالي فيمنع ذلك من الرسول (ﷺ) وجبريل (عليه السلام) . وهذه القاعدة مسوقة لإبطال مذهبهم هذا ، وسيأتي بيانه وإيراد ما يتعلقون به وجوابه إن شاء الله (تعالى) .

ويحتمل أن يكون مما يغيب فهمه عن بعض الناس ، وهذا لا يضر ، بل هو مما فطر الله الناس عليه ؛ أن يعزب عن فهم بعض الناس ما يدركه غيرهم .

اليسر في فهم نصوص الشريعة :

من المعلوم - ضرورة - تفاوت الناس في الفهم والإدراك لكثير من المسائل ، فمن مدرك أمراً بعيداً وشأننا غامضاً ، يخفي على غيره من الناس ، والحكيم من أهل البيان من يلقي على الأسماع أموراً - يريد أن تفهم عنه - بحيث يحظى كل أحد منها بنصيب يبلغ به المقصود ، ويحقق المطلوب ، ولا تفوت معه حظوة أهل الكمال في العلم ، والرسوخ في الفهم .

وعلى هذا ، فقد كانت معاني نصوص الكتاب والسنة مشتركة لجميع العرب المخاطبين بها ، بل نزل القرآن على سبعة أحرف مبالغة في التوسعة عليهم^(١) ، حتى كانت جميع العرب تفهمه وتدرك مقاصده ، ولا سيما ما يحتاج إليه الناس في أمر الإيمان بالله ورسالاته ، من معرفة معبودهم ومربوبهم ، وكيفية عبادته وطاعته .

قال أبو عبيدة : « ... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحي الله (تعالى) إلى النبي (ﷺ) أن يسألوا عن معانيه ، لأنهم كانوا عرب الألسن ، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص ، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب والمعاني »^(٢) .

(٢) مجاز القرآن ٨/١ (بتصرف) .

(١) انظر : الموافقات ٨٥/٢ .

وهذا الكلام من أبي عبيدة إنما يصح في الجملة ، ولا يمنع أن تخفي معاني بعض الأحرف على أهل الصنعة ، كما قال الشافعي (رحمه الله) : « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى يكون موجوداً فيها من يعرفه »^(١) .

فألفاظ التنزيل ومعانيه لا يشترط أن تكون جميعها معلومة عند كل أحد من أهل اللسان والخطاب ، بل قد يخفي على بعضهم بعضها ، على ما تقدم من تفاضلهم في العلم والفهم ، لكن لا يخرج علم الشريعة عنهم حتى يكون موجوداً في عامتهم العلم به^(٢) .

وما قصرت عنه فهم أهل اللسان والخطاب من ألفاظ الكتاب والسنة ومعانيها فهو على ضريين :

الأول : أن لا يتوقف فهم السياق ومعرفة المقصود عليه ، فهذا لا يضر الجهل به ، إذ العبرة بالمعنى التركيبي لا الإفرادي ، ومعنى السياق وفهم المقصود منه هو الغاية التي تتطلع إليها النفوس ، وإنما أصلحت الألفاظ لأجل ذلك . ولهذا أعرض عمر (رضي الله عنه) عن البحث في معرفة الأب في قوله (تعالى) : ﴿ وَفَكَهَتْ وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١]^(٣) وجعل ذلك من التكلف ، لما كان المعنى العام معروفاً ، وأن الأب نوع من النبات ، كل هذا مفهوه بمقتضى السياق ، ودلالة الكلام العربي ، أما حقيقة الأب فهي مجهولة لديه ، لكن لا يتوقف فهم المعنى الإجمالي على معرفة حقيقة هذه المفردة ، فأعرض (رضي الله عنه) عنها ، قال ابن كثير (رحمه الله)^(٤) : « وهو محمول على أنه - أي عمر بن الخطاب - أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ،

(١) الرسالة ص : ٤٢ .

(٢) انظر الرسالة ص : ٤٢ ، ٤٣ . والصاحبي لابن فارس ص : ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) روى هذا الأثر ابن جرير في تفسيره ٥٩/٣٠ ، وصحح اسناده ابن كثير في تفسيره ٣٤٨/٨ (طبعة الشعب) .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٤٨/٨ (طبعة الشعب) .

وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَيْكِهًا وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٢٧ - ٣١] .

الثاني : أن يتوقف فهم السياق وإدراك المقصود عليه ، فهذا البحث فيه لا بد منه كما في قوله (تعالى) : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل : ٤٧] قال سعيد بن المسيب (رحمه الله) : « بينا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على المنبر قال : يا أيها الناس ، ما تقولون في قول الله (عز وجل) : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل : هي لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف : التنقص . فخرج رجل فقال : يا فلان ، ما فعل دينك ؟ قال : تخوفته ، أي تنقصته ، فرجع فأخبر عمر . فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟ قال نعم ، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقه تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه :

« تخوف الرجل منها تامكا قرداً كما تخوف عود النبعة السفن »^(١)

فقال عمر : يا أيها الناس ، عليكم بديوان شعركم في الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم »^(٢) .

والمقصود هنا بيان أن الشريعة قريبة الإدراك ، سهلة الفهم ، وذلك يعم مسائلها الاعتقادية والعملية ، ولا ينكر تفاضل المدارك في الجملة ، وإنما النظر في القدر المكلف به ، قال شارح الطحاوية : « ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية ... »^(٣) .

(١) هذا البيت في كتاب شرح أشعار الهذليين ١٣٣٦/٣ ، وفيه : « السير » بدل « الرجل » .
والتامك : المرتفع من السنام ، والقرد : التلبذ بعضه على بعض ، والسفن : ما ينحت به الشيء . انظر :
الصاحح ١٥٧٨/٤ مادة (تمك) ، ٢١٣٥/٥ ، ٢١٣٦ مادة (سفن) .

(٢) تفسير القرطبي ١١٠/١٠ ، ١١١ ، والمواقفات ٨٧/٢ ، ٨٨ ، وانظر : تفسير الطبري

١١٣/١٤ .

(٣) شرح الطحاوية ص ٤ .

فلو كان القرآن أو السنة بألفاظ لا يفهما المخاطب إلا بعد تكلف عناء وركوب دهياء ، لم يكن ميسراً للذكر ، مبذولاً للفهم ، بل كان معسراً يعز طلبه ونيله ؛ وهذا ينافي الغاية التي وضعت لأجلها الشريعة ، من الهداية والإرشاد ، وإخراج الناس من الظلمات .

* * *

المبحث الثاني : مذهب المخالفين للقاعدة وجوابه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكاية مذهب المخالفين^(١) :

وهم القائلون في نصوص الصفات والتوحيد والقدر ونصوص المعاد إنها ألفاظ لا نعقل معانيها ، ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ، لكن نقرأها ألفاظاً لا معاني لها ، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله وهي عندنا بمنزلة : « كهيعص » و« حمعسق » و« المص » ، وغيرها من الحروف المقطعة ، فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيها معنى من المعاني ، وننكر على من تأولها ، بل نكل العلم بها إلى الله (تعالى) .

وقد يستدلون على مذهبهم هذا - وهو جواز أن ينزل الله (تعالى) كلاماً يستأثر بمعناه دون خلقه - بنحو ما تقدم من الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل بعض سور القرآن الكريم ويمثل قوله (تعالى) : ﴿ كَأَنَّهُ رُئُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] قالوا : هذا تشبيه بما لا يعقل المخاطب له معنى ، حيث لم يشاهد الشياطين ولا رؤوسها .

وهؤلاء بنوا مذهبهم هذا على أصلين :

الأول : أن هذه النصوص - نصوص الصفات والمعاد وغيرها - من المتشابهة .

الثاني : أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله (تعالى) .

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٨١/١ ، ٨٢ ، ومجموع فتاوي ابن تيمية ٤٤٢/١٦ ،

٣٥٨/١٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل ١٥/١ ، ١٦ .

المطلب الثاني : الجواب على مذهب المخالفين :

والجواب عليهم من وجوه :

الوجه الأول : أما الحروف المقطعة فقد وقع الخلاف فيها ، ومداره على مذهبين ^(١) :

الأول : أنها مما استأثر الله بعلمه ، حكاه القرطبي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنهم) وهو مذهب الشعبي والثوري واختيار ابن حبان (رحمهم الله) .

الثاني : أنها مما يعلم معناه ، واختلف أصحاب هذا المذهب في تفسيرها على أقوال : أهمها :

أ - أنها أسماء للسور ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال الزمخشري في كشفه ^(٢) : « عليه إطباق الأكثر » وهو مذهب سيبويه ، ويعتضد بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال : « كان النبي (ﷺ) يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر لم تنزل السجدة وهل أتى على الإنسان » ^(٣) .

ب - أنها فواتح افتتح الله (تعالى) به كتابه ، قاله مجاهد .

ج - أنها حروف من حروف المعجم استغني بذكر بعضها في أوائل السور عن ذكر بواقيها ، وقد ذكر النصف منها ، وهو أربعة عشر حرفاً ، قاله بعض أهل العربية .

(١) انظر : عمدة التفسير لابن كثير ٩٢/١ ، ٩٣ ، وتفسير الطبري ٨٦/١ وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٤/١ وما بعدها .

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جابر الله محمود ابن عمر الزمخشري ٨٣/١ (ومعه حاشية الشريف الجرجاني ، وكتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال للأسكندر) مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - مصر .

(٣) صحيح البخاري ٣٧٧/١ فتح الباري ، كتاب الجمعة - باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة - حديث رقم : ٨٩١ ، وصحيح مسلم ٥٩٩/٢ كتاب الجمعة - باب ما يقرأ في يوم الجمعة - حديث رقم : ٨٨٠ .

وقد تكلم بعض العلماء في الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ؛ على مذاهب ^(١) :

الأول : أنه ابتدأ الله بها لتفتح أسماع المشركين - إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن - حتى إذا أصغوا أسماعهم تلي عليهم المؤلف منه ، ويضعف هذا المذهب عدم وجودها في كل السور ، كما أن « البقرة » و « آل عمران » مدنيتان وليستا خطابا للمشركين ، ويلزم أصحاب هذا التعليل أن تكون هذه الحروف موجودة في الكلام العادي وهذا لم ينقل .

الثاني : أنه إظهار لعجز الخلق عن معارضة القرآن بمثله ؛ فإنه وإن كان من جنس حروفهم التي يتخاطبون بها لكنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله ، حكى عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب ، وقال ابن كثير : « وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية ، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزني ، وحكاه لي عن ابن تيمية » ^(٢) وهو اختيار ابن كثير كما يبدو لي .

الثالث : قول من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأوقات الحوادث والفتن . والملاحم ، وعلى أسرار وطلاسم ، وهذا قول على الله بلا علم ، وهو من جنس افتراءات الملاحدة الباطنية ، وليس فيه عن السلف أثر صحيح ^(٣) .

وهذه الحروف قد تكلم العلماء في معانيها ، واحتجوا على ذلك بنزول القرآن على معهود العرب ، وأنه نور مبين ، وسراج منير ، حتى قال الطبري : « وأني يكون مبينا ما لا يعقله ولا يفقهه أحد من العالمين » ^(٤) . ولم ينقل عن أحد من المخاطبين في عصر التنزيل ، سواء من المسلمين أو من المشركين - وقد كانوا أحرص الناس على الطعن في القرآن - أنه سأل عن معنى هذه الحروف ، مما يدل على أنها جارية على معهودهم في الخطاب ، وأن معانيها مفهومة لديهم .

(١) انظر : عمدة التفسير للحافظ ابن كثير ٩٣/١ ، ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ٩٤/١ .

(٣) انظر : الموافقات ٨١/٢ .

(٤) تفسير الطبري ٩٥/١ .

وأما على مذهب من يقول : إنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، فهي حروف يسيرة لا تخرج القرآن عن كونه مبيناً ونوراً وهادياً ، وأنه مفهوم لدى المخاطبين به ، ثم إنه لا يتعلق بها تكليف - سوى الإيمان بها - ولا يتوقف على العلم بمعانيها فهم شيء من القرآن مما قصد به التكليف ، لا في باب الأخبار ولا في باب الأحكام ^(١) .

الوجه الثاني : أما قوله (تعالى) : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات : ٦٥] ونحوه من الأمثال المضروبة ، فهو مثل في الاستقباح جرى على عادة العرب في ضرب الأمثال بما يتخللونه قبيحا ، قال ابن قاضي الجبل : « ورؤوس الشياطين استقر قبحها في الأنفس ، فشبها بها ، كقول امرئ القيس ^(٢) :

أَيَقْتَلَنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ
فَشَبَّهَا بِأَنْيَابِ الْأَعْوَالِ ، لَقَبَحَهَا الْمُسْتَقَرَّ ، وَأَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا حَقِيقَةُ » ^(٣) .

الوجه الثالث : وفيه بيان امتناع المقدمتين اللتين بنوا عليهما مذهبهما :

أما المقدمة الأولى : وهي أن نصوص الصفات والمعاد من المتشابه ، فباطلة من وجوه :

الأول : لا ريب أن الآيات المحكمات أكثر من المتشابهات ، ويدل على ذلك ، النقل والعقل :

أما النقل : فنفس آية آل عمران حيث يقول الله (تعالى) : ﴿ مِنْهُ عَائِشَتٌ مُحَكَّمَتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُنْحَرُ مُتَشَبِّهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] فسمى المحكمات أم الكتاب ، أي أصله ، فالتشابهات دونها .

(١) راجع : القاعدة التاسعة من هذا الباب ، ص : ٤٨١ وما بعدها .

(٢) ديوان امرئ القيس ص : ١٤٢ من قصيدة مطلعها :

« أَلْأَعْمُ صَبَاحاً أَبْيَا الطَّلَلِ الْبَالِي وَهَلْ يَعْصَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي »

دار صادر - بيروت (بلون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) انظر : شرح الكوكب المنير ١٤٤/٢ ، ١٤٥ ، والمحصل للرازي ٥٤٣/١/١ ، ٥٤٤ .

وأما العقل : فيقال : كيف يجعل الله (تعالى) كتابا أرادته هاديا ومرشدا للناس ، ومخرجا لهم من الظلمات إلى النور ، ثم يكون أكثره متشابهة لا يعقل - على زعمهم - معناه ^(١) .

الثاني : من المعلوم أن نصوص الصفات والمعاد أكثر ما ذكر في القرآن ، فهي متعددة الذكر ، ومتنوعة الأسلوب ، لا تكاد سورة من سور القرآن تخلو من شيء منها فجعل كل هذا من المتشابه الذي لا يعلم أحد معناه مكابرة .

الثالث : أن هذا المذهب خلاف ما عليه الأئمة وسلف الأمة ، قال ابن تيمية (رحمه الله) : « ... فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابهة الداخل في هذه الآية ، ونفى أن يعلم أحد معناه ، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ، ولا قالوا : إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه ... » ^(٢) .

وأما المقدمة الثانية : وهي أن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ؛ فباطلة كذلك من وجهين :

الأول : - أنه يجب أن نفرق بين قولنا : المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، وبين قولنا : المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ، أما الأول فصحيح ، فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، والمراد بالتأويل هنا هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر كما هو استعمال القرآن الكريم . أما الثاني : فباطل وسيأتي بيان ذلك ، وهؤلاء المخالفون يطلقون العبارة الأولى ويريدون بها المعنى الثاني ، ويزعمون أن آية آل عمران تدل عليه ، وهذا من تلبيسهم على الناس في المراد بالتأويل ، فالتأويل يطلق ويراد به أحد معان ثلاثة ^(٣) :

(١) انظر : الموافقات ٨٦/٣ ، ٨٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٤/١٣ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٥/٣ ، ٥٦ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٣٢٩/١ - المطابع الأهلية للأوقاف سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . الرياض (بدون رقم الطبعة) . وسيأتي مزيد بيان هذه المسألة في الفصل الأول من الباب الثالث ص : ٥٣٧ وما بعدها .

الأول : الحقيقة التي يؤول إليها الأمر ، كما هو استعمال القرآن الكريم فتأويل الخبر هو حدوث المخبر به ، وتأويل الأمر هو حدوث المأمور به .

مثال الأول : قوله (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَبُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٥٢ ، ٥٣] فأخبر (تعالى) أنه فصل الكتاب ، وتفصيله بيانه وتمييزه ؛ بحيث لا يشتبه على أحد ، ثم قال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي ينتظرون ﴿ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ... ﴾ وأما ذلك مجيء ما أخبر الله بوقوعه من القيامة وأشراتها ، وما في البعث والنشور والحساب والموازن والصراط ، وما في الجنة والنار من أنواع النعيم والعذاب وغير ذلك ، ووقوع ذلك وحدوثه يوم القيامة هو تأويل ما أخبر الله به في الدنيا ، وهذا القدر لا يعلم وقته وصفته التي هو عليها إلا الله (تعالى) (١) .

ومثال الثاني : قول بعض السلف : السنة هي تأويل الأمر (٢) ، وقول عائشة (رضي الله عنها) : « كان النبي (ﷺ) يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن » (٣) . قال الحافظ ابن حجر « أي يفعل ما أمر به فيه » (٤) ، وهو قوله (تعالى) : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ٣] .

الثاني : من معاني التأويل : التأويل بمعنى التفسير والبيان وهو اصطلاح السلف من أهل التفسير والحديث والفقه .

الثالث : التأويل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر لدليل يقترن به وهو اصطلاح المتأخرين ، وسيأتي الكلام عليه في موضعه . إن شاء الله (٥) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٧/١٣ ، ٢٧٨ ، وتفسير ابن كثير ٤٢١/٣ (طبعة الشعب) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٧/١٣ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢٩٩/٢ « فتح الباري » كتاب الأذان - باب التسييح والدعاء

في السجود - حديث رقم : ٨١٧ .

(٤) فتح الباري ٢٩٩/٢ .

(٥) وهو الفصل الأول من الباب الثالث ص : ٥٤٣ وما بعدها .

وعليه ، فالتأويل في آية آل عمران يكون بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الأمر إذا كان مما يختص الله بعلمه ؛ ولذا كانت قراءة الجمهور الوقف عند لفظ الجلالة ، ومن ترك الوقف من العلماء كان التأويل عنده بمعنى التفسير والبيان ، وعليه ، يكون العلماء الراسخون في العلم يعلمون التأويل الذي بمعنى التفسير والبيان ^(١) .

الثاني :- (من وجوه إبطال المقدمة الثانية) :

قد اختلف الناس في المراد بالمتشابه ، وعلى كل تقدير لم يقل أحد منهم إن المتشابه لا يعلم أحد معناه ، وها أنا أذكر أشهر ما قيل في معناه ^(٢) :

- ١ - المتشابه هو المنسوخ وهو مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم ، والمنسوخ يعلم معناه .
- ٢ - المتشابه ما لم يكن للعلم به سبيل ، كقيام الساعة ، وهو مأثور عن جابر ، وهذا حق ، لكن الخطاب بالساعة وأشراتها معلوم المعنى ، وإن كنا نجهل وقتها ، وليس في القرآن آية تدل على وقتها ولا يعلم أحد معناها .
- ٣ - المتشابه هو الحروف المقطعة ، وقد تقدم الكلام فيها .
- ٤ - المتشابه ما احتاج إلى بيان ، وهو منقول عن الإمام أحمد ، وهذا معلوم المعنى وإن لم يكن مقطوعاً به .
- ٥ - المتشابه ما احتمل وجوهاً من المعاني ، وهو منقول عن الشافعي ، وهو من جنس الأول .
- ٦ - المتشابه هو القصص والأمثال وهي معلومة معانيها .
- ٧ - المتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به ، وهذا مما يعلم معناه أيضاً .

الوجه الرابع (من وجوه الرد على المخالفين) :

سائر القرآن خير عن الله وأسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر والجنة والنار والقصص ، وبيان عاقبة أهل الإيمان وعاقبة أهل الكفر ، فإن كان هذا كله

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/٤٢٠ - ٤٢٣ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٤٤ ، ٣٤٥ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) ، ومناهل العرفان ٢/٢٧٢ وما بعدها .

من المتشابه - وهو عندهم لا يعلم أحد معناه - فسائر القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة ، ومعلوم أن هذا مكابرة ظاهرة ^(١) .

الوجه الخامس : من المحال أن ينزل الله (تعالى) كتابا أو يتكلم رسوله (ﷺ) بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ، ثم يبقى في أعظم الأمور وأشدّها ضرورة مجهول المعنى ، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء ، فإن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله (تعالى) وقد قال (تعالى) : ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ عَآيَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [مود : ١] ^(٢) .

الوجه السادس : ثبت أن الصحابة ومن بعدهم تكلموا في غالب آي القرآن الكريم ، كما قال مجاهد : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية أسأله عنها » ^(٣) فلو كانت نصوص الصفات والمعاد والوعد والوعيد وغيرها من نصوص العقائد الإيمانية - وهي أكثر القرآن - لا يفهم أحد معناها فقد نسب هؤلاء الأفاضل من الصحابة والعلماء إلى الافتراء والتقول على الله (تعالى) ، وقد قال النبي (ﷺ) : « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » ^(٤) وقال : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ^(٥) والظن بهؤلاء أنهم كانوا أعظم الناس توقيرا للنصوص ، وأشدّهم حرصا على موافقة مراد الله ورسوله .

الوجه السابع : يلزم من هذا المذهب لوازم باطلة ، وإذا كان الملزوم باطلا فاللازم مثله ، من هذه اللوازم :

أولا : أن الصحابة والسلف لم يفهموا هذه النصوص ، بل هم جاهلون في أعظم مسائل الدين ، ومنهم من ألزم نفسه تجهيل الرسول (ﷺ) وجبريل الذي نزل بالوحي ^(٦) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٢/١٧ ، ٤٠٣ .

(٢) انظر : القواعد المثل للعنمين ص : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) تفسير الطبري ٤٠/١ (المقدمة) وسيأتي أمثلة من ذلك في أدلة القاعدة . إن شاء الله .

(٤) تقدم تخريجه ص : ٤٤٠ .

(٥) تقدم تخريجه ص : ٩٢ .

(٦) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٥/١ ، ١٦ .

ثانيا : أن يكون عمدة الدين وزيدة الرسالة المحمدية ، والتي بها حياة النفوس والقلوب لا يعلمه أحد من البشر لا الصحابة ولا الرسول ولا جبريل ، فيظل مجهولا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ثالثا : أن يكون حال الناس في هذا الباب قبل مجيء الرسالة وبعدها سواء ، بل ربما ازدادوا حيرة واضطرابا بعد مجيء الرسالة .

رابعا : أن يكون من تكلم في هذا الباب من الصحابة والسلف قد افترى على الله الكذب وتمنى على الله الأماني .

خامسا : وصف الله (تعالى) بالعبث حيث أنزل كلاما يريد به هداية الخلق ولا أحد منهم يستطيع فهمه ، بل هذا عين التكليف بما لا يطاق وهو جائز عند هؤلاء المجبرة القائلين بجواز أن يتعبدنا الله بما لا نفهم معناه ، ابتغاء الأجر والثواب على التلاوة ^(١) .

سادسا : قال (تعالى) - في بعض أهل الكتاب - ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] فأثبت الله (تعالى) لهم الفهم لكتابه المنزل عليهم ، ولأن التحريف لا يكون إلا بعد العقل والفهم ، فيكون اليهود المحرفون لكلام الله أفضل من سادات الأمم من الصحابة وخيار الأمة .

المبحث الثالث : أدلة القاعدة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « إنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاما لا معنى له ، ولا يجوز أن يكون الرسول (ﷺ) وجميع الأمة لا يعلمون معناه ، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين ، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ...

(١) انظر : أساس التقديس ص : ٢١٦ .

فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره ، وهذا مما يجب القطع به ^(١) .

فأدلة هذه القاعدة من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ، ومن المعقول والفطرة .

أولا : دلالة القرآن الكريم على القاعدة :

والقرآن الكريم يدل على هذه القاعدة من وجوه ، أذكر طرفا منها :

الوجه الأول : وصف كلام الله وكلام رسوله بكونه عربيا ، أي يفهمه العرب ومن في حكمهم ممن تعلم لسانهم : قال (تعالى) : ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٤ ، ١٩٥] .

الوجه الثاني : وصف القرآن بالبيان والهدى والنور ، مما يدل على أنه بين في ألفاظه ، واضح في معانيه ؛ لا يحتاج في إدراكها إلى تكلف أو عناء ، ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد : قال (تعالى) : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى ... ﴾ [النحل : ٨٩] وقال (تعالى) : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] وقال (تعالى) : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب : ٤] وقال (تعالى) : ﴿ وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] فالحق هو المعنى والمبدلول الذي تضمنه الكتاب ، والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق ، فهي تفسيره وبيانه ، والتفسير أصله من البيان والظهور فلا بد أن يكون التفسير مطابقا للمفسر ، مفهما له ، ولا نجد كلاما أحسن تفسيراً ولا أتم بيانا من كلام الله (سبحانه وتعالى) ^(٢) .

الوجه الثالث : تيسير الله (تعالى) القرآن للذكر والحفظ والفهم : قال (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ١٧]

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٠/١٧ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق ٥٩/١ .

قال ابن القيم (رحمه الله) : « ومعلوم أنه لو كان بالفاظ لا يفهمها المخاطب لم يكن ميسرا له ، بل كان معسرا عليه » (١) .

الوجه الرابع : أن الله (تعالى) حض عباده على تدبر القرآن وتعقله واتباعه والتذكر فيه :

قال (تعالى) : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [صر : ٢٩] وقال (تعالى) : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [عمد : ٢٤] وقال (تعالى) : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] قال ابن تيمية (رحمه الله) : « ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله ، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر » (٢) .

وقال (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر : ٢٧] قال ابن جرير الطبري (٣) : « ... أمر الله عباده وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن ، والاتعاظ بمواعظه ؛ ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات ، لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان ، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه ثم يتدبره ويعتبر به ... » .

الوجه الخامس : ذم الله (تعالى) الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفقهونه : قال (تعالى) : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا » وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ... ﴾

[الإسراء : ٤٥ ، ٤٦]

(١) مختصر الصواعق المرسلة ٥٩/١ .

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٠٧/١٣ .

(٣) تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

وقال (تعالى) : ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨] فلو كان المؤمنون لا يفقهونه - أيضا - لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله (تعالى) به من عدم الفقه (١) .

الوجه السادس : ذم الله (تعالى) من كذب بالقرآن ولم يفهمه بعد ، قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] فمن كذب بما لا يعلم معناه إلا الله كان أقرب إلى العذر ممن كذب بما يعلمه الناس (٢) .

فالإحاطة بالقرآن علما - وهو تفسير ألفاظه ، ومعرفة معانيه ، وفهمها - ممكنة ؛ ولهذا فرق (تعالى) بين الإحاطة بعلمه وبين إتيانه ، إذ العلم معرفة الخبر ، وهو ممكن لمن عرف لغة التخاطب ، والتأويل هو نفس وقوع الخبر به (٣) .

ثانيا : دلالة السنة النبوية على القاعدة :

وذلك من وجوه ، أذكر طرفا منها :

الأول : عن أبي بن كعب قال : « لقي رسول الله (ﷺ) جبريل فقال : يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط ، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » (٤) .

فهذا دليل على أن معاني القرآن مبذولة لكل أحد ممن نزل القرآن بلسانهم ، فقد نزل على سبعة أحرف يقرءونه على اختلاف قبائلهم تيسيرا لهم .

الثاني : وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت »

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٨/٥ ، ٢٨٤/١٣ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٥/١٧ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٣/١٣ .

(٤) رواه الترمذي في سننه ١٤١/٨ كتاب القراءات - باب ما جاء إن القرآن أنزل على سبعة أحرف -

حديث رقم : ٢٩٤٥ . قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح قد روي عن أبي بن كعب من غير وجه » .

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » ^(١) .

ففي الحديث ذكر التلاوة التي هي مذاكرة الألفاظ ، والمداينة التي هي مذاكرة المعاني ، ولا تصح المداينة إلا بالفهم لمعاني التنزيل .

الثالث : وعن عبد الله بن عمرو أن النبي (ﷺ) قال : « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » ^(٢) أي ثلاث ليال ، وكيف يصح الفقه ممن هو جاهل بمعاني النصوص وما دلت عليه .

الرابع : وقال زيد بن ثابت (رضي الله عنه) : « سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه » ^(٣) وفي رواية عن عبد الله ابن مسعود قال : « نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع ؛ فرب مبلغ أوعى من سامع » ^(٤) وله في رواية أخرى : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » ^(٥) ففي هذه النصوص ذكر السماع من الرسول (ﷺ) ، وإتقان الحفظ ، والدقة في التبليغ رجاء أن يحمل الراوي الحديث إلى من هو أفقه منه ، أي أشد معرفة بالمعاني وعمقا فيها . وفيه ذكر التفاضل بين الناس في الفقه ، وكل بحسبه من العلم والفهم والفقه ، والناس في ذلك أحد أربعة رجال :

١ - رجل يحفظ النصوص ويراعي الألفاظ من غير فقه فيها .

٢ - ورجل يحفظ النصوص ويراعي الألفاظ مع الفقه فيها .

(١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٧٤/٤ كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر - حديث رقم : ٢٦٩٦ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ١٤٥/٨ كتاب القراءات - باب في كم يحتم القرآن - حديث رقم : ٢٩٥٠ . قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) رواه الترمذي في سننه ٣٠٦/٧ كتاب العلم - باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع - حديث رقم : ٢٦٥٨ . قال أبو عيسى : « حديث حسن » ، وقد تقدم تخريجه ص : ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ٣٠٦/٧ ، ٣٠٧ ، حديث رقم : ٢٦٥٩ . قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٥) المرجع السابق ٣٠٧/٧ حديث رقم : ٢٦٦٠ .

٣ - ورجل له فهم وفقه ، لكن ليس له عناية بالألفاظ وحفظها .

٤ - ورجل لا حفظ له ولا فهم ، وهو شر الأربعة .

فمن جعل الصحابة وخيار الأمة من النوع الأول فقد أزرى بهذه الأمة في دينها وعلمها ، وعارض بذلك النقل والعقل ، أما النقل فمثل قوله (تعالى) : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وأولى الناس بالدخول في حكم هذه الخيرية الصحابة (رضي الله عنهم) الذين عاينوا نزول هذه الآية ، وإن لم تكن الخيرية خيرية دين وعلم وفهم وفقه ، ثم طاعة واستجابة لله ولرسوله ، فأى شيء تكون ؟ ومثل قوله (ﷺ) : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » (١) .

وأما العقل فيقرر أن يكون أولى الناس بالفهم لخطاب الرجل ، خاصته وحواريه الذين عايشوه وعرفوا عادته في الكلام ، وتيقنوا مراده بألفاظه ، وقد كان لأصحاب رسول الله (ﷺ) من ذلك القدح المعلى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

الخامس : قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « إن يهوديا جاء إلى النبي (ﷺ) فقال : يا محمد ، إن الله يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله (ﷺ) حتى بدت نواجذه ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] قال يحيى بن سعيد : وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله : « فضحك رسول الله (ﷺ) تعجبا وتصديقا له » (٢) .

وعن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله (ﷺ) قال : « يأخذ الله (عز وجل) سمواته وأرضيه بيديه فيقول : أنا الله

(١) تقدم تخريجه ص : ٣٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٣٩٣/١٣ « فتح الباري » كتاب التوحيد - باب قول الله (تعالى)

﴿ لما خلقت بيدي ﴾ حديث رقم : ٧٤١٤ .

(ويقبض أصابعه وييسطها) أنا الملك ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول : أساقط هو برسول الله (ﷺ) « (١) .

وفي رواية عند ابن ماجه : سمعت رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده (وقبض بيده يقبضها وييسطها) ثم يقول : أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون ، قال : ويتميل رسول الله (ﷺ) عن يمينه وعن يساره حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى إني أقول : أساقط هو برسول الله (ﷺ) « (٢) .

ففي هذه النصوص وأشباهاها شاهد بأن معاني الكتاب والسنة كانت مفهومة عند المخاطبين بها ، بل هي غاية في الجلاء والوضوح ، ولا سيما ما يتعلق منها بأمر العقائد ، بل اليهود كانوا يفهمون منها ما عجزت عنه فهم كثير من المتكلمين من جهمية ومعتزلة وأشاعرة ؛ ولهذا ضحك النبي (ﷺ) من وصف اليهود الرب (جل وعلا) وهو يقبض سمواته وأرضيه والخلائق جميعها ، تعجبا وتصديقا له ، فقد وافق الحق ، وأصاب القصد .

وكذلك عبد الله بن عمر كان يحكي صفة رسول الله (ﷺ) وهو يحكي صفة ربه في قبضه سمواته وأرضيه ، كل ذلك تحقيقا لمعاني هذه الصفات وأنها على ظاهرها ، وأنها مفهومة لديهم ولدى كل من فقه الخطاب العربي ، وأنها حق على حقيقته ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

ثالثا : أقوال السلف وعلماء الأمة في الدلالة على القاعدة :

١ - قيل لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : « هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، قال :

(١) صحيح مسلم ٢١٤٨/٤ ، ٢١٤٩ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ورقمه بعد الرقم :

٢٧٨٨ .

(٢) المقدمة ٣٩/١ ، ٤٠ (صحيح ابن ماجه) باب فيما أنكرت الجهمية - حديث رقم : ١٦٤ ،

وقال الألباني : « صحيح » .

قلت : فما في هذه الصحيفة قال : العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر » (١) .

وفي رواية عن أبي جحيفة (رضي الله عنه) قال : قلت لعلي (رضي الله عنه) : « هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه ، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة » الحديث (٢) .

ففيه إثبات الفهم في القرآن ، وأن الناس فيه متفاضلون ، وهو من نعم الله (تعالى) على عباده وخاصته قال (تعالى) : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا آدَمَ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

٢ - وقال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه » (٣) وقال مسروق : « كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار » (٤) .

٣ - وقال عبد الله ابن مسعود (رضي الله عنه) : « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » (٥) وقال الأعمش عن شفيق قال : « استعمل عليّ ابن عباس على الحج ، قال : فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها » (٦) وفي رواية : « قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها ،

(١) صحيح البخاري ٢٠٤/١ « فتح الباري » كتاب العلم - باب كتابة العلم - حديث رقم :

(٢) صحيح البخاري ١٦٧/٦ « فتح الباري » كتاب الجهاد - باب فكاك الأسير - حديث

(٣) صحيح البخاري ٤٧/٩ « فتح الباري » كتاب فضائل القرآن - باب القراء أصحاب النبي

(ﷺ) أثر رقم : ٥٠٠٢ ، وانظر : تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

(٤) تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

(٥) تفسير الطبري ٤٠/١ (المقدمة) ، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ١٣/١ (طبعة الشعب) .

(٦) المرجع السابق ٣٦/١ (المقدمة) .

فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم ^(١) لأسلمت » ^(٢) .

وقال ابن أبي مليكة : « رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواح ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله » ^(٣) وقال مجاهد : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » ^(٤) ولهذا قال سفيان : « إذ جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به » ^(٥) .

٤ - وقال أبو عبد الرحمن السلمي : « حدثنا الذين كانوا يقرءوننا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي (ﷺ) فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعا » ^(٦) . والعمل إنما هو فرع العلم والفهم .

٥ - وقال سعيد بن جبير : « من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو كالأعراي » ^(٧) .

٦ - وقال الحسن : « ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيماذا أنزلت وماذا عني بها » ^(٨) .

٧ - وقال قتادة (رحمه الله) : « ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا » ^(٩) .

(١) الديلم : جيل سما بأرضهم ، وليس باسم أبيهم ، والديلم : ماء لبني عبس ، وقيل بأرض اليمامة . انظر : معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي ٥٤٤/٢ حرف الدال - دار صادر بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٢) تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

(٣-٤) المرجع السابق ٤٠/١ (المقدمة) .

(٥) المرجع السابق ٤٠/١ (المقدمة) ، وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٩/١٣ .

(٦) رواه الطبري في تفسيره ٨٠/١ (المقدمة) . وقال أحمد شاعر : « هذا إسناد صحيح متصل »

هامش رقم : ٢ (طبعة دار المعارف) ، وانظر : مسند الإمام أحمد ٤١٠/٥ (طبعة المكتب الإسلامي) ، والمستدرک للحاكم ٥٥٧/١ كتاب فضائل القرآن ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي .

(٧) تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

(٨) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٩٨/١٧ .

(٩) سنن الترمذي ١٤٨/٨ كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه -

الحديث تابع لرقم : ٢٩٥٣ .

٨ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « إن الصحابة والتابعين لم يتمتع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله ، ولا قال : هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين : إن في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله (ﷺ) ولا أهل العلم والإيمان جميعهم ، وإنما ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لا ريب فيه » (١) .

فهذه النقول وغيرها ، عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف تبين أنهم كانوا يفهمون معنى ما خوطبوا به من التنزيل ، وأنهم كانوا يفسرونه ، وينقلون معانيه إلى غيرهم من الناس ، وأنهم كانوا يتبعون ذلك بالعمل والتطبيق مما يدل على كمال العلم وتمام الفهم .

رابعا : دلالة المعقول على القاعدة :

وذلك من وجوه ، هذا بعضها :

الأول : أن الله (تعالى) ذكر لعباده أنه قد بين لهم غاية البيان ، وأمر رسوله بالبلاغ والبيان ، وهذا البيان إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده وهذا ممتنع ، أو بيان المعنى دون اللفظ ، أي دون دليله وهذا - أيضا - ممتنع ، فيتعين أنه أراد به بيان اللفظ ومعناه الذي هو مدلوله وملزومه ، بل عناية الشارع بالمعنى أبلغ من عنايته باللفظ ، إذ المعنى هو المقصود ، وأما اللفظ فوسيلة إليه ، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أعظم من عنايته بالغاية والمقصود (٢) .

الثاني : لقد ثبت عدم اختلاف الصحابة والتابعين في نصوص الأخبار ومسائل الاعتقاد ، وهذا يدل على أنها كانت في غاية البيان والوضوح ، وأنهم فهموا النصوص وما دلت عليه من المعاني ، بحيث لا يقع التباس ولا إشكال ، وأن دلالتها - أي نصوص الأخبار - على معانيها أعظم وأوضح من دلالة نصوص الأحكام على معانيها (٣) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٥/١٣ .

(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١١٧/١ ، ١١٨ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٢١٠/١ .

الثالث : ثبت أن الشريعة حجة على العباد ، ولا تقوم الحجة إلا على من فهمها وأدركها ، ولهذا لا حجة على المجنون والصبي ومن في حكمهما ، فمن قال : إن نصوص الشريعة غير معقولة المعاني ، فقد أنزل جميع الأمة ، وفيهم خيارها من الصحابة والتابعين وأئمة الدين ، منزلة الصبيان والمجانين ، وأبطل حجة الشريعة على العالمين .

الرابع : لو لم يكن القرآن الكريم على معهود العرب في الخطاب وأنهم يفهمونه بمقتضى عاداتهم في الكلام ، لخرجوا عن مقتضى التعجيز بقولهم : هذا كلام غير مفهوم المعنى ، أو لا عهد لنا بمثله ، بل هو أغاز وأحاجي فكيف يتحدانا الله بشيء لا نفهمه .
ولهذا قال (تعالى) : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ... ﴾ [فصلت : ٤٤] ^(١) .

خامسا : دلالة الفطرة على القاعدة :

إن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتنائهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى ، بل أن يكون اعتنائهم بالمعنى أكد ؛ فإنه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب أو الحساب أو النحو أو غير ذلك ، أنه يكون راغبا في فهمه ، وتصور معانيه ، فكيف بمن قرأ كتاب الله (عز وجل) المنزل إليهم ، والذي به هداهم الله ، وبه عرفهم الحق والباطل ، والخير والشر ، والهدى والضلال ، والرشاد والغى ، فمن المعلوم - ضرورة - أن تكون رغبته في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات ، ومن المعلوم - ضرورة - أن رغبة الرسول (ﷺ) في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه ، إذ معرفة الحروف وحدها دون المعاني لا تحصل المقصود ^(٢) .

* * *

(١) انظر : الوافقات ٧٠/٢ ، ٧١ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٥ .

المبحث الرابع : فوائد الالتزام بالقاعدة

الفائدة الأولى : بهذه القاعدة علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون العلم بمعاني نصوص الصفات والمعاد إلى الله (تعالى) ويدعون أن هذا هو مذهب السلف ، وقد علم براءة السلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل ، وإنما فوضوا العلم بكيفياتها لا العلم بمعانيها ^(١) .

الفائدة الثانية : قال (تعالى) حكاية عن المشركين : ﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] ففي هذه الآية بيان أن المشركين فهموا المنزل عليهم وإلا لما أعلنوا استعدادهم للمعارضة ، فالقائل : إن نصوص الكتاب والسنة - أو بعضها - لا يفهم معناها أحد من العالمين ، أو إن لها معاني باطنة لا يدركها إلا الخواص الأفذاذ ، أو إن ظاهرها غير مراد ، أو نحو ذلك من العبارات ، يكون قد أنزل نفسه عن درجة المشركين المعارضين للشريعة ، واليهود المحرفين لكتاب الله بعدما عقلوه وهم يعلمون .

الفائدة الثالثة : استعمال السلف هذه القاعدة في الرد على المخالفين في هذا الباب : قال سفيان : « سمعت رجلا سأل جابرا عن قوله (عز وجل) ﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف : ٨٠] فقال جابر : لم يجيء تأويل هذه . قال سفيان : وكذب ، فقلنا لسفيان وما أراد بهذا ؟ فقال : إن الرافضة تقول : إن عليا في السحاب ، فلا تخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء ، يريد عليا أنه ينادي : اخرجوا مع فلان . يقول جابر : فذا تأويل هذه الآية . وكذب ، كانت في إخوة يوسف (ﷺ) » ^(٢) . وجابر هو الجعفي الرافضي الكذاب ^(٣) .

★ ★ ★

(١) انظر : القواعد المثل ص : ٣٥ .

(٢) مقدمة صحيح مسلم ٢٠/١ ، ٢١ - باب بيان أن الاسناد من الدين

(٣) تقدمت ترجمته ص : ٤٤ .

القاعدة التاسعة

الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم

- صورة القاعدة .
- معنى الإحكام والتشابه في اللغة والاصطلاح .
- فقه القاعدة .
- هل الراسخون في العلم يعلمون المتشابه ؟
- أنواع المتشابه .
- هل الأسماء والصفات ونصوص المعاد من المتشابه ؟
- موقف المسلم من المتشابه .
- ذكر بعض مواقف المخالفين لهذه القاعدة .
- أدلة القاعدة .
- فوائد الالتزام بالقاعدة .

صورة القاعدة

- أ - وجوب الإيمان بالكتاب كله : محكمه ومتشابهه .
ب - المتشابه نوعان : ما لا يعلمه إلا الله (تعالى) ، وما يعلمه الراسخون في العلم بعد رده إلى المحكم ، وكلاهما مفهوم من جهة اللفظ والمعنى .

تمهيد

معنى الإحكام والتشابه في اللغة والاصطلاح

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : معنى الإحكام في اللغة ^(١) :

الإحكام من مادة حكم وهي تدور على معنيين :

الأول : المنع : والعرب تقول : حكمت ، وأحكمت ، وحكمت بمعنى : منعت ورددت ، ومنه الحَاكِمُ الذي يمنع الظالم من الظلم ، قال الأصمعي : « أصل الحكمة : رد الرجل عن الظلم » ومنه حَكَمَةُ اللجام ، وهي ما أحاط بخنكي الدابة يمنعها من الاضطراب والشدة في الجري ، وأحكم الشيء : منعه من الفساد وحكمت السفينة ، إذا أخذت على يديه .

الثاني : الإتيان : يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم . والحكم : العلم والفقه ، قال (تعالى) : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] أي علما وفقها ^(٢) والذكر الحكيم : هو الذكر الحَاكِمُ لكم وعليكم ، وهو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب ^(٣) .

وعليه فالإحكام هو الفصل بين الشيئين ، فصلا يمنع اختلاطهما وتداخلهما ، وهو اتقان الشيء وإحسانه ، وكل واحد من المعنيين يعضد الآخر .

المسألة الثانية : معنى التشابه في اللغة ^(٤) :

(١) انظر : لسان العرب ١٤٠/١٢ - ١٤٤ مادة حكم .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢١٠/٥ (طبعة الشعب) .

(٣) انظر : تفسير السعدي ٣٨٧/١ ، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ٨٥٤/٤ خدمة :

محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م . مصر .

(٤) انظر : لسان العرب ٥٠٣/١٣ - ٥٠٥ مادة شبه .

الشَّبهَ والشَّبهَ والشَّبهَ : المِثْلُ ^(١) والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء ؛ إذا ماثله ، وشابه الشيء الشيء وتشابها ؛ إذا أشبه كل واحد منهما صاحبه ، وفي التنزيل : ﴿ وَالزُّيْتُونَ وَالرُّمَّانُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [الأنعام : ١٤١] والمشتبهات من الأمور : المشكلات ، قاله الليث ، واشتبه الأمر إذا اختلط ، والشبه : الالتباس ، والإشكال والاشتباه والالتباس لأجل المشابهة .

المسألة الثالثة : معنى الإحكام والتشابه في الاصطلاح :

للمحكم والمتشابه إطلاقان : عام وخاص :

أولا : الإطلاق العام للمحكم والمتشابه :

أ - معنى المحكم : هو البين الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره ، وذلك لوضوح مفرداته وإتقان تركيبها ^(٢) . فهو كالمفسر في أحد استعماليه عند الأصوليين ^(٣) .

ب - معنى المتشابه : يقال لكل ما غمض ودق ، فهو يحتاج في فهم المراد منه إلى تفكير وتأمل ، إذ أنه محتمل لمعاني كثيرة ومختلفة . فهو كالمشكل ؛ لأنه دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله ^(٤) .

ثانيا : الإطلاق الخاص للمحكم والمتشابه :

اختلفت عبارات العلماء في تحديد معنى الإحكام والتشابه الذي وردت به بعض نصوص الكتاب والسنة ، وبصورة أخص قوله (تعالى) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

(١) هذا تجوز من صاحب اللسان ، وإلا فالتماثل يكون بين الشئين من كل وجه ، والتشابه في بعض الوجوه ، وبعضهم يجعل التشابه في الصفات والتماثل في الذوات .

انظر : التعريفات للرجزاني ص : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص : ١٢٨ تحقيق : حسام الدين القدسي - دار الكتب العلمية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .

(٢) انظر : الموافقات ٨٥/٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٣٦/٤ (طبعة الشعب) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٤ .

(٣) انظر : الحدود للباي ص : ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) انظر : تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص : ٧٤ ، ٧٥ . تحقيق : السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) . والحدود للباي ص : ٤٧ .

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهٖ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [آل عمران : ٧] .

وَأَنَا أَذْكَرُ أَهْمَ وَأَشْهَرُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ :

الأول : المحكم ما عرف معناه والمراد منه ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ، كوقت قيام الساعة ، وخروج المسيح الدجال ، ونزول عيسى (عليه السلام) وبعضهم يدخل فيه الحروف المقطعة في أوائل السور ^(١) .

وهذا مذهب جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) ومقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما ، كما حكاه القرطبي واستحسنه ^(٢) ، وهو اختيار أبي جعفر الطبري ^(٣) .

وهذا المذهب هو المشهور عند من يجعل الوقف في هذه الآية عند لفظ الجلالة ، على ما سيأتي تفصيله .

القول الثاني : المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحدا ، والمتشابه ما احتمل أكثر من وجه : قال محمد بن جعفر بن الزبير : « المحكمات هي التي فيها حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصريح ولا تحريف عما وضعن عليه ، والمتشابهات لمن تصريح وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد » ونقل هذا المذهب عن مجاهد وابن إسحاق ، واستحسنه ابن عطية ^(٤) ، وهو المنقول

(١) انظر : زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ٣٥١ ، ٣٥٠/١ - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م - بيروت - دمشق ، ومعالم التنزيل لأبي محمد الحسين الفراء البغوي ٢٦٨/١ وهو بهامش تفسير الخازن - دار الفكر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، وشرح الكوكب المنير ١٤٢/٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤١٩/١٧ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٤ ، ١٠ .

(٣) تفسير الطبري ١٧٤/٣ ، ١٧٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧٣/٣ ، ١٧٤ ، وتفسير البغوي ٢٦٩/١ ، وتفسير القرطبي ١٠/٤ ،

١١ ، وشرح الكوكب المنير ١٤٢/٢ .

عن الشافعي ، وأحمد في رواية ، وعزاه ابن الجوزي إلى الشافعي وابن الأنباري (١) .
وقال ابن الوزير : « فهؤلاء رجعوا بالمحكم إلى النص الجلي ، وما عداه متشابه » (٢) .

القول الثالث : المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان ، والمتشابه ما احتاج إلى بيان (٣) : وهو ظاهر كلام الإمام أحمد ؛ لأنه قال في كتاب : الرد على الزنادقة والجهمية (٤) : « بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن » ثم ذكر آيات وأخذ يفسرها ويبينها . وقال الإمام أحمد - في موضع - : « المحكم الذي ليس فيه اختلاف ، والمتشابه الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا » (٥) ونسبه القاضي أبو يعلى إلى عامة الفقهاء واختاره (٦) ومثّل القرطبي (٧) للمحكم بقوله (تعالى) : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] وقوله (تعالى) : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [طه : ٨٢] ، وللمتشابه بقوله (تعالى) : ﴿ إِنَّا اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] - يرجع فيه إلى قوله (تعالى) : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [طه : ٨٢] وقوله : ﴿ إِنَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء : ٤٨] . وذكر استحسان النحاس لهذا القول (٨) .

القول الرابع : المحكم : الناسخ ، والمتشابه : المنسوخ ، وروي عن ابن عباس

(١) انظر : زاد المسير ٣٥١/١ .

(٢) إشار الحق ص : ٩٠ .

(٣) انظر : العدة في أصول الفقه لأبي يعلى ٦٨٤/٢ ، ٦٨٥ ، والمسودة ص : ١٦١ ، وشرح الكوكب المنير ١٤٢/٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٥٠/١ ، ٣٥١ ، وتفسير البغوي ٢٦٩/١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤٢٢/١٧ .

(٤) ص : ٥٣ (ضمن عقائد السلف للنشار) .

(٥) المسودة ص : ١٦١ ، وهو في معنى الأول . وانظر : العدة ٦٨٥/٢ .

(٦) انظر : العدة ٦٨٨/٢ .

(٧) انظر : تفسير القرطبي ١١/٤ .

(٨) انظر : تفسير القرطبي ١١/٤ .

وابن مسعود وقتادة والضحاك والربيع والسدي ^(١) ، وميل ابن تيمية ^(٢) إلى أن النسخ هنا هو المذكور في قوله (تعالى) : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] فالحكم هو جميع القرآن ، والمتشابه هو ما يلقيه الشيطان ثم ينسخه الله ويزيله ؛ وذلك أن الأحكام عنده يكون في ثلاثة مواضع ^(٣) :

الأول : إحكام في التنزيل ، ويقابله ما يلقيه الشيطان .

الثاني : إحكام في إبقاء التنزيل ، ويقابله النسخ بالاصطلاح المعروف .

الثالث : إحكام في التأويل والتفسير ، ويقابله المشتبه الذي يحتمل أكثر من معنى .

ومن العلماء من أدخل في المتشابه - إضافة إلى المنسوخ - الحكم والأمثال والأقسام ، وما لا يتعلق بحلال ولا حرام ، أو ما يؤمن به ولا يعمل به . وهو مروي - أيضا - عن ابن عباس ^(٤) .

القول الخامس : روى الخطيب البغدادي بسنده إلى ابن عباس أنه قال في قوله (تعالى) : ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ... ﴾ « هي التي في الأنعام (١٥١ - ١٥٣) ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴾ إلى قوله (تعالى) : ﴿ ذَالِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ثلاث آيات ، والمتشابهات الحروف المقطعة » ^(٥) وروي عن ابن عباس ومقاتل بن حيان أن المتشابه هو الحروف المقطعة من غير إشارة

(١) انظر : الفقيه والمتفقه ٥٩/١ ، وتفسير الطبري ١٧٢/٣ ، ١٧٣ ، وزاد المسير ٣٥٠/١ ، ٣٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/٤ ، وإشار الحق ص : ٩٠ .

(٢) انظر : المسودة ص : ١٦٢ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٤/١٣ ، ٢٧٥ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٢٦٨/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٥/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) ، وتفسير القرطبي ١٠/٤ .

(٥) الفقيه والمتفقه ٥٨/١ ، وانظر : تفسير البغوي ٢٦٨/١ .

إلى معنى المحكم ^(١) ، والظاهر أن المحكم في هذه الرواية هو ما سوى الحروف المقطعة ^(٢) .

والإمام الشوكاني (رحمه الله) لا يصف هذه الأقوال المتقدمة في تعريف المحكم والمتشابه بالاختلاف ؛ وذلك أن أهل كل قول قد عرفوا المحكم ببعض صفاته ، وعرفوا المتشابه بما يقابلها ، ويظهر ذلك عند التأمل في الأقوال . ولهذا يرى أن التعريف الذي يجمعها هو أن يقال :

المحكم الواضح المعنى الظاهر الدلالة ، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره ، والمتشابه ما لا يتضح معناه ، أو لا تظهر دلالاته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره ^(٣) . ولعل هذا التعريف أولى بالقبول والصواب . والله أعلم .

* * *

المبحث الأول : فقه القاعدة

الإحكام والتشابه في القرآن الكريم :

وصف الله (تعالى) القرآن بأنه كله محكم ، وأنه كله متشابه ، وفي موضع ثالث جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه . وعلى هذا فينبغي أن يعرف الإحكام والتشابه الذي يعمه ، والإحكام والتشابه الذي يخص بعضه ^(٤) .

أما الإحكام الذي يعمه فمذكور في مثل قوله (تعالى) : ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٥/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) وزاد المسير ٣٥١/١ ، وتفسير البغوي ٢٦٨/١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٤٢٠/١٧ ، وإيضاح الحق ص : ٩٠ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٠/٤ .

(٣) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني ٣١٤/١ - دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ - بيروت .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٩/٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/٤ ، وتفسير البغوي ٢٦٨/١ .

قال قتادة (رحمه الله) : « أي جعلت محكمة كلها ، لا خلل فيها ولا باطل » ^(١)
 وقال في موضع آخر : « أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بالحلل والحرام » ^(٢)
 وقال مجاهد (رحمه الله) : « أحكمت جملة ثم بينت آية آية بجميع ما يحتاج إليه من
 الدليل على التوحيد والنبوّة والبعث وغيرها » ^(٣) وقال ابن كثير (رحمه الله) : « أي
 هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها فهو كامل : صورة ومعنى » ^(٤) .

فالقرآن الكريم كله محكم بمعنى أنه متقن مصون من الباطل والفساد ؛ صدق
 في أخباره ، حق في أحكامه ، عدل في وعده ووعيده ، قال ابن تيمية (رحمه الله) :
 « فأحكام الكلام إتقانه بتميز الصدق من الكذب في أخباره ، وتميز الرشد من
 الغي في أوامره » ^(٥) .

وأما التشابه الذي يعم القرآن فمذكور في مثل قوله (تعالى) : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ
 أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي ﴾ [الزمر : ٢٣] قال مجاهد (رحمه الله) :
 « يعني القرآن كله متشابه مثاني » ^(٦) وقال قتادة (رحمه الله) : « الآية تشبه الآية ،
 والحرف يشبه الحرف » ^(٧) وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) :
 « مثاني : قال : القرآن يشبه بعضه بعضا ، ويرد بعضه على بعض » ^(٨) وقال سعيد
 ابن جبير (رحمه الله) : « يشبه بعضه بعضا ، ويصدق بعضه بعضا ، ويدل بعضه
 على بعض » ^(٩) . ونحوه عن السدي ^(١٠) .

(١) تفسير القرطبي ٢/٩ .

(٢) المرجع السابق ٣/٩ .

(٣) المرجع السابق ٣/٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤٣٥/٢ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) وعزاه إلى مجاهد وفتادة .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٠/٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ٥٠/٤ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٧) المرجع السابق ٥٠/٤ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٨) المرجع السابق ٥٠/٤ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٩) تفسير الطبري ١٣٥/٢٣ (طبعة دار المعرفة - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م - بيروت) .

(١٠) المرجع السابق ١٣٤/٢٣ (طبعة دار المعرفة) .

فالتشابه الذي يعم القرآن هو تماثل الكلام وتناسبه ، بحيث يصدق بعضه بعضا ، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ، بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته ، وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر ، بل ينهى عنه أو عن نظيرة أو عن ملزوماته - إذا لم يكن هناك نسخ - ومثله يقال في الأخبار : فإذا أخبر عن شيء لم يخبر عن نقيضه أو بنفيه في موضع آخر ، بل يخبر عنه بما يصدقه ويؤكداه ، أو يفصله ويبينه كما في القصص مثلا .

فهذا التشابه الذي يعم القرآن هو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله (تعالى) : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] ولهذا كان القول المضاد للقرآن موصوفا بالاختلاف والاضطراب كما قال (تعالى) في وصف قول المشركين : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴾ [الذاريات : ٨ ، ٩] .

وهذا التشابه العام لا ينافي الأحكام العام بل هو مصدق له فالكلام المتقن يصدق بعضه بعضا ، ويشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والعدل ^(١) .

أما الأحكام الخاص فإنه ضد التشابه الخاص ، وهو المذكور في آية آل عمران ^(٢) . والتشابه الخاص هو مشابة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر ، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو ، أو هو مثله وليس كذلك . والأحكام الخاص هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر ، وهذا التشابه إنما يكون في القدر المشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما .

ثم من الناس من لا يهتدي إلى الفصل بينهما ، فيكون مشتبا عليه ، ومنهم من يهتدي إلى ذلك ، فالتشابه الذي لا يتميز قد يكون من الأمور النسبية الإضافية ، بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٠/٣ ، ٦١ .

(٢) وهي قوله (تعالى) : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه غابَّت محمَّدٌ من أم الكتاب

وأخر متشبهت ... ﴾ [آل عمران : ٧] .

(الراسخون فيه) ما يزيل عنه هذا الاشتباه ، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشاهدونه في الدنيا فظن أنه مثله ، فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشابها له من بعض الوجوه ^(١) .

وقد يكون المتشابه من الأمور التي لا يعلمها أحد من العباد ، بل استأثر الله بعلمها ، كما استأثر الله بالعلم بالقدر المميز بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

هل الراسخون في العلم يعلمون المتشابه ؟

هذه المسألة مبنية على الخلاف بين العلماء في الوقف الذي في آية آل عمران ، وللعلماء فيه مذهبان :

الأول ^(٢) : الوقف على لفظ الجلالة (إلا الله) وما بعده مستأنف وهو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم ، ومنهم : ابن عباس ، وابن مسعود ، وعائشة ، وعروة ، وابن عمر ، وأبي بن كعب ، وأبو نبيك الأسدي ، والحسن ، وأبو الشعثاء ، وعمر بن عبد العزيز ، وابن الأنباري ، ومالك بن أنس ، والفراء ، وشعيب ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، والكسائي ، واختاره الطبري ، وصححه البغوي ، وهو اختيار أبي يعلى .

أدلة هذا المذهب :

- ١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والوقف عند لفظ عند الجلالة عليه أدلة كثيرة ، وعليه أصحاب رسول الله (ﷺ) وجمهور التابعين وجماهير الأمة » ^(٣) .
- ٢ - قراءة ابن عباس : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ عَمَّا بِهِ ﴾ ^(٤) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١/٣ ، ٦٢ .

(٢) انظر : زاد المسير ٣٥٤/١ ، وتفسير الطبري ١٨٢/٣ - ١٨٤ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٦/١ .

٣٤٧ (طبعة دار إحياء العربية) ، وتفسير البغوي ٢٧٠/١ ، وتفسير القرطبي ١٦/٤ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٥/١٣ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٢٨٩/٢ كتاب التفسير - سورة آل عمران - وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وانظر : زاد المسير ٣٥٤/١ ، وتفسير ابن كثير

٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

٣ - قراءة ابن مسعود : « إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ... » ^(١) .

٤ - قراءة أبي بن كعب وهي على نحو قراءة ابن مسعود المتقدمة ^(٢) . وعند الطبري « ويقول الراسخون في العلم » ^(٣) .

٥ - قول أبي نهيك الأسدي : « إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة ... » ^(٤) .

٦ - قول الفراء وأبي عبيدة : « الراسخون مستأنفون والله هو المنفرد » ^(٥) .

٧ - قال البغوي : « وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية » ^(٦) .

وأصحاب هذا المذهب قالوا : المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، قالت عائشة (رضي الله عنها) : « كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله » ^(٧) وقال عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) : « انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا : آمنا به كل من عند ربنا » ^(٨) وقال ابن الأنباري : « فأنزل الله (تعالى) المحمل ليؤمن به المؤمن فيسعد ، ويكفر به الكافر فيشقى » ^(٩) وقال الخطابي : فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله (عز وجل) على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به ، ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه » ^(١٠) .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) ، وتفسير البغوي ٢٧٠/١ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢٧٠/١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٨٤/٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٨٣/٣ ، وتفسير القرطبي ١٦/٤ .

(٥) العدة في أصول الفقه ٦٩٠/٢ .

(٦) تفسير البغوي ٢٧٠/١ .

(٧) تفسير الطبري ١٨٢/٣ .

(٨) تفسير الطبري ١٨٣/٣ .

(٩) زاد المسير ٣٥٤/١ .

(١٠) تفسير القرطبي ١٦/٤ .

المذهب الثاني : عدم الوقف ، بل عطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة ، وذكر ابن كثير أنه مذهب كثير من المفسرين وأهل الأصول ^(١) .

أدلة هذا المذهب :

- ١ - قول ابن عباس (رضي الله عليه عنهما) : « أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله » ^(٢) .
- ٢ - دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ^(٣) .
- ٣ - قول مجاهد : « والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويؤمنون به » ^(٤) .
- ٤ - وعزا هذا المذهب البغوي إلى مجاهد والربيع ^(٥) ، وذكر القرطبي أنه ليس لمجاهد وحده بل يروى عن ابن عباس ، والربيع ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والقاسم ابن محمد ، وغيرهم ^(٦) .
- ٥ - أن الخطاب بما لا يفهم بعيد ^(٧) ، وذلك في معرض الرد على أصحاب المذهب الأول .

وأصحاب هذا المذهب يقولون : الراسخون يعلمون المتشابه ، عزاه الطبري إلى ابن عباس ومجاهد والربيع ^(٨) ، واختاره ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي ^(٩) ، قال ابن قتيبة : « ولسنا ممن يزعم : أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم ، وهذا غلط من متأولي على اللغة والمعنى ، ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عباده ، ويدل به على معنى أراد » ^(١٠) وصححه البغدادى واستدل عليه بحديث

(١) تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، وتفسير الطبري ١٨٣/٣ .

(٣) تقدم تحريجه ص : ٧٦ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٤) تفسير الطبري ١٨٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

(٥) تفسير الطبري ١٨٣/٣ ، وتفسير البغوي ٢٧٠/١ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٧/٤ .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ ، والفتاوى والمتفقه ٦٣/١ .

(٨) انظر : تفسير الطبري ١٨٣/٣ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٥٤/١ .

(٩) انظر : زاد المسير ٣٥٤/١ .

(١٠) تأويل مشكل القرآن ص : ٧٢ .

رواه بسنده عن معقل (رضي الله عنه) قال : « قال رسول الله (ﷺ) : اعملوا بالقرآن ، فحللوا حلاله وحرّموا حرامه ، واقتدوا به ، ولا تكفروا بشيء منه ، وما تشابه عليكم فردوه إلى الله وإلى أولي العلم يخبروكم » ^(١) وقال البغدادى في الحروف المقطعة : « ليس منها شيء إلا وقد تكلم الناس في تأويله » ^(٢) .

ومن صححه - أيضا - أبو العباس أحمد بن عمر (شيخ القرطبي) وذكر أن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع ^(٣) .

واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذكر أن المتشابه أمر نسبي ، فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ، وهذا إذا عرف معناه صار غير متشابه ، بل القرآن كله محكم ، كما قال (تعالى) : ﴿ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هود : ١] واستدل على هذا المذهب برد الإمام أحمد على الجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ، وأنه فسر تلك الآيات كلها ، وذمهم على تأويلهم ذلك المتشابه على غير تأويله ، وعامتها آيات معروفة عند العلماء قد تكلم الناس في تفسيرها ... ^(٤) .

(١) الفقيه والمتفقه ٦٣/١ . ونحوه عند الحاكم في المستدرک ٥٧٨/٣ كتاب معرفة الصحابة ، وسكت عنه الذهبي .

(٢) المرجع السابق ٦٣/١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٨/٤ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٣/١٣ ، ١٤٤ ، والرد على الجهمية ص : ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ (ضمن عقائد السلف للنشار) . ومما ينبغي أن يعلم أن ابن تيمية يصحح قراءة الوقف كما مر سابقا ، ولكنه يرى أن معاني التنزيل كلها مفهومة لدى المخاطبين ، هذا من حيث معاني الألفاظ والتراكيب ، أما حقائق بعض الأمور فهي محجوبة عنهم وهو التأويل الذي استأثر الله بعلمه ، على ما سيأتي بيانه في تحقيق المسألة ، وابن تيمية يذهب هذا المذهب ، ويؤكد قطعا للمذاهب المقوضة القائلين إن في القرآن ما لا يفهم معناه أحد ، أو ما لا معنى له أصلا . انظر مجموع الفتاوى ٣٤/٥ وما بعدها .

التحقيق في هذه المسألة :

والحق أن التأويل نوعان : الأول : تأويل بمعنى الحقيقة والعاقبة التي يؤول إليها الأمر ، كما قال يوسف : ﴿ يَأْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] وكما قال (تعالى) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٣] فإن أريد بالتأويل هذا المعنى ، فالوقف على لفظ الجلالة ، والمتشابه لا يعلمه إلا الله ، بمعنى لا يعلم حقيقته التي هو عليها إلا الله ، وذلك كأسماء الله وصفاته ، وحقائق اليوم الآخر من البعث والنشور والصراط والميزان ، ونعيم الجنة وعذاب النار ، وكذلك أحوال البرزخ .

الثاني : تأويل بمعنى التفسير ، كقوله (تعالى) : ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [يوسف : ٣٦] أي بتفسيره ، وهذا هو اصطلاح السلف في مرادهم بالتأويل ، وكل من قال إنه يعلم التأويل ، أو إن العلماء يعلمون التأويل فقصدوه : التفسير وفهم المعنى ، ولهذا يقول أبو جعفر الطبري في تفسيره الآيات : القول في تأويل قوله كذا وكذا ... ، وعلى هذا فيكون الوقف على قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ، والمتشابه هو ما يخفى على بعض الناس ، فيعلمه الراسخون في العلم ^(١) .

فإنه (تعالى) نفى العلم بتأويل المتشابه ولم ينف العلم بمعناه وتفسيره وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذه المسألة ^(٢) .

ولهذا تجد من العلماء - كأبي بكر الصيرفي - جعل المتشابه نوعين ^(٣) :
الأول : ما استأثر الله بعلمه وتفرّد بمعرفته .
الثاني : ما يعلمه العلماء وإن كان قد يخفى على كثير من الناس .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/١ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) ، وأضواء البيان للشنقيطي ٣٣٣/١ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٥/١٣ ، ٢٨٤ .

(٣) انظر : الفقيه والمتفقه ٦٢/١ ، ٦٣ .

فإنه (تعالى) أخبرنا عن الساعة وأنها لا تأتينا إلا بغتة ، وأخبرنا عن الصراط والميزان والحساب ، وعن الجنة وما أعده فيها لأوليائه ، وعن النار وما أعده فيها لأعدائه ، وأخبرنا عن ذاته وما اختص به من الأسماء والصفات ونعوت الجلال ، وكل هذا معلوم المعنى من جهة الخطاب ، وإن كان قد يخفى على بعض الناس بعض معاني هذه المسائل فيكون عنده مشتبه ، أما من جهة الحقائق ، وما الأمر عليه فهذا لا يعلمه أحد من الخلق ، بل هو من المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله ^(١) .

أنواع المتشابه :

من خلال النظر في أقوال العلماء في تعريف المتشابه ، يتبين أن المتشابه نوعان ^(٢) :

النوع الأول : متشابه حقيقي ، لا سبيل إلى إدراك حقيقته وكنهه ، كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بعلمه ، فهذا لا يتعاطى علمه أحد لا ابن عباس (رضي الله عنه) ولا غيره ، فمن قال من العلماء المحققين : إن الراسخين لا يعلمون المتشابه ، فإنما مراده هذا النوع .

لكن يغلط من يقول ^(٣) : إن المتشابه لا يفهم معناه أحد ، بل هذا المتشابه مفهوم من جهة المعنى ولغة التخاطب ، فنحن نفهم الخطاب بالروح والساعة ، وما أعده الله لأوليائه في الدار الآخرة من أنواع النعيم ، كل هذا نفهمه بمقتضى لغة التخاطب وإن كنا لا ندرك حقيقته التي هو عليها ، كما في الحديث : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ^(٤)

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/٥ - ٣٨ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٨/٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٢/١٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨٠ ، والموافقات ٩١/٣ - ٩٣ ، والاعتصام ٢٢١/١ ، وإيثار الحق ص : ٩٣ - ١٠١ .

(٣) انظر : الموافقات ٩١/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤٦٥/١٣ « فتح الباري » كتاب التوحيد - باب قول الله (تعالى) : ﴿ يريدون أن يدلوا كلهم الله ﴾ حديث رقم : ٨٤٩٨ .

فأحوال الآخرة ونحوها من الأسماء والصفات ، والوعد والوعيد ، ومسائل القدر ، كل هذا محكم من جهة المعنى ووضوح الخطاب به ، لكنه متشابه من جهة حقيقته وكيفيته ، فالأول يعرفه كل من يعرف لغة العرب وعادتها في الكلام ، والثاني لا يعلمه إلا الله (تعالى) . وهذا النوع من المتشابه غالبا ما يستدل له بآية آل عمران ، وأن الوقف عند لفظ الجلالة .

النوع الثاني : متشابه إضافي ؛ لأنه يرجع إلى الناظر لا إلى الأمر في نفسه ، وهذا الاشتباه له أسباب منها :

١ - تقصير الناظر في النظر والبحث .

٢ - اتباعه للهوى وابتغاؤه الفتنة .

وإذا توهم هذا النوع وجد أن المنسوخ والمجمل والظاهر والعام والمطلق قبل معرفة مبيناتها داخل فيه ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمنسوخ يدخل فيه - في اصطلاح السلف العام - كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق ، فإن هذا متشابه لأنه يحتمل معنيين ، ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه ، وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذي ليس بمبراد » ^(٢) .

فهذا النوع من المتشابه نسبي ، فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ، كما أن الملائكة يعلمون من أخبار الغيب ما يكون متشابهها عند بني آدم ^(٣) .

فاللفظ الذي يقبل معنى إما أن يحتمل غيره أو لا ، والثاني النص - كما في اصطلاح الأصوليين - والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا ، والأول هو الظاهر ، والثاني إما أن يكون مساويه أو لا ، والأول هو المجمل والثاني المؤول :

(١) انظر : الموافقات ٨٦/٣ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٢/١٣ ، ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ٣٨٠/١٧ .

فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم ، والمشارك بين المجلد والمؤول هو المتشابه ^(١) . وهذا إنما يعرف بياته الراسخون في العلم ، ولهذا من استدل من السلف بآية آل عمران ، وجعل الوقف عند « والرأسخون في العلم » على أن الراسخين يعلمون المتشابه فإنما مراده هذا النوع .

وقد ذكر المفسرون في أسباب نزول آية آل عمران ^(٢) : قدوم وفد من نصارى نجران ، وأنهم ناظروا النبي (ﷺ) ، واحتجوا عليه بما في القرآن الكريم من لفظ (إنا) و (نحن) ونحو ذلك ، على تعدد الآلهة ، وهو التثليث عندهم ، وكذلك بنحو قوله (تعالى) في المسيح ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] فاستدلوا بـ (كلمته) و (وروح منه) على عقيدتهم في البنوة ، وأن عيسى فيه جزء إلهي .

فلفظ (إنا) و (نحن) يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم ، لم يرد به أن الآلهة ثلاثة :

فهذه الألفاظ قد يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه ، ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه وإن لم يكونوا من جنسه ، ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى . وكذلك الملك - من ملوك الدنيا - يقول : إنا - ونحن - وفعلنا كذا ، وقلنا كذا ، ومعلوم أنه وما ملك مخلوق لله مريبوب له ، وهو سبحانه أحق من يقول : إنا ، ونحن بهذا الاعتبار ؛ فإن ما سواه ليس له ملك تام ولا أمر مطاع طاعة تامة ، فאלله (تعالى) يقول : إنا ونحن ، والملك من ملوك الدنيا يقول : إنا ونحن ، وهذا متشابه من هذه الجهة ، لكن يعلم أن ما يختص الله به من تمام الملك والخلق والأمر لا يشركه فيه أحد من خلقه ؛

(١) انظر : الإنفاق للسيوطي ٤/٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧٧/٣ ، وتفسير البغوي ٢٧٠/١ ، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي ١٧٨/١ بتحقيق : محمد عبد المنعم اليونسى وإبراهيم عطوة عوض - دار الكتب الحديثة - مطبعة حسان القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

ولهذا قال (تعالى) : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] فالواجب حمل تلك الألفاظ المشتبهات على هذه الآيات المحكمات ^(١) .

أما احتجاجهم بمثل آية النساء على عقيدتهم في البنوة ، فلفظ (كلمة الله) يراد به الكلام ، ويراد به المخلوق بالكلام ، وكذلك (روح منه) يراد به ابتداء الغاية ، ويراد به التبعية ، وهذا التشابه يرفع بالمحكم من قوله (تعالى) : ﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] ونحوه ^(٢) .

وجود التشابه في الشرع :

الثابت أن وجود التشابه في الشرع قليل لا كثير ، وذلك لأمر منها ^(٣) :

- ١ - النص الصريح ؛ وهو آية آل عمران ، فقوله في المحكمات : ﴿ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ يدل على أنها معظم القرآن وعامته ؛ فالتشابهات دون المحكمات .
- ٢ - أن التشابه لو كان أكثر من المحكم ، لكان أكثر الشرع لا تعلم له حقيقة - عند من يقول بالتشابه الحقيقي - أو أكثره مشكلا - عند من يقول بالتشابه الإضافي - وقد ثبت أن القرآن هدى ونور وبيان وشفاء ، وأنه أحكمت آياته ثم فصلت .

- ٣ - الاستقراء ؛ فإن المجتهد إذا نظر في أدلة الشريعة جرت له على قانون النظر واتسقت أحكامها ، وانتظمت أطرافها على وجه واحد ، كما قال (تعالى) : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [يونس: ١] وقال (تعالى) : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ ﴾ [الزمر: ٢٣] يعني يشبه بعضه بعضا ، ويصدق أوله آخره ، وآخره أوله .

هل الأسماء والصفات ونصوص المعاد من التشابه ؟

قال جلال الدين السيوطي : « من التشابه آيات الصفات ... وجمهور أهل السنة : منهم السلف وأهل الحديث ، على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٨/١٧ ، ٢٧٥/١٣ ، ٢٧٦ ، ١٤٥/١٣ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨٩/١٧ ، ٣٩٠ .

(٣) انظر : الموافقات ٨٦/٣ ، ٨٧ .

إلى الله (تعالى) ولا نفسرها مع تنزيها له عن حقيقتها ^(١) .

وهذا هو حقيقة مذهب أهل التفويض أن جعلوا نصوص الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله (تعالى) ، وينسبون ذلك إلى السلف وأهل الحديث ، وأنهم كانوا يتلون نصوص الصفات ولا يفهمون معناها . والسلف وأهل الحديث برآء من هذا المذهب ، وقد تقدم بيان ذلك ، وأنهم فسروا جميع القرآن والحديث ، ولم يدع أحد منهم في شيء من نصوص الصفات أنها من المتشابه الذي لا يعلم معناه أحد من الخلق .

لكن قد يشبهه عند بعض الناس بعض ذلك وهذا من التشابه النسبي ، والذي يزول برده إلى أهل العلم الذين يعلمونه فيدفعون عنه الإشكال والالتباس ، فيعود في حقهم بينا واضحا محكما لا اشتباه فيه ، ولهذا قال (تعالى) : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ... ﴾ [النساء : ٨٣] .

أما من أطلق التشابه على نصوص الصفات مريدا بذلك حقائقها وكيفياتها التي هي عليها ، فهذا قد يسوغ ؛ لأن حقائق الأسماء والصفات وما هي عليه من الكيفيات لا يعلمه إلا الله (تعالى) ^(٢) . لكننا نعلم معنى الاسم والصفة ، فنعلم معنى : سميع وبصير وعليم ، ومعنى : السمع والبصر والعلم ، ونعلم معنى أن له يدين وعينين ووجه ، كل هذا ونحوه نعلم معناه بمقتضى لغة التخاطب ، ولا يقتضي علمنا بمعاني هذه النصوص أن تكون مثل ما في الشاهد من سمع المخلوق وبصره وعلمه ، ويديه وعينيه ووجهه ، بل بينها من التباين والاختلاف ما لا يقدر أحد من الخلق قدره ، فالتباين الذي بين صفات المخلوق وصفات الخالق كالتباين بين الذاتين ؛ ولهذا يحسن أن يقال لمن سأل عن كيفية صفاته : كيف هو سبحانه ؟

فالقدر المشترك بين الصفتين - ويكون في اللفظ والحرف والرسم والمعنى العام الكلي - هو الذي يجعلنا نفهم معنى الخطاب ، والقدر المميز هو ما اختص الله بعلمه ، وهو المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله ، لكن لا ينبغي إطلاق لفظ المتشابه على

(١) الإتيان في علوم القرآن ٦/٢ .

(٢) انظر : منهج ودراسات آيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي ص : ٢٣ ، ٢٤ .

صفات الله (تعالى) لأجل هذا الإجمال ، ولهذا لم يؤثر عن السلف إطلاقه على الصفات .

وكذلك ما أخبر الله (تعالى) به من وقت الساعة وأشراتها ، ومن أمور الدار الآخرة ، كأحوال البرزخ من الإقعاد والسؤال ، والتضييق ، وإتيان العمل في صورة شاب ونحو ذلك ، وكصفة الصراط وأنه أحد من السيف وأرق من الشعرة ، والميزان ووزن الأعمال فيه ، ودنو الشمس من ربوع الخلائق ، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات ، وما في الجنة من أنواع المآكل والمشارب والملابس والمناكح : من أنهار اللبن والعسل والخمر والماء ، والزبرجد والإستبرق ، والخور العين والولدان المخلدين ، وغير ذلك ، كل ذلك ونحوه نعلم معنى ما خوطبنا به منه ، وهو من هذه الجهة غاية في البيان والوضوح والإحكام ، يعرف معناه وما دل عليه لفظه كل من عرف لغة العرب وعادتها في الكلام ، أما من جهة حقيقته وكيفيته التي هو عليها فهذا لا يعلمه إلا الله (تعالى) ، وهو من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه على ما نقل عن كثير من العلماء ^(١) .

ففي الدنيا لبن وعسل وخمر وماء ، لكنه لا يوجد في هيئة أنهار ، ولبن الدنيا لا يخرج إلا من بين فرث ودم ، وإذا بقي أياما تغير طعمه ^(٢) ، وعسل الدنيا لا يخرج إلا من النحل ، وهي تصنعه في بيوت الشمع المسدسة ، فليس هو عسلا مصفى . وخمر الدنيا مر المذاق ، كريحه الرائحة ، مضغف للأبدان ، مذهب للألباب ليس هو لذة للشاربين ^(٣) ، وهكذا

فالتشابه بين حقائق الآخرة وحقائق الدنيا يكون في اللفظ والمعنى العام ، أما مسائل الآخرة وما هي عليه من الحقائق والكيفيات فبينها وبين مسائل الدنيا من التباين والاختلاف ما لا يقدر قدره إلا الله ، كما قال النبي (ﷺ) « وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : إنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس

(١) يراجع : معنى التشابه في الاصطلاح .

(٢) إلا إذا روعي حفظه - كما في زماننا - بإضافة مواد حافظة إليه ثم (تعليه) ، وهذه - أيضا - هذا

وقت معلوم .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٩/١٧ ، ٣٨٠ .

بأعمالهم ... » ^(١) ولهذا قال (تعالى) في الحديث القدسي : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ^(٢) .

موقف المسلم من التشابه :

قد تقدم أن التشابه نوعان : حقيقي وهذا لا يعلم حقيقته إلا الله ، وإضافي وهذا يعلمه الراسخون في العلم . ويجب على المسلم أن يؤمن بالكتاب كله محكمه ومتشابهه ، أما التشابه الحقيقي فيؤمن به ويفوض العلم بحقيقته إلى الله (تعالى) ولا يخوض في ابتغاء تأويله ، فإن الله (تعالى) حجب علم تأويله عن الأنعام ، والخوض فيه من ذرائع الفتنة والحيرة والاضطراب ؛ ولهذا ذكر في أسباب نزول آية آل عمران أن اليهود رامت معرفة أجل أمة محمد (ﷺ) بالحروف المقطعة في أول سورة آل عمران وذلك عن طريق حساب الجمل ، فنزلت بعدها سور أخرى مصدرة بحروف آخر نحو : (طسم - المر - كهيعص) وغيرها ، فاضطراب عندهم الحساب ؛ حتى قالوا : لقد خلطت علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ، ونحن ممن لا يؤمن بهذا ، فأنزل الله الآية ^(٣) .

أما التشابه الإضافي فالواجب الإيمان بالنص في الجملة حتى يتبين معناه ويتضح مدلوله ، وذلك بالتدبر فيه ومتابعة النظر ، أو برده إلى المحكمات من النصوص ، فإن النصوص يفسر بعضها بعضا ، أو برده إلى أهل العلم والإيمان كما قال (تعالى) : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] وكما قال النبي (ﷺ) : « اعملوا بكتاب الله ولا تكذبوا بشيء منه ، فما اشتبه عليكم منه فاستلوا عنه أهل العلم يخبروك ... » ^(٤) وقال (تعالى) : ﴿ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] .

(١) صحيح البخاري ٢/٢٩٣ فتح الباري « كتاب الأذان - باب فضل السجود - حديث رقم :

٨٠٦ .

(٢) صحيح البخاري ١٣/٤٦٥ فتح الباري « كتاب التوحيد - باب قول الله (تعالى) :

﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ... حديث رقم : ٨٤٩٨ .

(٣) انظر تفسير البغوي ١/٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وتفسير الطبري ٣/١٧٧ ، وتفسير القرطبي ٤/١٥٠ .

(٤) تقدم تحريجه ص : ٤٨٣ .

فمن اشتبهت عليه بعض الآيات الدالة على قدرة الله على كل شيء ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، فظن به (سبحانه) خلاف الحكمة ، وأن هدايته وإضلاله جزاف لغير سبب ، كشفت هذا الاشتباه ، وجلته الآيات الأخرى الدالة على أن هدايته لها أسباب ، يفعلها العبد ، ويتصف بها كما في قوله (تعالى) : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٦] وأن إضلاله لعبد له أسباب في العبد ، وهو توليه الشيطان كما قال (تعالى) : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٣٠] وقال (تعالى) : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : ٥] (١) .

ذكر بعض مواقف المخالفين لهذه القاعدة (٢) :

الموقف الأول : رد الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام ، الميينة بأقصى غاية البيان ، أن الله موصوف بصفات الكمال ، ونعوت الجلال من العلم والقدرة والوجه واليدين والغضب والرضا والرحمة والحكمة وغيرها من الصفات ، والتي حصل العلم الضروري بها وبإخبار الرسول (ﷺ) بها وبيانه لها ، فعمد الجهمية إلى بعض ما اشتبه عندهم من النصوص ؛ مثل قوله (تعالى) : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » [الشورى : ١١] وقوله (تعالى) : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] فردوا به تلك المحكمات بعدما استخرجوا منها احتمالات وتحريفات جعلوها به من قسم المتشابه .

الموقف الثاني : رد القدرية النصوص الصريحة المحكمة في قدرة الله على خلقه وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، بما تشابه عندهم من قوله (تعالى) : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] وقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] وذلك بعدما أخرجوا تلك النصوص المحكمة إلى قسم المتشابه بما استخرجوه منها من تأويلات وتحريفات .

(١) انظر : القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص : ٧٠ ، ٧١ - مكتبة المعارف ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م الرياض (بدون رقم الطبعة) .
(٢) انظر : أعلام الموقعين لابن القيم ٢/٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ .

الموقف الثالث : رد الجبرية النصوص المحكمة في إثبات كون العبد قادرا مختارا فاعلا بمشيئة ، بما تشابه عندهم من قوله (تعالى) : ﴿ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] ونحوه .

الموقف الرابع : رد الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة في إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين وخروجهم من النار بما تشابه عندهم من قوله (تعالى) : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر : ٤٨] وقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] .

الموقف الخامس : رد الرافضة النصوص الصريحة الصحيحة المحكمة المعلومة عند خاص الأمة وعامتها - بالضرورة - في مدح الصحابة والثناء عليهم ، وأن الله رضي عنهم ، وغفر لهم ، وتجاوز عنهم ، وأنه يجب على من بعدهم الاقتداء بهم ومتابعتهم والاستغفار لهم ، بما تشابه عندهم من قوله (ﷺ) : « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ^(١) .

الموقف السادس : رد الخوارج النصوص المحكمة في موالة المؤمنين ومحبتهم وإن ارتكبوا بعض المعاصي ، والتي تقع مكفرة بالتوبة النصوح أو الاستغفار أو الحسنات الماحية أو المصائب المكفرة ، أو دعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد مماتهم ، أو بالامتحان في البرزخ ، أو في مواقف الحساب ، أو بشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة ، أو بصدق التوحيد أو برحمة أرحم الراحمين ، فهذه عشرة أسباب تحقق أثر الذنوب والمعاصي ، فإن عجزت عنها ، فلا بد من دخولهم النار ثم يخرجون منها ، فردوا كل ذلك بما تشابه عندهم من نصوص الوعيد .

* * *

(١) صحيح البخاري ٢١٧/١ • فتح الباري • كتاب العلم - باب الإنصات للعلماء - حديث

المبحث الثاني : أدلة القاعدة

وهي من القرآن الكريم والسنة المطهرة ومن أقوال العلماء :

أولا : دلالة القرآن الكريم على القاعدة :

قوله (تعالى) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] وقد تقدم الكلام في هذه الآية بما يغني عن إعادته .

ثانيا : دلالة السنة النبوية على القاعدة :

أ - قوله (ﷺ) : « ... إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » ^(١) وفيه بيان التشابه النسبي والذي يرفع برده إلى المحكم أو إلى أولي العلم .

ب - قول النبي (ﷺ) : « نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجرا وآمرا ، وحلالا وحراما ، ومحكما ومتشابها ، وأمثالا ؛ فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » ^(٢) وفيه بيان التشابه الحقيقي والذي فرضه الإيمان به ، ويحتمل التشابه النسبي (الإضافي) لأنه يجب الإيمان به حتى يتبين معناه .

(١) مسند الإمام أحمد ٢٣٠/١٠ حديث رقم : ٦٧٠٢ ، وصححه المحقق (شاكر) ٢٢٨/١٠ (طبعة دار المعارف) .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٥٥٣/١ كتاب فضائل القرآن وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد » ، ووافقه الذهبي .

ثالثا : الأدلة من أقوال السلف والعلماء :

قال ابن تيمية : « وقد قال كثير من السلف : إن المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به » ^(١) :

١ - قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : « يؤمن بالمحكم ويدين به ، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به ، وهو من عند الله كله » ^(٢) .

٢ - قول عائشة (رضي الله عنها) : « كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه » ^(٣) .

٣ - وقال الحسن في قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] قال : « يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ، ويكلمون ما أشكل عليهم إلى عالمه » ^(٤) وهذا جمع بين المتشابه الحقيقي والإضافي .

٤ - قول قتادة في آية آل عمران : « آمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه » ^(٥) .

٥ - وقال الضحاك : « نعمل بالمحكم ونؤمن به ، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به ، وكل من عند ربنا » ^(٦) .

٦ - قال محمد بن جعفر بن الزبير في قوله (تعالى) : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] يقول : « ما يذكر في مثل هذا ، يعني في رد تأويل المتشابه إلى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد إلا أولوا الألباب » ^(٧) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨٦/١٧ .

(٢) الإتيان للسيوطي ٤/٢ ، وتفسير الطبري ١٨٦/٣ .

(٣) الإتيان للسيوطي ٤/٢ .

(٤) تفسير الطبري ٥٢٠/١ .

(٥) تفسير الطبري ١٨٥/٣ .

(٦) تفسير الطبري ١٨٦/٣ .

(٧) تفسير الطبري ١٨٦/٣ .

٧ - وقال الربيع بن خثيم : « يا عبد الله ، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله ، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه ، لا تتكلف فإن الله يقول لنبيه : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص : ٨٦] ^(١) .

المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

الفائدة الأولى : قال أبو جعفر بن جرير الطبري (رحمه الله) ^(٢) : « وهذه الآية (آية آل عمران) وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معني بها كل مبتدع في دين الله بدعة ، فمال قلبه إليها ، تأويلا منه لبعض متشابه أي القرآن ، ثم حاج به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ، إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلبا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنا من كان ، وأي أصناف البدعة كان : من أهل النصرانية كان ، أو اليهودية ، أو المجوسية ، أو كان سبئيا ، أو حروريا ، أو قدريا ، أو جهميا ، كما قال النبي (ﷺ) : « فإذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم » ^(٣) ويشهد لكلام الطبري هذا ما قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٧] قال : « فيحملون المحكم على

(١) الاعتصام ٣٣٦/٢ ، وانظر : جامع بيان العلم ١١٨/٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٨١/٣ .

(٣) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن عائشة (رضي الله عنها) ولفظه « تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ إلى قوله ﴿ أولوا الألباب ﴾ قالت : قال رسول الله (ﷺ) فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » ٢٠٩/٨ . وفتح الباري « كتاب التفسير - باب منه آيات محكمات ... حديث رقم : ٤٥٤٧ ، ولفظ البخاري رواه مسلم في صحيحه ٢٠٥٣/٤ كتاب العلم - باب النهي عن اتباع المتشابه ... حديث رقم : ٢٦٦٥ .

المتشابه ، والمتشابه على المحكم ويلبسون ؛ فلبس الله عليهم » ^(١) .

الفائدة الثانية : قال الشاطبي (رحمه الله) : « من اتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها ، وبالعمومات من غير تأمل : هل لها مخصصات أم لا ؟ وكذلك العكس ، بأن يكون النص مقيدا فيطلق ، أو خاصا فيعم بالرأي من غير دليل سواء ، فإن هذا المسلك رمي في عماية ، واتباع للهوى في الدليل ، وذلك أن المطلق المنصوص على تقييده مشتبه إذا لم يقيد ، فإذا قيد صار واضحا » ^(٢) .

الفائدة الثالثة : قال معاذ بن جبل (رضي الله عنه) : « يقرأ القرآن رجلان : فرجل له فيه هوى ونية يفليه فلي الرأس ، يلتبس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس ، أولئك شرار أمتهم ، أولئك يعمي الله عليهم سبل الهدى ، ورجل يقرؤه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فلي الرأس فما تبين له منه عمل به ، وما اشتبه عليه وكله إلى الله ، ليتفقهن فيه فقها ما فقهه قوم قط ، حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة ، فليبعثن الله له من يبين له الآية التي أشكلت عليه ، أو يفهمه إياها من قبل نفسه » ^(٣) .

الفائدة الرابعة : فيهارد على أهل التفويض الذين جعلوا كثيرا من آيات الصفات والمعاد من قبيل المتشابه الذي اختص الله بعلمه ، فزعموا أن هذه الآيات والنصوص لا يعلم أحد من الناس - لا الرسول ولا جميع الأمة - معناها .

ولهذا قال ابن تيمية : « وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن وبين أن يقال : الراسخون في العلم يعلمون ؛ كان هذا الإثبات خيرا من ذلك النفي » ^(٤) .

(١) تفسير الطبري ١٧٧/٣ .

(٢) الاعتصام ٢٤٥/١ ، ٢٤٦ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٤/١٧ ، وذكر ابن تيمية أنه أثر معروف ، وعزاه إلى إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني والظلمنكي .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٠/١٧ .

الفائدة الخامسة : وفيها رد - أيضا - على أصحاب التأويل القائلين :
الراسخون يعلمون التشابه ، ليسمحوا لأنفسهم أن يخوضوا فيما يجب الإمساك عنه ؛
فإنهم ما أولوا نصوص الصفات ولا عطلوها عما دلت عليه ، حتى تصوروا كيفياتها
وظنوا أنها مشابهة لكيفيات المخلوقين فنفروا من ذلك وراموا التنزيه بامتطاء صهوة
التأويل ، ولهذا كان كل معطل مشبها ، لأنه لم يعطل إلا بعد أن تصور الكيفية .

الفائدة السادسة : المخالفون للكتاب والسنة يجعلون أقوالهم البدعية محكمة
يجب اتباعها واعتقاد موجبها ، ثم يجعلون ما يخالفها من نصوص الكتاب والسنة
متشابهة ، فإن كانوا ممن يرى الوقف - في آية آل عمران - عند لفظ الجلالة ،
قالوا : لا يعلم معناها - أي النصوص المخالفة لهم - إلا الله ، فيمنعون أن يعلم
معناها أحد من العالمين ، لا الرسول (ﷺ) ولا جبريل ولا أحد من المؤمنين ، وإن
كانوا ممن يرى الوصل جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا وإن كان مخالفا
للدين الذي جاء به الرسول (ﷺ) ^(١) ، ولهذا يجعل كل فريق المشكل والمتشابه
من النصوص غير ما يجعله الفريق الآخر :

فمنكر الصفات الخيرية ، الذي يقول : إنها لا تعلم بالعقل ، يقول :
نصوصها مشكلة متشابهة ، بخلاف الصفات المعلومة بالعقل - بعقله هو - فإنها
عنده محكمة بيّنة .

ومنكر الصفات مطلقا يجعل نصوصها مشكلة دون ما يثبت من نصوص
الأسماء الحسنی .

ومنكر المعاد وما وصفت به الجنة والنار يجعل نصوصه مشكلة ومتشابهة ،
وكذلك منكر القدر يجعل النصوص التي تثبت شمول القدرة وعموم المشيئة متشابهة .
ومنكر نصوص الوعيد يجعل ذلك مشكلا ، ومنكر نصوص الوعد يجعل
نصوصه مشكلة ، وهكذا ^(٢) .

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦١/١٧ ، ١٤٢/١٣ ، ١٤٣ ، والتحف في مذاهب السلف
للشوكاني ص : ٨ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٦ ، ١٧ .

الفائدة السابعة : نفاة الصفات والقدر أضل من النصارى والخوارج وغيرهم ؛ إذ كان هؤلاء قد أخذوا بالمتشابهة من كلام الله ورسوله وجعلوه محكما ، وجعلوا المحكم متشابها ، أما نفاة الصفات والقدر من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة ، والفلاسفة نفاة الصفات والمعاد ، فقد جعلوا ما ابتدعوه بأرائهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وإن خالف ما عليه الكتاب والسنة ، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء وإن كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابهة ^(١) .

الفائدة الثامنة : اتباع المتشابهة - أعني الحقيقي - وإن كان من جهة الاسترشاد به ، لا للفتنة - به - لا يحصل المقصود ، فما ظنك باتباعه ابتغاء الفتنة ^(٢) .

الفائدة التاسعة : جعل الشوكاني من أسباب ظهور الفرق الكلامية ، وتشعب مذاهبها ، وتفاوت طرائقها : عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم تحصيل أمر استأثر الله به ، حتى تفرقوا وتشعبوا شعبا ، وصاروا لأجله طوائف وأحزابا ^(٣) .

الفائدة العاشرة : أخرج الدارمي في سننه ^(٤) عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أعد له عراجين النخل ، فقال : « من أنت ؟ قال : أنا عبد الله صبيغ ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه ، وقال : أنا عبد الله عمر ، فجعل له ضربا حتى دمي رأسه ، فقال يا أمير المؤمنين حسبك ، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي » ولهذا قال الإمام الشافعي (رحمه الله) ^(٥) : « حكمت في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/١٤٣ ، والاعتصام ١/٢٢١ .

(٢) انظر : الاعتصام ١/٢٢٢ .

(٣) انظر : التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص : ٢ .

(٤) ٥٤/١ (المقدمة) - باب من هاب الفتيا وكره الشطع والتبدع - وقد تقدم تخريجه ص : ٤٥ .

(٥) شرح الطحاوية ص : ١١ .

الفائدة الحادية عشرة : موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والفقهاء في الدين كالإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري وإسحاق وغيرهم وهي رد التشابه إلى المحكم ، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسر لهم التشابه ويبينه لهم ، فتتفق دلالاته مع دلالة المحكم ، وتوافق النصوص بعضها بعضا ، ويصدق بعضها بعضا ، فإنها كلها من عند الله ، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض ، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره ^(١) ، قال ابن كثير (رحمه الله) : « فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه ، وحكّم محكمه على متشابهه عنده ، فقد أهتدى ، ومن عكس انعكس » ^(٢) .

★ ★ ★

(١) انظر : أعلام الموقعين ٢/٢٩٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٤٤ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) .

القاعدة العاشرة

حجية فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة

- صورة القاعدة .
- فقه القاعدة .
- السلف أعلم بلغة القرآن الكريم .
- السلف أعلم بتفسير القرآن الكريم .
- طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم .
- أدلة القاعدة .
- فوائد الالتزام بالقاعدة .

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

صورة القاعدة

إذا كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أقرب عصرا من النبوة ، وأعمق صلة بكلام الله ورسوله ، وأصح لسانا ، وأفصح بيانا : كان فهمهم لنصوص الكتاب والسنة - ولا سيما ما يتعلق منها بمسائل الاعتقاد - حجة على من بعدهم .

المبحث الأول : فقه القاعدة

ذكر الإمام الشاطبي (رحمه الله) في كتاب الموافقات أن من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقيق ، أخذه عن أهله المتحقيقين به على الكمال والتمام ، ثم ذكر أن من علامات هؤلاء العلماء :

أن يكون ممن رباه الشيوخ في ذلك العلم ، لأخذه عنهم وملازمته لهم ، فهو الجدير بأن يتصف بما اتصفوا به من ذلك ، وأن أول ذلك ملازمة الصحابة (رضي الله عنهم) لرسول الله (ﷺ) ، وأخذهم بأقواله وأفعاله ، واعتقادهم ما يرد منه كائناً ما كان ، وعلى أي وجه صدر ، فهم فهموا مغزى ما أراد به أولاً ، حتى علموا وتيقنوا أنه الحق الذي لا يعارض ، والحكمة التي لا ينكسر قانونها ولا يحوم النقص حول حمى كالمها ، وإنما ذلك بكثرة الملازمة وشدة المشاورة ...

ثم قال الشاطبي : « وصار مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم ، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي (ﷺ) حتى فقهوا ، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية » ^(١) .

ففضيلة الصحبة التي اختص بها الصحابة (رضوان الله عليهم) ، لا تعدلها - فضلاً عن أن تفوقها - فضيلة أخرى عند غيرهم من الناس ، فهم صفوة مختارة ، وثلة مجتابة ، كما قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد (ﷺ) خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء » ^(٢) ومصدق ذلك قول النبي (ﷺ) : « إن الله

(١) الموافقات ٩١/١ - ٩٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢١١/٥ حديث رقم : ٣٦٠٠ (طبعة المعارف) قال محققه (شاکر) : « إسناده صحيح » ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده بلفظ مقارب ٣٣/١ - مطبعة دار المعرفة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، وفي مجمع الزوائد ١٧٧/١ ، ١٧٨ قال الهيثمي : « رواه أحمد وأحمد والبيزار والطبراني في الكبير ، رجاله موثقون » .

اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين» (١) .

وهذه الخيرية لا شك أنها في كمال العلم ، وتمام الفهم عن الله ورسوله ، وصحة الدين ، وصدق العزم في الدعوة إلى الله وإلى شرعه ، يقول ابن تيمية (رحمه الله) : « وكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة » (٢) .

وقال قتادة (رحمه الله) في قوله (تعالى) : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبا : ٦] قال : « أصحاب محمد (ﷺ) » (٣) وقال سفيان (رحمه الله) في قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ [النمل : ٥٩] قال : « هم أصحاب محمد (ﷺ) » (٤) .

فالصحابة أئمة الأمة ، وأبرهم قلوبا ، وأعمقهم علما ، وأقلهم تكلفا ، وأصحهم قصودا ، وأكملهم فطرة ، وأتمهم إدراكا ، وأصفاهم أذهانا : شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ، وفهموا مقاصد الرسول ، وليس من سمع وعلم ، ورأى حال المتكلم كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع ، أو سمع وعلم بواسطة ، أو وسائط كثيرة . وعليه ، فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم متعين - قطعا - على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة (فضيلة الصحبة) (٥) :

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة الإصابة ١٣/١ ، ١٤ ، وقال : « روى البزار في مسنده بسند رجاله موثقون من حديث سعيد بن المسيب عن جابر ... » ثم ذكر الحديث .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص : ١٢٨ .

(٣) تفسير الطبري ٤٤/٢٢ (طبعة دار المعرفة) ، وانظر : أعلام الموقعين ١٤/١ .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في مقدمة الإصابة ١٤/١ ، ورواه البزار عن ابن شهاب وابن عباس . انظر : كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٦٢/٣ برقم : ٢٢٤٣ ، ١٦١/٣ برقم : ٢٤٨٠ . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م بيروت . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : « رواه البزار وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » ٨٧/٧ . وانظر : تفسير ابن كثير ٢١٠/٦ (طبعة الشعب) .

(٥) انظر : أعلام الموقعين ٧٩/١ ، ٨٠ ، ١٤٧/٤ - ١٥٠ ، ومختصر الصواعق ٣٤٥/٢ ، ٣٤٦ .

قال الشافعي (رحمه الله) : « وقد أثنى الله (تبارك وتعالى) على أصحاب رسول الله (ﷺ) في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله (ﷺ) من الفضل ما ليس لأحد بعدهم أدوا إلينا سنن رسول الله (ﷺ) ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسول الله (ﷺ) عاما وخاصا ، وعزما وإرشادا ، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا ، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه يبلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله (ﷺ) فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا ، أو قول بعضهم إن تفرقوا ، وهكذا نقول ، ولم نخرج عن أقوالهم ، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله » (١) .

وعليه ، فإن أهل السنة والحديث المشتغلين بعلم الرسول (ﷺ) وعلم بطائفة من أصحابه وحواريه ، هم أعلم الناس بهذا الموروث ، فتكون أحوالهم في الديانة علما ، وفهما ، وعملا ، واعتقادا ، لها ثقلها ، واعتبارها في فهم مراد الله ورسوله ، ولهذا كان الأخذ بالفتاوى الصحابية والآثار السلفية أولى من آراء المتأخرين وفتاويهم ، وأن أقربها إلى الصواب بحسب قرب أهلها من عصر النبوة ، فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها من فتاوى التابعين ، وفتاوى التابعين أولى من فتاوى تابعيهم ، وهلم جرا ، فكلما كان العهد بالرسول (ﷺ) أقرب كان الصواب فيه أغلب ، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد من أفراد المسائل ، فعصر التابعين وإن كان أفضل من عصر تابعيهم ، فإنما ذلك بحسب الجنس ، لا بحسب كل شخص ، وهكذا الصواب في أقوالهم وفتاويهم ، فالتفاوت بين علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والدين (٢) .

السلف أعلم بلغة القرآن الكريم :

لقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب ، جازيا على معهودهم في الكلام ، وعاداتهم في الخطاب ، فكل من كان من لسان العرب متمكنا كان للقرآن أشد فهما

(١) أعلام الموقعين ٨٠/١ ونسب ابن القيم هذا الكلام إلى رسالة الشافعي البغدادية ولعلها الصورة الأولى لرسالته المعروفة ، فقد كان كتبها لأهل بغداد ثم جدها ، فذهبت القديمة وبقيت الجديدة : انظر مقدمة أحمد محمد شاكر للرسالة ص : ١١ .

(٢) انظر : أعلام الموقعين ١١٨/٤ .

وأحسن إدراكا ، ولا يعلم أحد أفصح لسانا وأسد بيانا وأقوم خطابا من أهل القرون الأولى المفضلة وأولاهم في هذا الفضل والسبق أصحاب رسول الله (ﷺ) ، فلا يكون في الأمة من بعد القرون الأولى أحد أفصح منهم لسانا ، ومن ثم فلا يقدر أحد أن يفهم القرآن من هذه الجهة - جهة كونه عربيا - أفضل ولا أحسن من أصحاب القرون الأولى ، بل كل من جاء بعدهم فهو دونهم في الفصاحة والبيان ، والفهم والإدراك ، عقلا وحسا : وما تصانيف العربية وغريبها ومعاجمها - والتي ظهرت في العصور المتأخرة وهي تزداد كثرة وتنوعا كلما تأخر الزمان - إلا شاهد على صدق ما نقول :

قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها - أي العرب - حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ... وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها : لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ، ولا يعلمه إلا من قبله عنها ، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها » ^(١) ثم قال (رحمه الله) : « إنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب ، وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها » ^(٢) .

ولهذا كانت أول بدعة ظهرت في المسلمين من قبل العجمة ، قال الأوزاعي رحمه الله : « أول من نطق في القدر : رجل من أهل العراق يقال له سوسن ، كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد » ^(٣) ولهذا قيل : أهلكهم العجمة ^(٤) وقال الشافعي : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم

(١) الرسالة للشافعي ص : ٤٢ ، ٤٤ .

(٢) الرسالة ص : ٥٠ .

(٣) شرح أصول السنة - اللالكائي ٧٥٠/٤ رقم : ١٣٩٨ ، وانظر : الشريعة ص : ٢٤٢ .

(٤) قاله الحسن البصري - انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٩٣/٥ برقم ٢٥٩ .

لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس» ^(١) .

وقال السيوطي : « وقد وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداء الجهل بلسان العرب » ^(٢) .

وأخرج البيهقي عن الأصمعي أنه قال : « جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو ابن العلاء - يناظره في وجوب عذاب الفاسق - فقال له : يا أبا عمرو : الله يخلف وعده ؟ قال : لن يخلف الله وعده ، قال عمرو : فقد قال . قال : أين ؟ فذكر آية وعيد ... ، فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت ؛ الوعد غير الإيعاد ثم أنشد :
« وإني وإن أو عدته أو وعدته سأخلف إيعادي وأنجز موعدي » ^(٣)

السلف أعلم بتفسير القرآن الكريم :

ولما كان السلف بالمنزلة التي وصفتها من تمكنهم من العربية ، وهي لغة القرآن ، كان فهمهم له أرسخ ، وإدراكهم لمعانيه أعمق من غيرهم ، ممن جاء بعدهم ، إضافة إلى شدة حرصهم على حفظه ، وتعلم معانيه ، ومعرفة تفسيره من الرسول (ﷺ) فيما أشكل عليهم فهمه ، أو من بعضهم بعضاً ممن هو فوقهم في العلم والفهم : فما فهمه الصحابة والسلف من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم ، إذ اتفقت كلمتهم في باب معرفة الله (تعالى) ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، واليوم الآخر وغير ذلك من مسائل الاعتقاد والأصول ، ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف مشهور ولا شاذ ... ^(٤)

ولهذا كان من أحسن طرق تفسير القرآن الكريم : تفسير القرآن بالقرآن ، ثم بالسنة ، ثم بأقوال الصحابة والتابعين ^(٥) وطائفة من أهل الحديث جعلت تفسير

(١) صون المنطق ص : ١٥ .

(٢) صون المنطق ص : ٢٢ .

(٣) الجامع لشعب الإيمان ١٠٣/٢ - ١٠٥ .

(٤) انظر : الصواعق المرسلة ٥٠٩/٢ ، ٥١٠ .

(٥) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٣/١٣ - ٣٧٠ ، وتفسير ابن كثير ١٢/١ - ١٥ (طبعة

الشعب) ، ومختصر الصواعق ٣٣٦/٢ .

الصحابي في حكم المرفوع ^(١) : قال أبو عبد الله الحاكم في مستدركه : « ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين (البخاري ومسلم) حديث مسند » ^(٢) وذلك لما عرف عنهم من توقي القول في القرآن بغير علم .

ونص الإمام أحمد (رحمه الله) على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن إذا لم يخالفه غيره منهم ^(٣) .

ولا تجد كتابا من كتب السلف - ومن هم على طريقتهم من أهل السنة - إلا ويذكرون فيه أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ، يفسرون بها القرآن والحديث ويستدلون بها على من خالفهم ، ويعتصمون بها في معرفة الحق والصواب .

وما يوجد من اختلاف بين الصحابة والتابعين في تفسير بعض الحروف فأكثره اختلاف تنوع لا تضاد : فتارة يصفون الشيء الواحد بصفات متنوعة ، وتارة يذكر كل منهم من الحرف المفسر نوعا أو شخصا على سبيل المثال لا الحصر ، ومنهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ، ومنهم من ينص عليه بعينه ، يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها أقوالا ، وهي بمعنى واحد ^(٤) .

وأما اختلاف التضاد فقليل ، سببه : خفاء بعض العلم على بعضهم ؛ فإن الصحابة ليس كل فرد منهم تلقى من نفس الرسول (ﷺ) بلا واسطة جميع القرآن والسنة ، بل كان بعضهم يأخذ عن بعض ، ويشهد بعضهم في غيبة بعض ، وينسى هذا بعض ما حفظه صاحبه ، قال البراء بن عازب « ليس كل ما نحدثكم

(١) انظر : معرفة علوم الحديث للحاكم ص : ١٩ - ٢١ ، والمستدرک ٥٤٢/١ كتاب الدعاء ، ٣٤٥/٢ كتاب التفسير ، ٥٧٥/٤ كتاب الأحوال . وانظر : مختصر الصواعق ٣٤٦/٢ ، وأعلام الموقعين ١٥٣/٤ ، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي ص : ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢) المستدرک ٢٥٨/٢ كتاب التفسير .

(٣) انظر : مختصر الصواعق ٣٤٦/٢ ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ٤٢ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣٣/١٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ١٥/١ (طبعة الشعب) .

سمعناه من رسول الله (ﷺ) ولكن كان لا يكذب بعضنا بعضا » (١) .

ومع ذلك ، فيمتنع أن يقول بعض السلف من الصحابة والتابعين في كتاب الله الخطأ المحض ، ويمسك الباقون عن الصواب فلا يتكلمون به ؛ فيخلو عصرهم عن ناطق بالصواب ، وقائم بالحق ، حتى يكون ذلك فيمن بعدهم من المتأخرين ، هذا لا يكون بحال (٢) .

فمن لم يرجع إلى الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم ، في نقل معاني القرآن كما يرجع إليهم في نقل حروفه ، وإلى لغتهم وعاداتهم في الخطاب لفهم كلام الله ، فلا بد أن يرجع في ذلك إلى لغة مأخوذة عن غيرهم ، لأن فهم الكلام موقوف على معرفة اللغة ، وهو هنا إما أن يياشر عربا مثلهم في الفصاحة والبيان أو دونهم في ذلك : أما الأول : فإنه لو تيسر ذلك لم يكن كافيا في معرفة مراد الله ورسوله ، لأنه وإن كان بين ألفاظ الوحي وبين الألفاظ التي يتكلم بها العرب قدر مشترك ، فإن جنس ما دل عليه الوحي ليس من جنس ما يتخاطب به العرب ، فالرسول (ﷺ) جاءهم بمعان غيبية لم يكونوا يعرفونها ؛ كمسائل اليوم الآخر ، وكالصلاة والزكاة وغير ذلك ، فإذا عبر عنها بلغتهم كان بين معانيها وبين معاني تلك الألفاظ قدر مشترك ، ولم تكن مساوية لها ، بل تلك الزيادة التي من خصائص النبوة لا تعرف إلا منه (ﷺ) ، فالألفاظ لم تنقل عن معانيها اللغوية بالكلية ، ولم تبق على ما هي عليه في أصل الوضع ، بل خصصت تخصيصا شرعيا ... وهذا لا يعرف من جهة اللغة المحضة ، بل لابد من نقله عن مشكاة النبوة وأولى الناس بذلك هم أصحاب رسول الله (ﷺ) وورثته في العلم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان .

أما الثاني : وهو أن يياشر عربا دون السلف في الفصاحة والبيان ، فهذا استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير ، وعدول عن الطريق التي فيها من العلوم اليقينية ، والأمور الإيمانية ما لا يوجد في غيرها ، إلى ما هو دونها في ذلك كله ؛

(١) انظر : مختصر الصواعق ٣٤٠/٢ ، وانظر الأثر في مجمع الزوائد ١٥٤/١ ، والمحدث الفاصل

ص : ٢٣٥ برقم ١٣٣ .

(٢) انظر : أعلام الموقعين ١٥٥/٤ .

فيستبدل باليقين شكاً ، وبالظن الراجح وهماً ، وبالعلم جهالة ، وبالبیان عياً ، إلى غير ذلك مما لا يرضاه العاقل الحذق ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « ولا تجد إماماً في العلم والدين ؛ كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم ، إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة ، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة ، وهم يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب ... » ^(٢) .

ثم إن التابعين وتابعيهم قد حصل لهم من العلم بمراد الله ورسوله ما هو أقرب إلى منزلة الصحابة ممن هم دونهم ؛ وذلك لملازمتهم لهم ، واشتغالهم بالقرآن حفظاً وتفسيراً ، وبالحديث رواية ودراسة ، ورحلاتهم في طلب الصحابة وطلب حديثهم وعلومهم مشهورة معروفة ، ومن المعلوم أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم ، وهو بذلك أقوم : كان أحق بالاختصاص به ، ولا ريب أن أهل الحديث من سلف الأمة هم أعلم الناس وأخصهم بعلم الرسول (ﷺ) ، وعلم خاصته مثل الخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة المبشرين وغيرهم ، ولهذا كان عند علماء الحديث العلم بخاتمة الرسول ويطائفة ، كما أن خواص كل إمام هم أعلم من غيرهم بعلوم هذا الإمام وبواطنه ، قل ذلك في الفلاسفة والمتكلمين والقرامطة وغيرهم من أهل الملل والنحل ^(٣) .

طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم :

شاع عند المتأخرين من المتكلمين أن طريقة السلف أسلم وأن طريقة الخلف أعلم وأحكم ^(٤) :

(١) انظر : مختصر الصواعق ٢/٣٤٦ - ٣٤٩ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص : ١٢٨ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/٩١ - ٩٤ .

(٤) انظر : الكافية في الجدل لإمام الحرمين الجويني ص : ٣٤٦ ٣٤٧ تحقيق : د/فوقية حسن محمود - مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م القاهرة (بدون رقم الطبعة) ، وأساس التقديس ص : ٢٢٢ وما بعدها ، وانظر : جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني مع حاشيتها : تحفة المريد للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري ص : ٩١ - مطبعة الاستقامة القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، وانظر : شرح الطحاوية ص : ١٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « ومن هنا قال من قال من النفاة : إن طريقة الخلف أعلم وأحكم وطريقة السلف أسلم ، لأنه ظن أن طريقة الخلف فيها معرفة النفي ، الذي هو عنده الحق ، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات ، فكان في هذه عندهم : علم بمعقول ، وتأويل لمنقول ، ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف ، وكان فيه - أيضا - رد على من يتمسك بمبدلول النصوص ، وهذا عنده من إحكام تلك الطريق .

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم النصوص ، لتعارض الاحتمالات وهذا عنده أسلم ؛ لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان ، فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة ، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة .

فلو كان قد بُين وتبين لهذا وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات ، وفهم ما دلت عليه ، وتدبره ، وعقله ، وإبطال طريقة النفاة ، وبيان مخالفتها لصريح المعقول وصحيح المنقول - علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم ، وأهدى إلى الطريق الأقوم وأن طريقة النفاة المنافية لما أخبر به الرسول طريقة باطلة شرعا وعقلا ، وأن من جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الآيات ، وعدم إثبات ما تضمنته من الصفات ، فقد قال غير الحق : إما عمدا وإما خطأ ... وهؤلاء النفاة هم كذابون : إما عمدا وإما خطأ : على الله وعلى رسوله وعلى سلف الأمة وأئمتها ، كما أنهم كذابون : إما عمدا ، وإما خطأ . على عقول الناس ، وعلى ما نصبه الله (تعالى) من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية » (١) .

وهذه الدعوى (طريقة الخلف أحكم وأعلم من طريقة السلف) هي محاولة لبسط العذر للمتأخرين في مخالفتهم سلف الأمة وأئمتها ، فقالوا : السلف من الصحابة والتابعين لم يمهّدوا أصول الدين ولم يقرروا قواعده ، وذلك لانشغالهم بالجهاد وفتح البلاد ؛ كما يزعم أرياب السياسة والملك أنهم وضعوا من القواعد والمناهج لتسيير دفة الحكم ما ذهل عنه السلف لانشغالهم بالعلم والعبادة ؛ وكما يقوله أرياب التصوف

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣٧٨/٥ ، ٣٧٩ .

من أنهم حققوا من المقامات والأحوال ما قصر عنه السلف ، وذلك لانشغالهم بالجهاد والقتال ، أو بعلم الظواهر والرسوم ^(١) .

« فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف ، وعمق علومهم ، وقلة تكلفهم ، وكال بصائرهم . وتالله ، ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها ، وضبط قواعدها ، وشد معاقدها ، وهمهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء ، فالتأخرون في شأن ، والقوم في شأن آخر ، وقد جعل الله لك شيء قدرا » ^(٢) .

وبين ابن تيمية كيف أن السلف أعلم وأحكم من غيرهم ، وذلك أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم ، فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى مثل : المعقول ، والقياس ، والرأي ، والكلام ، والنظر ، والاستدلال ، والحاجة ، والمجادلة ، أو المكاشفة ، والمخاطبة ، والوجد ، والذوق ، ونحو ذلك ، قال شيخ الإسلام : « وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها ، فهم أكمل الناس عقلا ، وأعدلهم قياسا ، وأصوبهم رأيا ، وأسددهم كلاما ، وأصحهم نظرا ، وأهداهم استدلالا ، وأقومهم جدلا ، وأتمهم فراسة ، وأصدقهم إلهاما ، وأحدهم بصرا ومكاشفة ، وأصوبهم سمعا ومخاطبة ، وأعظمهم وأحسنهم وجدا وذوقا ، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم ، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل ... وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه قال (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ۖ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۖ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾

^(٣) [النساء : ٦٦ - ٦٨] .

(١) انظر : التسعينية لابن تيمية (ضمن الفتاوى الكبرى) ٣٠٥/٥ تقديم حستين محمد مخلوف - دار المعرفة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م بيروت (بدون رقم الطبعة) .

(٢) من كلام شارح الطحاوية (رحمه الله) شرح الطحاوية ص : ١٢ .

(٣) انظر : نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ص : ٧ ، ٨ تحقيق : الشيخ محمد عبد الرازق حمزة مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - القاهرة .

وقال (رحمه الله) في موضع آخر : « من آتاه الله علما وإيمانا ، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلا ما هو دون تحقيق السلف ، لا في العلم ولا في العمل ، ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات والعمليات علم أن مذهب الصحابة دائما أرجح من قول من بعدهم ... » ^(١) .

والمقصود بيان أن العهد كلما كان أقرب إلى عهد النبوة ، كان رجاله أكثر فهما لمقاصد الرسول ، وأعظم عمقا في إدراك معاني النصوص : وذلك لما خصوا به من فضيلة الاختيار والاجتهاد ، ومعرفة لغة التخاطب ، وكثرة صحبتهم واجتماعهم بصاحب الرسالة ، أو من نقل عنه من أصحابه ...

المبحث الثاني : أدلة القاعدة

وهي من القرآن والسنة والإجماع وأقوال العلماء ، والمعقول والفطرة .

أولا : دلالة القرآن الكريم على القاعدة :

وذلك من وجوه ، أذكر طرفا منها :

١ - قوله (تعالى) : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] والوسط : الخيار العدل ، فالصحابة خير الأمة ، وأعد لها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم ، وهذا استحقاق أن يكونوا شهداء للرسول على أممهم يوم القيامة ^(٢) ، والله (تعالى) يقبل شهادتهم عليهم ، فهم شهداؤه ، والشاهد المقبول عند الله هو الذي يشهد بعلم وصدق فيخبر بالحق مستندا إلى علمه به ، كما قال (تعالى) :

(١) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص : ٤١٧ - المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ -

دمشق .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢٧٥/١ ، ٢٧٦ (طبعة الشعب) .

﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف : ٨٦] ^(١) فمن خالفهم فقد خالف الحق الذي شهدوا به ؛ لأنه ليس مع الخلق شيء من الحق خلاف ما شهد به الصحابة ، هذا لا يكون ، فمن شهدوا له كان معهم وكان هو على الحق بشهادتهم له ، ومن لم يشهدوا له لم يكن معهم ، ولم يكن هو على الحق ^(٢) .

٢ - قوله (تعالى) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة : ١١٩] قال عبد الله بن عمر : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » : مع محمد (ﷺ) وأصحابه ^(٣) وقال الضحاك : « مع أبي بكر وعمر وأصحابهما » ^(٤) .

وهذه المعية المأمور بها في هذه الآية لا شك أنها معية ائتمام واقتداء في العلم والفهم والعمل والاعتقاد ، وأن من خالفهم في شيء من ذلك - وإن وافقهم في غيره - لم يكن معهم فيما خالفهم فيه ، فيحتذ يصدق عليه أنه ليس معهم ، فتنتفي عنه المعية المطلقة - لا سيما إذا خالفهم في أمور الاعتقاد - وإن بقي له قسط من المعية فيما وافقهم فيه ^(٥) ...

٣ - قوله (تعالى) : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُتَجَرِّبِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

(١) انظر : أعلام الموقعين ١٣٣/٤ .

(٢) انظر : بحث : اعتقاد أهل السنة والجماعة وفقههم أساس معرفة الصحابة وتاريخهم د/محمد رشاد خليل ص : ٢٣٧ ، وهو ضمن : بحوث ودراسات في أصول الدين - إعداد : كلية أصول الدين بالرياض - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م الرياض .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره ١٧٠/٤ (طبعة الشعب) وروى الطبري نحوه عن نافع . انظر تفسير الطبري ٦٣/١١ .

(٤) تفسير الطبري ٦٣/١١ ، وقد ذكر جلال الدين السيوطي عدة روايات في هذا المعنى . انظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢٨٩/٣ ، ٢٩٠ (وبهامشه تفسير ابن عباس) الناشر : محمد أمين دج - المطبعة الميمنية ١٣١٤ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) ، وانظر : تفسير ابن كثير ١٧٠/٤ (طبعة الشعب) .

(٥) انظر : أعلام الموقعين ١٣٢/٤ .

روى ابن جرير بسنده عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : « مر عمر ابن الخطاب برجل يقرأ : ﴿ وَالسَّيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ حتى بلغ (ورضوا عنه) قال : وأخذ عمر بيده ، فقال من أقرأك هذا ؟ قال : أُمِّي بن كعب . قال : لا تفارقني حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم . قال : أنت سمعتها من رسول الله (ﷺ) ؟ قال : نعم . قال : لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا . فقال أُمِّي : بلى ، تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة : ٣] وفي سورة الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر : ١٠] وفي الأنفال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧٥] (١) .

وعمر بن الخطاب كان يقرأ الآية برفع (الأنصار) وبعدم إلحاق الواو في « والذين اتبعوهم » فبين له أُمِّي قراءة الخفض وإلحاق الواو (٢) قال عمر : « لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا » .

والاتباع للسابقين إن لم يكن في الدين والعلم والإيمان ففي أي شيء يكون ؟

قال الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية : « فإيا ويل من أبغضهم أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني : الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر ابن أبي قحافة (رضي الله عنه) فإن الطائفة المخدولة من الرافضة يعادون أفضل

(١) تفسير الطبري ٨/١١ .

(٢) تفسير الطبري ٨/١١ .

الصحابه ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذا بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ؛ إذ يسبون من رضي الله عنهم ... » (١) .

ثانيا : دلالة السنة النبوية على القاعدة :

وذلك من وجوه ، أذكر طرفا منها :

١ - قوله (ﷺ) : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ... » (٢) .

وهذه الخيرية خيرية دين وعلم وفضل ، فلا يجوز أن تخلوا هذه العصور الفاضلة من الحق والصواب ، حتى يكون فيمن بعدهم من أهل القرون المفضولة من يعلمه ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون هذا القرن المتأخر خيرا من القرون الفاضلة ، ولو في هذا الوجه ، وهذا ما يدل نص الحديث على بطلانه ؛ بل يجب تقديمهم على من بعدهم في كل باب من أبواب الخير (٣) .

٢ - قوله (ﷺ) في الفرقة الناجية : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (٤) فكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية لزمه أن يركب سفينتها ، وسفينة النجاة : ما عليه النبي (ﷺ) وأصحابه : من العلم والاعتقاد والعمل الصالح . ومن يرغب عنها ، فقد سفه نفسه .

٣ - قوله (ﷺ) : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٥) .

قال ابن القيم (رحمه الله) : « فقرن سنة خلفائه بسنته ، وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته ، وبالع في الأمر بها حتى أمر بأن يعض عليها بالنواجذ ... » (٦) .

(١) تفسير ابن كثير ١٤٢/٤ (طبعة الشعب) .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٣٥ .

(٣) وانظر : أعلام الموقعين ١٣٦/٤ .

(٤) تقدم تخريجه ص : ٣٦ .

(٥) تقدم تخريجه ص : ٢٧ .

(٦) أعلام الموقعين ١٤٠/٤ .

٤ - قوله (ﷺ) : « اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » ^(١) أي عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهم جميعا) .

والاقتداء بهؤلاء الصحابة فيه مزيد خصوصية على الاهتداء بعامتهم ، وهذا أمر منه (ﷺ) بمتابعتهم في الدين والهدى والعلم والإيمان . فإن لم يكن الصواب معهم لما أمر بمتابعتهم والاقتداء بهم (رضي الله عنهم) .

ثالثا : دلالة الإجماع وأقوال العلماء على القاعدة :

أ - الإجماع : حكى شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على « أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة - أن خيرها : القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة : من علم وإيمان ، وعقل ودين ، وبيان ، وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علم ... » ^(٢) .

ب - أقوال علماء الأمة وأئمتها :

١ - من شعار أهل السنة بيان عظم منزلة الصحابة والسلف الصالح عندهم ، حتى صاروا يذكرون ذلك في جملة عقائدهم ، مظهرين مباينتهم للمتقصين لهم ، والغالين فيهم من فرق الرافضة والخوارج ، حتى قال الإمام أحمد (رحمه الله) : أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله (ﷺ)

(١) رواه الحاكم في مستدركه ٧٥/٣ كتاب معرفة الصحابة وصححه ، ووافقه الذهبي . والترمذي في سننه ٣٥٣/٩ كتاب المناقب - باب مناقب عبد الله بن مسعود - حديث رقم : ٣٨٠٧ ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ... » ، وانظر : ٣٤٨/٩ منه - باب مناقب عمار بن ياسر - حديث رقم : ٣٨٠١ وحسنه . وانظر : مسند الإمام أحمد ٣٨٥/٥ ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة - المجلد الثالث - حديث رقم : ١٢٣٣ - مكتبة المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الرياض .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٤ ، ١٥٨ .

والاقتداء بهم ، وترك البدع ... » (١) .

وقال ابن تيمية (رحمه الله) « ... ثم من طريقة أهل السنة والجماعة : اتباع آثار رسول الله (ﷺ) باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار » (٢) .

٢ - قول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « إن الله (عز وجل) نظر في قلوب العباد فاختر محمدًا فبعثه برسالاته وانتخبه بعلمه ، ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختر له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه (ﷺ) ، فما رآه المؤمنون حسنا ، فهو عند الله حسن ، وما رآه قبيحا فهو عند الله قبيح » (٣) .

وقال ابن مسعود : « من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد (ﷺ) فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه (ﷺ) وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوه في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » (٤) .

٣ - وقال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) : « اتقوا الله يا معشر القراء ، خذوا طريق من كان قبلكم ، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا » (٥) .

(١) طبقات الحنابلة ٢٤١/١ ، وشرح السنة - اللالكائي ١٥٦/١ برقم : ٣١٧ ، وتحريم النظر لابن قدامة ص : ٢٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٣ .

(٣) رواه الطيالسي في مسنده ٣٣/١ ، وتقدم تخريجه ص : ٥٠٤ .

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١١٩/٢ ، ونحوه في مشكاة المصابيح ٦٧/١ ، ٦٨ كتاب الإيمان - باب الاعتصام بالكتاب والسنة أثر رقم : ١٩٣ . قال محققه (الألباني) : منقطع . وانظر : الموافقات ٧٩/٤ ، وأعلام الموقعين ١٣٩/٤ .

(٥) رواه محمد بن وضاح الأندلسي في كتابه : البدع والنهي عنها ص : ١٠ - دار الرائد العربي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بيروت ، وابن عبد البر في جامع العلم ١١٩/٢ ، وأصله في صحيح البخاري ٢٥٠/١٣ « فتح الباري » كتاب الاعتصام بالسنة - باب الاقتداء بسنن رسول الله (ﷺ) ... حديث رقم : ٧٢٨٢ ولفظه : « يا معشر القراء ، استقيموا ، فقد سبقتم سبقا بعيدا ، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتكم ضلالا بعيدا » ، وانظر : السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١٨/١ ، ١٩ .

٤ - وكتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول : « إن قبلنا قوما يقولون : لا قدر ، وكتب إلي برأيك فيهم ، وكتب إلي بالحكم فيهم » فكتب إليه ... وكان في كتابه : « ... فعليكم بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافتها من الخطأ والزلل ، والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم عن علم وقفوا ، وبصر ناقد كفوا ، وإنهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبالفضل لو كان فيها أخرى ، فلئن قلت : أمر حدث بعدهم ، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورجب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصر ، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فضلوا ، وإنهم بين ذلك لعلّى هدى مستقيم ... » ثم قال : « فلئن قلت : قد قال الله (عز وجل) في كتابه كذا وكذا ، ولم أنزل الله (عز) آية كذا وكذا ؟ لقد قرعوا منه ما قد قرأتم ، وعلموا من تأويله ما جهلتم ... » ^(١) وقال عمر بن عبد العزيز - أيضا - : « سن رسول الله (ﷺ) وولاة الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله (عز وجل) واستكمال لطاعته ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ، ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سنوا اهتدى ، ومن استبصر بها بصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله (عز وجل) ما تولاها وأصلاه جهنم وساءت مصيرا » ^(٢) قال ابن القيم (رحمه الله) : « كان مالك بن أنس وغيره من الأئمة يستحسنونه ويحدثون به دائما » ^(٣) أي بكلام عمر المتقدم .

٥ - وقال إبراهيم النخعي (رحمه الله) : « لم يُدخِر لكم شيء خبيء عن القوم لفضل عندكم » ^(٤) .

(١) رواه الآجري في الشريعة ص : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وكذا أبو داود في سننه ١٨/٥ - ٢٠

كتاب السنة - باب لزوم السنة - أثر رقم : ٤٦١٢ . وانظر : تحريم النظر لابن قدامة ص : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) رواه اللالكائي في شرح السنة ٩٤/١ أثر رقم : ١٣٤ ، والآجري في الشريعة ص : ٤٨ ، ٦٥ ،

٣٠٧ ، وابن عبد البر في جامع العلم ٢٢٨/٢ .

(٣) أعلام الموقعين ١٥١/٤ ، وانظر الموافقات ٧٩/٤ ، والاعتصام ٢٦٣/٢ .

(٤) الموافقات ٧٨/٤ .

٦ - وقال الأوزاعي (رحمه الله) : « اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم ... ولو كان هذا خيرا ما خصصتم به دون أسلافكم ، فإنه لم يدخر عنهم خير خبيء لكم دونهم لفضل عندكم ، وهم أصحاب نبيه (ﷺ) الذين اختارهم وبعثه فيهم ، ووصفهم بما وصفهم به فقال : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح : ٢٩] (١) .

رابعا : دلالة العقل على القاعدة :

وذلك من وجوه ، أذكر منها وجهين :

الأول : من المعلوم أنه كل من كان بالمتبوع ألصق ، كان بأقواله وأحواله ، وإراداته أحذق وأعرف ، من غيره ممن لم يشركه في هذه الخصلة ، ومعلوم أن أسعد الناس بهذه المعرفة هم أصحاب الرسول (ﷺ) وحواريوه الذين صحبوه ، وشاهدوا التنزيل ، وعايينوا الوقائع ، وعرفوا التأويل ، حتى رضي الله عنهم : دينهم وعلمهم وفهمهم : ﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح : ٢٦] ثم يأتي التابعون وتابعوهم من أهل السنة والجماعة المشتغلين بحديث رسول الله (ﷺ) رواية ودراية ، والتزاما وتطبيقا ، حتى قال الشافعي (رحمه الله تعالى) : « إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأنني رأيت النبي (ﷺ) حيا » (٢) .

الثاني : لو قدر أن رهطا من الناس يريد بلدة معينة ، لتكن مكة - مثلا - وأمامهم أكثر من طريق ، أحدها يوصل إلى الغاية من غير تعيين ، وبينما هم في حيرة من أمرهم إذ طلع عليهم رجل دال ، خبير بالطريق الموصلة ، فعينها لهم ؛ فصدقته

(١) رواه اللالكائي في شرح السنة ١/١٥٤ ، ١٥٥ برقم : ٣١٥ ، وابن قدامة في تحريم النظر ص : ٢٣ .

(٢) رواه عنه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص : ٤٦ برقم : ٩٠ .

طائفة وسارت حتى وصلت الغاية ، وتأخرت الأخرى ، حتى بلغها وصول الطائفة الأولى ، أفيجوز لعامل منهم أن يرغب بنفسه عن متابعتهم على الطريق نفسها ، إن هو أراد الوصول والفلاح ؟

فهؤلاء أصحاب رسول الله (ﷺ) قد أخبرنا الله أنه رضي عنهم ، وأنهم مبشرون بالجنة ، بل نص على عشرة منهم ^(١) ، وفيهم الصديق ، والحديث الملهم ^(٢) ، ومن شهادته تعدل شهادتين ^(٣) ومن حكم فوافق حكمه حكم الله من فوق سبع سموات ^(٤) ، ومن قال : إني أجد ريح الجنة ^(٥) ، وهؤلاء أصحاب بئر معونة وهم سيعون من القراء يقولون حين غدر بهم وقتلوا : « بلغوا عنا قومنا ، أنا لقينا ربنا ، فرضي عنا وأرضانا » ^(٦) .

فكيف يجوز لمن بعدهم أن يلتمس الهدى : علما وفهما وعملا ، في غير طريقهم ؟

-
- (١) حديث العشرة المبشرين بالجنة رواه أبو داود في سننه ٣٩/٥ كتاب السنة - باب في الخلفاء - حديث رقم : ٤٦٤٩ ، والترمذي في سننه ٣٢٣/٩ كتاب المناقب - مناقب سعيد بن زيد حديث رقم : ٣٧٥٨ قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه في سننه ٢٨/١ (صحيح ابن ماجه) - المقدمة - باب في فضائل أصحاب رسول الله (ﷺ) حديث رقم : ١١١ ، وصححه الألباني . والعشرة هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنهم جميعا) .
- (٢) وهو : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . انظر : صحيح البخاري ٤٢/٧ « فتح الباري » كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب حديث رقم : ٣٦٨٩ .
- (٣) وهو : خزيمة بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) . انظر : صحيح البخاري ٥١٨/٨ « فتح الباري » كتاب التفسير - باب « فممنهم من قضى نحبه ... » حديث رقم : ٤٧٨٤ .
- (٤) وهو : سعد بن معاذ (رضي الله عنه) . انظر : صحيح البخاري ٤١١/٦ « فتح الباري » كتاب المغازي - باب مرجع النبي (ﷺ) من الأحزاب ... حديث رقم : ٤١٢١ .
- (٥) وهو : أنس بن النضر (رضي الله عنه) انظر : صحيح البخاري ٢١/٦ « فتح الباري » كتاب الجهاد - باب قول الله (عز وجل) : « من المؤمنين رجال صدقوا ... » حديث رقم : ٢٨٠٥ .
- (٦) صحيح البخاري ٣٨٥/٦ « فتح الباري » كتاب المغازي - باب غزوة الرجيع حديث رقم : ٤٠٩٠ .

خامسا : دلالة الفطرة على القاعدة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « من المحال أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله (ﷺ) ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين ، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك : إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق ، وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع :

أما الأول : فلائن من في قلبه حياة ، وطلب للعلم ، أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب ، والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه ، أكبر مقاصده وأعظم مطالبه ، ... وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر ، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية ، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ؟ ! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق ، وأشدهم إعراضا عن الله ، وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله (تعالى) ، فكيف يقع في أولئك ؟ أما كونهم معتقدين فيه غير الحق ، أو قائلية : فهذا لا يعتقده مسلم ، ولا عاقل عرف حال القوم » (١) .

* * *

المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة العاشرة

الفائدة الأولى : من أعظم الأصول التي تميز أهل السنة والجماعة على مر العصور هو تمسكهم بكتاب الله (تعالى) وسنة نبيه (ﷺ) وإجماع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ، فكان هذا الأصل عاصما لهم من التفرق والاختلاف ،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٥ ، ٨ .

وتضارب العقول والأهواء ، فمن غير الصحابة وتابعيهم أفقه بكتاب الله (تعالى) وأعلم بسنة نبيه (ﷺ) ^(١) ؟ قال عمر بن الخطاب لابن عباس (رضي الله عنهم) : « كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحد ، وقبلتها واحدة ؟ ! فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه ، وعلمنا فيمن نزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيمن نزل ، فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اختلفوا ... » ^(٢) .

الفائدة الثانية ^(٣) : النظر في عمل السلف وفهمهم للدليل ، شاهد على صحة الاستدلال به ، ومصدق له ، فعمل السلف بالدليل مخلص له من شوائب الاحتمالات المقدرة ، قاطع بوجه معين ، ومبين للمجمل ، ورافع للإشكال ، ودافع للإيهام .

وأيضاً - قد يقع في نظر بعض الناس ما يظنه تعارضاً بين الأدلة ، وقد تقدم أنه لا تعارض بين أدلة الشرع ، فبالنظر في هدي السلف يزول هذا التعارض الظاهر ويندفع .

قال الشاطبي (رحمه الله) : « فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون ، وما كانوا عليه في العمل به ، فهو أخرى بالصواب ، وأقوم في العلم والعمل » ^(٤) .

الفائدة الثالثة : كل ما سكت عنه الصحابة والسلف وتكلم فيه الخلف ، وذلك فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان ، كان السكوت فيه أولى وأليق ، ولم يأت

(١) انظر : أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادي المصري ص : ٣٠ - دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م الرياض .

(٢) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام المفروني في « كتاب فضائل القرآن ومعالمه وأدبه ص : ٤٢ برقم : ٩٥ بتحقيق : محمد تيجاني جوهرى - وهو رسالة ماجستير - مطبوع على الآلة الكاتبة - جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدارسات الإسلامية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م مكة المكرمة .

(٣) انظر : الموافقات ٧٦/٣ .

(٤) الموافقات ٧٧/٣ .

فيه الخلف إلا بباطل من القول وزورا (١) .

الفائدة الرابعة : حسم مادة الابتداع والضلال ، لأن كثيرا من فرق الضلال يتعلق ببعض ظواهر النصوص فيوجهها - ليا وتحريفا - لنصرة مذهبه ، وتأيد بدعته . وفهم السلف لهذه النصوص هو الفيصل وهو الحق ، وليس دونه إلا الضلال والشقاق : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

الفائدة الخامسة : استعمال السلف وأهل السنة هذه القاعدة في الرد على الخصوم ، وأذكر لذلك نماذج :

الأول : قول ابن عباس (رضي الله عنهما) للخوارج يوم أن ناظرهم : « جئكم من عند أصحاب رسول الله (ﷺ) وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله (ﷺ) وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله » (٢) .

وفي هذا الكلام العظيم الرصين فوائد عدة ، منها :

١ - بيان أن أهل البدع ليس فيهم أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) ، مع العلم أن أصول جميع الفرق قد ظهرت في عهدهم ، فلم تجد منهم إلا الإنكار والتشنيع .

٢ - أن كل فرقة أو طائفة أو مذهب ليس فيهم أحد من الصحابة - أو مذهب الصحابة وطريقتهم في الديانة - فهم على ضلالة اجتمعوا ، ولبدعة أسسوا .

٣ - أن الانحياز إلى جانب الصحابة ، أعني مذهبهم ، والتمسك بطريقتهم هو عين الفلاح ، وأساس النجاة .

٤ - أنه يحتاج على كل أحد بما كان عليه الصحابة ، وليس العكس .

٥ - أن الصحابة أعلم بتأويل القرآن ، وذلك لمشاهدتهم نزوله ، ومعانيهم وقائعه ، ففهمهم له ، وفقههم فيه مقدم على فهم كل أحد - ممن هو دونهم - وفقهه .

(١) انظر : اعتقاد أهل السنة والجماعة لمحمد رشاد خليل ص : ٢٣٨ ، ٢٣٩ (بحث ضمن بحوث ودراسات في أصول الدين) .

(٢) جامع بيان العلم ١٢٧/٢ والقصة تقدم تخريجها ص : ٣٤٧ .

الثاني : روى الحافظ الدارقطني بسنده إلى عباد بن العوام ^(١) قال : « قدم علينا شريك بن عبد الله ^(٢) ، فقلنا له : يا أبا عبد الله ، إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : « إن الله (عز وجل) ينزل إلى سماء الدنيا » ^(٣) ، و (إن أهل الجنة يرون ربهم) ^(٤) فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا ، وقال : أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين ، عن أصحاب رسول الله (ﷺ) ، فهم عمن أخذوه ؟ » ^(٥) .

الثالث : نقل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن الشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه : « الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول » وذلك عند كلامه عن التأويل ^(٦) الذي قد يرد عن السلف ، مثل : استوى بمعنى استقر ، (وهو معكم) أي علمه . قال : « إن كان السلف صحابيا فتأويله مقبول ، متبع ، لأنه شاهد الوحي والتنزيل ،

(١) هو : أبو سهل عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر الإمام المحدث الصدوق . حدث عن : أبي مالك الأشجعي ، وأبي إسحاق الشيباني وجماعة . وعنه : أحمد بن حنبل ، والحسن بن عرفة وآخرون . كان من نبلاء الرجال في كل أمر . توفي سنة بضع وثمانين ومائة . انظر : السير للذهبي ٤٤٩/٨ ، ٤٥٠ ترجمة رقم : ١٣٤ ، وتهذيب التهذيب ٩٩/٥ ، ١٠٠ ترجمة رقم : ١٦٨ .

(٢) هو : أبو عبد الله النخعي الحافظ القاضي ، أحد الأعلام على لين ما في حديثه . ووثقه ابن معين . أدرك شريك عمر بن عبد العزيز وسمع من سلمة بن كهيل وغيره ، وروى عنه : أبان بن تغلب ، ومحمد بن إسحاق وجماعة . ولي قضاء الكوفة في عهد المأمون . توفي سنة : ١٧٧ هـ عن نيف وثمانين سنة . انظر : السير للذهبي ١٧٧/٨ وما بعدها ترجمة رقم : ٣٧ ، وشذرات الذهب ٢٨٧/١ . حوادث سنة ١٧٧ هـ .

(٣) حديث النزول رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسائيد . انظر - مثلاً - : صحيح البخاري ٢٩/٣ « فتح الباري » كتاب التهجد - باب الدعاء والصلاة من آخر الليل - حديث رقم : ١١٤٥ .

(٤) إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وردت بها أحاديث صحاح . انظر - مثلاً - صحيح مسلم ١٦٣/١ وما بعدها . كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ... وباب معرفة طريق الرؤية حديث رقم : ١٨٠ وما يليه من أحاديث .

(٥) كتاب الصفات للحافظ علي بن عمر الدارقطني ص : ٤٣ تحقيق : عبد الله الغنيمة - مكتبة الدار - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ المدينة المنورة . ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة ٥٨/١ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٥١ .

(٦) وهو بمعنى التفسير عند السلف . انظر : فصل التأويل في الباب الثالث ص : ٥٢٢ وما بعدها .

وعرف التفسير والتأويل ، ... فأما إذا لم يكن السلف صحابيا نظرنا في تأويله ، فإن تابعه عليه الأئمة المشهورون من نقلة الأحاديث والسنة ، ووافقه الثقات الأئبات تابعناه ، وقبلناه ووافقناه ، فإنه وإن لم يكن إجماعا حقيقة إلا أن فيه مشابة الإجماع ، إذ هو سبيل المؤمنين ، وتوافق المتقين ، الذين لا يجتمعون على الضلالة » ^(١) .

الرابع : قول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في مناظرة الواسطية ^(٢) :
 « وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها - أي العقيدة الواسطية التي كتبها ابن تيمية إلى قضاة واسط - ثلاث سنين ، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة - التي أثنى عليها النبي (ﷺ) ، حيث قال : « خير القرون القرن الذي بعث فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ^(٣) - يخالف ما ذكرته ، فأنا أرجع عن ذلك ، وعلي أن آتي بنقول جميع الطوائف - عن القرون الثلاثة ، توافق ما ذكرته - من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، والأشعرية ، وأهل الحديث ، والصوفية ، وغيرهم » . ثم قال في موضع قريب ^(٤) : « ولم يستطع المنازعون مع طول تفتيشهم كتب البلد ، وخزائنه أن يخرجوا ما يناقض ذلك عن أحد من أئمة الإسلام وسلفه » .

★ ★ ★

(١) نقض أساس التقديس لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢١٦/٣ ، ٢١٧ مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود تحت الرقم : ٢٥٩٠ .

(٢) ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٩/٣ .

(٣) تقدم تخريجه ص : ٣٥ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٧/٣ .

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in financial matters. The text outlines various methods for organizing and storing data, including digital databases and physical filing systems.

2. The second section focuses on the role of communication in project management. It highlights the need for clear, concise, and timely communication between team members and stakeholders. The text provides guidelines for effective communication, such as using appropriate channels and formats, and encourages the use of regular meetings and reports to keep everyone informed.

3. The third part of the document addresses the challenges of resource allocation and management. It discusses the importance of understanding the capabilities and limitations of available resources, and provides strategies for optimizing their use. The text also touches on the need for flexibility and adaptability in the face of changing circumstances.

4. The final section discusses the importance of continuous improvement and learning. It encourages the organization to regularly evaluate its performance and processes, and to implement changes based on feedback and lessons learned. The text emphasizes that a culture of learning and innovation is essential for long-term success.

الباب الثالث

لوازم منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة

ويتضمن خمسة فصول :

بينت في أربعة منها موقف أهل السنة من أهم وأخطر القضايا التي أثّرت في الساحة الإسلامية ، وفي الخامس ذكرت بعض القواعد التي تعين في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم ، فكانت الفصول على النحو التالي :

- الفصل الأول : موقف أهل السنة من التأويل .
- الفصل الثاني : موقف أهل السنة من التفويض .
- الفصل الثالث : موقف أهل السنة من المنطق الأرسطي .
- الفصل الرابع : موقف أهل السنة من الكشف والرؤى .
- الفصل الخامس : قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم .

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

الفصل الأول

موقف أهل السنة من التأويل

ويتضمن ستة مباحث :

- المبحث الأول : معنى التأويل في اللغة والاصطلاح .
- المبحث الثاني : التأويل بين اصطلاح السلف واصطلاح الخلف .
- المبحث الثالث : التأويل الحق هو معرفة مراد المتكلم .
- المبحث الرابع : موقف الإمام أحمد من التأويل .
- المبحث الخامس : الأدلة على بطلان مذهب أصحاب التأويل .
- المبحث السادس : موقف السلف وأهل السنة وجهامير العلماء من قضية التأويل .

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

المبحث الأول معنى التأويل في اللغة والاصطلاح

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى التأويل في اللغة

وردت لفظة التأويل التي مادتها آل في معاجم اللغة تحمل هي واشتقاقاتها أربعة معان (١) :

الأول : المرجع والمصير والعاقبة :

آل يؤول أولاً ومآلاً : رجع ، وآل عنه ارتد ، وآل الملك رعيته إذا ساسهم وأحسن رعيته ، وقيل ذلك لأنهم يرجعون إليه في أمورهم . وآل الرجل : أهله وأتباعه وأولياؤه ، قال ابن عرفة : « يعني من آل إليه بدين أو مذهب أو نسب » (٢) .

ويقال : طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع أي رجع . والأيل (وهو الذكر من الأوعال) سمي بذلك لأنه يؤول إلى الجبال يتحصن فيها . ومنه المأل والمؤل : أي الملجأ ، قاله الليث (٣) .

وقال الراغب : « التأويل : رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولاً كان أو فعلاً » (٤) أي العاقبة ، وقال ابن فارس : « ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٤٣٧/١٥ - ٤٤٢ مادة آل ، ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ١٥٩/١ - ١٦٢ مادة أول ، تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م مصر . ومجمل اللغة لابن فارس ٢١٧/١ تحقيق الشيخ هادي حسن حمودي - منشورات معهد المخطوطات العربية الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م الكويت ، ولسان العرب ٣٢/١١ - ٤٠ مادة أول والقاموس المحيط ٣٢٠/٣ مادة آل ، وتاج العروس ٢١٤/٧ - ٢١٦ مادة أول .

(٢) انظر : تاج العروس ٢١٦/٧ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة ٤٤٢/١٥ .

(٤) تاج العروس ٢١٥/٧ .

وما يؤول إليه ، وذلك قوله (تعالى) : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف : ٥٣]
يقول ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم ^(١) . وقال في موضع آخر : « وأما
التأويل فأخر الأمر وعاقبته ، يقال إلى أي شيء مآل هذا الأمر ؟ أي مصيره وآخره
وعقباه » ^(٢) .

وقال الأعشى :

« على أنها كانت تأول حبها تأول ربي السقاب فأصحابا » ^(٣)

قال ابن فارس : « يقول إن حبها كان صغيرا في قلبه فآل إلى العظم ، ولم يزل
ينبت ، حتى أصبح ، فصار كالسقب الذي لم يزل يشب حتى أصبح ، يعني
أنه إذا استصحبته أمه صاحبها » ^(٤) .

المعنى الثاني : التغير :

آل اللبن والعسل والشراب ونحوه إذا خثر ، والإيال : وعاء يجمع فيه الشراب
أياما حتى يجود ، وآل جسم الرجل : إذا نحف .

المعنى الثالث : التفسير :

أول الكلام تأويلا ، وتأوله : دبره ، وقدره وفسره ، وسئل أبو العباس أحمد بن
يحيى عن التأويل فقال : « التأويل والمعنى والتفسير واحد » ^(٥) وهو صنيع أبي عبيدة
في مجاز القرآن ، قال محققه : « ... فإن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه
الكلمات : مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا ، وغريبه وتقديره ، وتأويله ، على
أن معانيها واحدة أو تكاد » ^(٦) وقال أبو عبيدة : « التأويل : التفسير » وفسره أيضا

(١) معجم مقاييس اللغة ١/١٦٢ .

(٢) الصاحبي ص : ١٩٣ .

(٣) ديوان الأعشى ص : ٧ دار صادر ١٩٦٦ م بيروت (بدون رقم الطبعة) .

(٤) الصاحبي ص : ١٩٤ ، وانظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٨٦ - ٨٧ .

(٥) لسان العرب ١١/٣٣ .

(٦) مجاز القرآن ١/١٨ - ١٩ (المقدمة) لفؤاد سركين .

بالمرجع والمصير^(١) وقال الطبري (رحمه الله) : « وأما معنى التأويل في كلام العرب : فإنه التفسير والمرجع والمصير^(٢) » وقال الليث^(٣) : « التأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه ، وأنشد^(٤) :
نحن ضربناكم على تنزيله فالיום نضربكم على تأويله »

المعنى الرابع : الوضوح :

آل البعير : ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه ، والآل : ما أشرف من السراب ، وأطراف الجبل ، والآل : الخشب ، وعمود الخيمة ، والشخص .
ولا يخفى أن هذه المعاني الأربعة لكلمة « التأويل » ترجع إلى معنيين ؛ فالتغيير يرجع في معناه إلى معنى العاقبة والمصير ، والوضوح يرجع في معناه إلى معنى التفسير ، لأن التفسير معناه الكشف ، والإبانة^(٥) .

(١) مجاز القرآن ٨٦/١ .

(٢) تفسير الطبري ١٨٤/٣ .

(٣) لسان العرب ٣٣/١١ .

(٤) البيتان في ديوان عبد الله بن رواحة ، وصوابهما :

« نحن قتلناكم على تأويله »

كما قتلناكم على تنزيله »

ص : ١٠١ ، ١٠٢ بتحقيق وجمع : حسن محمد باجودة - مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٢ م القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

وأصل البيتين في حديث رواه الترمذي في سننه ٦٣/٨ ، ٦٤ كتاب الأدب - باب ما جاء في إنشاد الشعر - حديث رقم : ٢٨٥١ عن أنس أن النبي (ﷺ) دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول :

خلو بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ولم يذكر فيه التأويل . وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .
وراجع في هذه المسألة : فتح الباري ٥٠١/٧ ، ٥٠٢ .
(٥) انظر : لسان العرب ٥٥/٥ مادة فسر .

المطلب الثاني : معنى التأويل في الاصطلاح

والتأويل في الاصطلاح ينقسم إلى قسمين :

الأول : التأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين .
الثاني : التأويل في اصطلاح المتأخرين ، من المتكلمين والأصوليين والفقهاء والمتصوفة .

أما الأول : فالتأويل في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين يطابق معناه اللغوي المتقدم : العاقبة والتفسير . فيأتي بمعنى العاقبة وهو الغالب في استعمال القرآن الكريم ، ويأتي بمعنى التفسير وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم المتقدمين ^(١) .

أما الثاني :- وهو اصطلاح المتأخرين - فمعناه :

صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك ^(٢) .

(١) سيأتي بيان ذلك بالأمثلة ، إن شاء الله .

(٢) انظر : الحدود للباجي ص : ٤٨ ، والتعريفات للجرجاني ص : ٢٨ ، والإحكام للآمدي ١٩٩/٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/٥ ، ٥٥/٣ ، ٢٨٨/١٣ ، والصواعق المرسلة ١٧٨/١ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٣٢٩/١ .

المبحث الثاني التأويل بين اصطلاح السلف واصطلاح الخلف

وفيه مطالب :

المطلب الأول : التأويل عند السلف

تقدم أن التأويل في اصطلاح السلف ورد بمعنيين :

الأول : العاقبة ، وهو غالب استعمال القرآن الكريم ، فالكلام قسمان : خبر وإنشاء ، والإنشاء : أمر ونهي وإباحة ، وتأويل الخبر هو وقوع نفس الخبر به : فتأويل ما أخبر الله به عن أسمائه وصفاته ، هو نفس ما عليه الأسماء والصفات من الحقائق والكيفيات - وقد تقدم أن هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله (تعالى) - وتأويل ما أخبر الله به عما في الجنة من المآكل والمشارب والملابس والمناكح هو حقيقة ما عليه هذه الأشياء يوم القيامة ؛ ولهذا قال الله (تعالى) : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ^(١) وكذلك تأويل الرؤيا التي في النوم هو وقوعها في الخارج كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ يَا بَيْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

وتأويل الأمر هو إتيان المأمور به ، وكذا النهي : اجتناب المنهي عنه .

أمثلة لهذا المعنى :

١ - قال (تعالى) : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] على القول بالوقف في لفظ الجلالة ، فالتأويل بمعنى العاقبة ، هكذا فسره ابن فارس ^(٢) وقال : « أي لا يعلم الآجال والمدد إلا الله (جل ثناؤه) لأن القوم قالوا في مدة

(١) تقدم تخريجه ص : ٤٨٥ ، ٤٩١ .

(٢) الصحاحي ص : ١٩٣ ، ١٩٤ .

هذه الملة ما قالوه - يعني اليهود كما تقدم - فأعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعلمه إلا الله (جل ثناؤه) . واشتقاق الكلمة من المآل وهو العاقبة والمصير ، وأنشد بيت عبدة بن الطبيب ^(١) :

« وللأحبة أيام تذكُّرها وللتوى قبل يوم البين تأويل »

ورجح ابن جرير الطبري أن يكون معنى التأويل : العاقبة ، وقال في تفسيرها : « وما يعلم وقت قيام الساعة ، وانقضاء مدة أجل محمد وأمه وما هو كائن إلا الله ، دون من سواه من البشر ، الذين أملوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة » ^(٢) .

٢ - قوله (تعالى) : ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] فسرهُ مجاهد وقتادة : بالشواذ والجزاء ، وفسره السدي وابن زيد وابن قتبية والزجاج : بالعاقبة ^(٣) ، وكلا المعنيين بمعنى المآل والمصير والعاقبة .

٣ - قوله (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢ ، ٥٣]

قوله : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ أي ما وعدوا به من العذاب والنكال ، واللجنة والنار ، قاله مجاهد وغير واحد . وقال مالك : ثوابه . وقال الربيع : لا يزال

(١) الفضليات ص : ١٣٦ تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون الطبعة الرابعة - دار

المعارف - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .

(٢) تفسير الطبري ١٨١/٣ - ١٨٢ .

(٣) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ١١٧/٢ - ١١٨ وتفسير ابن كثير ٥١٨/١ (طبعة دار إحياء

الكتب العربية) .

يجيء من تأويله أمر ، حتى يتم يوم الحساب ، حتى يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فيتم تأويله يومئذ ^(١) .

ويفسر مجاهد التأويل بالجزاء ، وفسره قتادة بالشواب ، والسدي بالعاقبة ، وابن زيد بالحقيقة ^(٢) ، وكل هذه المعاني تحمل معنى المآل والعاقبة .

٤ - قوله (تعالى) : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٦] وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ٢١] وقوله : ﴿ بُعِثْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٣٦] وقوله : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ [يوسف : ٣٧] وقوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾ [يوسف : ٤٤] وقوله : ﴿ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥] وقوله : ﴿ وَقَالَ يَأْبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] وقوله : ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف : ١٠١]

فهذه ثمانية مواضع من سورة يوسف ، التأويل فيها بمعنى العاقبة والمآل ، وكلها تدل على الإخبار بالأمر الذي سيقع في الآجل من تحقيق الرؤى ، منها ماراة يوسف في منامه ، ومنها ما عرض عليه طلبا لمعرفة حقيقته ^(٣) .

وتأويل الرؤيا هو نفس مدلولها في الخارج ^(٤) ، ولهذا كان تأويل الرؤيا التي في أول السورة : ﴿ إِنْسِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] كان تأويلها قوله (تعالى) في آخر السورة : ﴿ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف : ١٠٠] ولهذا قال يوسف : ﴿ يَسَابَّتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٠٣/٨ - ٢٠٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٠/٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠٤/٨ .

(٣) انظر : ظاهرة التأويل وصلتها باللغة للدكتور / السيد أحمد عبد الغفار ص : ٢٧ - دار الرشيد للنشر - دار الأصبهاني للطباعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م . الرياض (بدون رقم الطبعة) .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩٠/١٣ .

٥ - قوله (تعالى) : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] وقوله : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢] ^(١) وهو تأويل الأفعال التي عجز موسى عن إدراكها أول الأمر .

٦ - وقول عائشة (رضي الله عنها) : « كان النبي (ﷺ) يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وحمدك ، اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن » ^(٢) قال الحافظ ابن حجر : « يتأول القرآن : أي يفعل ما أمر به فيه » ^(٣) وهو ما جاء في سورة النصر من قوله (تعالى) : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر : ٣] ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها) في حديث آخر : ما صلى النبي (ﷺ) صلاة بعد أن أنزلت عليه ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وحمدك اللهم اغفر لي » ^(٤) .

٧ - وعن كعب الأحبار أن رجلا نزع نعليه فقال : « لم خلعت نعليك ؟ لعلك تأولت هذه الآية : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ [طه : ١٢] » ^(٥) فهذا تأويل الأمر ، وهو فعل المأمور به .

(١) وقد جعل ابن الوزير الجاني في كتابه : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص : ١٤٥ مطبعة المعاهد مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

جعل هذه الآية معنى رابعا للتأويل ، وهو معرفة الحكمة ، مستدركا بذلك على ان تيمية ، بل جعل التأويل ، الذي في آية آل عمران بهذا المعنى ، والحق أن التأويل بمعنى العاقبة يدخل فيه هذا المعنى الذي ذكره ابن الوزير ، فالتأويل بمعنى العاقبة يشمل : تأويل القول بالفعل كما في آية آل عمران ، وتأويل الفعل بالقول كما في آية الكهف ، وتأويل الرؤيا بالقول أو بالفعل كما في آيات يوسف . وهذا يرتفع الإشكال ، ويسقط الاستدراك . والله أعلم .

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٩٩ ، فتح الباري ، كتاب الأذان - باب التسييح والدعاء في السجود حديث رقم : ٨١٧ .

(٣) فتح الباري ٢/٢٩٩ .

(٤) صحيح البخاري ٨/٧٣٣ ، فتح الباري ، كتاب التفسير - باب سورة إذا جاء نصر الله - حديث رقم : ٤٩٦٧ .

(٥) الموطأ ٢/٩١٦ كتاب اللباس - باب ما جاء في الانتعال - حديث رقم : ١٦ .

٨ - قال قتادة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَاصِيحَ ﴾ [الملك : ٥] خلق هذه النجوم لثلاث : « جعلها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به » (١) .

الثاني : (من معاني التأويل عند السلف) : التفسير :

فالتأويل عندهم هو تفسير الكلام - سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه - فالتأويل والتفسير عندهم متقاربان أو مترادفان ، وهو اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم (٢) .

أمثلة لهذا المعنى :

١ - دعاء النبي (ﷺ) لابن عباس (رضي الله عنهما) : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » (٣) فالتأويل هنا هو التفسير يوضحه :

٢ - قول ابن عباس : « أنا ممن يعلم تأويله » (٤) ، وقال مجاهد : « والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به » (٥) ونحوه عن الربيع (٦) .

وقال ابن عباس : « التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله (تعالى ذكره) » (٧) . ولهذا قال ابن جرير (رحمه الله) : « وإن منه - أي القرآن - ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن » (٨) .

(١) صحيح البخاري ٢٩٥/٦ فتح الباري « كتاب بدء الخلق . ذكره في ترجمة الباب رقم : ٣ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/٥ ، ٣٦ ، ٢٨٨/١٣ ، ٥٥/٣ ، وأضواء البيان ٣٢٩/١ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١٢٧/٤ (طبعة دار المعارف) وصحح إسناده أحمد شاكر . وأورده

أفندي في مجمع الزوائد ٢٧٦/٩ - باب جامع فيما جاء في علمه وما سئل عنه وعزاه إلى أحمد والطبراني ، ثم قال : « ولأحمد طريقان رجافهما رجال الصحيح » .

(٤-٦) تفسير الطبري ١٨٣/٣ .

(٧) تفسير الطبري ٣٤/١ (المقدمة) .

(٨) تفسير الطبري ٣٣/١ (المقدمة) .

٣ - قول جابر بن عبد الله في حجة النبي (ﷺ) : « ... ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به » ^(١) قال ابن القيم (رحمه الله) : « فعلمه (صلوات الله وسلامه عليه) بتأويله هو علمه بتفسيره وما يدل عليه ، وعمله به هو تأويل ما أمر به ونهي عنه » ^(٢) .

٤ - روى البخاري من حديث أسامة بن زيد (رضي الله عنه) أنه قال : « يا رسول الله أين تنزل ... » الحديث وفيه : « فكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : لا يرث المؤمن الكافر » قال ابن شهاب : « وكانوا يتأولون قول الله (تعالى) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْوُوا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٢] » ^(٣) .

قال الحافظ ابن حجر : « أي كانوا يفسرون قوله (تعالى) : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ بولاية الميراث ، أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وغيره » ^(٤) .

٥ - والتأويل بمعنى التفسير هو استعمال أبي عبيدة في مجاز القرآن ^(٥) والطبري في تفسيره ^(٦) .

٦ - قال ابن جرير في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَتَّبَعَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران : ٧] ذاكرا الوجهين في تفسيرها ، فقال في أحدهما ^(٧) : « معنى ذلك : وابتغاء

(١) صحيح مسلم ٨٨٧/٢ كتاب الحج - باب حجة النبي (ﷺ) حديث رقم : ١٢١٨ .

(٢) الصواعق المرسلة ١٨١/١ .

(٣) صحيح البخاري ٤٥٠/٣ (فتح الباري) كتاب الحج - باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها .

حديث رقم : ١٥٨٨ .

(٤) فتح الباري ٤٥٣/٣ .

(٥) انظر : مقدمة المحقق ١٨/١ ، ١٩ .

(٦) انظر : مقدمة تفسيره ، وانظر مثلا ٨٠/٣ ، وأضواء البيان للشنيطي ٣٢٩/١ .

(٧) تقدم الوجه الأول وهو التأويل بمعنى العاقبة ، وهو الذي رجحه ابن جرير .

تأويل ما تشابه من آي القرآن يتأولونه ، إذ كان ذا وجوه وتصاريف في التأويلات على ما في قلوبهم من الزيغ ، وما ركبوه من الضلالة » ^(١) .

٧ - قول الإمام أحمد في كتابه الذي ألفه في الرد على الجهمية ، قال في خطبته : « الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل ، بقايا من أهل العلم ... » إلى أن قال في وصفهم : « ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة ؛ فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ... » ^(٢) فالجاهلون يفسرون القرآن تفسيراً مخالفاً للحق والصواب ، وهو من التحريف ، وأخذ الإمام أحمد يفسر ما شكت فيه الزنادقة من القرآن ، ويقول عقب بيانه للآيات التي شكت فيها الزنادقة : « فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة » ^(٣) .

هذا هو معنى التأويل عند السلف ؛ بمعنى العاقبة والمآل وهو الغالب على استعمال القرآن الكريم ، وبمعنى التفسير وهو اصطلاح السلف وجمهور المفسرين .

المطلب الثاني : التأويل عند المتأخرين : وفيه مسائل :

المسألة الأولى :

١ - تاريخ ظهور المصطلح :

لقد ظهر التأويل بمعناه الاصطلاحي (صرف اللفظ عن ظاهره) في عصور متأخرة ، بعد عصر السلف المتقدمين ، فلم يكن يعرف عند الصحابة والتابعين التأويل بهذا الاصطلاح المتأخر ، وكذلك عند أهل اللغة المتقدمين ^(٤) . بل كان ظهوره بعد عصر القرون المفضلة ، وفي بيئة المتكلمين والفلاسفة ، وذلك بعد ظهور الخلاف والتفرق في المسلمين .

(١) تفسير الطبري ١٨١/٣ .

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية ص : ٥٢ (ضمن عقائد السلف للنشر) .

(٣) انظر : مثلاً - ص : ٥٨ من الرد على الزنادقة والجهمية .

(٤) راجع تعريف التأويل في اللغة .

ولما كان ظاهر القرآن والسنة لا يمكن أن تعتمد عليه كل فرقة من الفرق المتنازعة ، عمد كثير منهم إلى التأويل والغلو فيه ، وهو في الحقيقة تحريف الكلم عن مواضعه - كما سيتبين بعد قليل - وفي المقابل كانت هناك فرق موعلة في الظاهر لا تلوي على شيء غيره ، وهو الظاهر في فهمهم المعوجة ، وقلوبهم المنحوسة بأدواء التشبيه والتشليل .

فأبو منصور الماتريدي ^(١) وهو من أعيان المائة الرابعة ، يعرف التأويل بقوله : « هو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع » ^(٢) وهذه تعتبر مرحلة مبكرة لمعنى التأويل الاصطلاحي عند المتكلمين .

أما أبو محمد بن حزم الظاهري وهو من أعيان المائة الخامسة ، فالتأويل عنده هو : « نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره ، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر ، فإن كان نقله قد صح ببرهان ، وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق ، وإن كان نقله بخلاف ذلك اطرح ، ولم يلتفت إليه ، وحكم لذلك النقل بأنه باطل » ^(٣) . فمعنى التأويل عنده هو صرف اللفظ ، لكنه يشترط لهذا الصرف أن يكون صحيحا ، وهذه طبيعة المدرسة الأصولية في وضعها الضوابط والشرائط .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمود - أبو منصور الماتريدي ، تفقه على أبي بكر الجوزجاني ، وتفقه عليه القاضي إسحاق بن محمد السمرقندي وأبو محمد عبد الكريم البزدوي ، وغيرهما . له تصانيف رد فيها على المعتزلة والقرامطة والرافضة منها : التوحيد ، والمقالات ، وأوهام المعتزلة ، وله : تأويلات أهل السنة بمنابة التفسير للقرآن الكريم . وهو زعيم طائفة الماتريدية ، قريبة في أصولها الكلامية من مذهب الأشاعرة . مات أبو منصور سنة ٣٣٣ هـ وكان يقال له : امام الهدى . انظر : الفوائد البية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد عبد الحمى اللكنوي ص : ١٩٥ (مع تعليقاته عليه) تصحيح : محمد بدر الدين النعساني - مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ - مصر ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر بن محمد ابن نصر الله بن أبي الوفاء الحنفي ٣/٣٦٠ ترجمة رقم : ١٥٣٢ تحقيق : د/عبد الفتاح الحلوة دار العلوم . الرياض - مطبعة عيسى الباني الحلبي ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

(٢) مقدمات كتاب : تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٢٤/١ بقلم المحققين : د/إبراهيم عوضين ، والسيد عوضين - مطابع الأهرام التجارية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

(٣) الإحكام ٤٨/١ .

وأبو حامد الغزالي وهو من أعيان المائة السادسة يعرف التأويل بقوله :
« احتمال يعضده دليل ، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ،
ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز » ^(١) فالغزالي يذكر
الدليل الصارف ، ويجعل نتيجة الصرف مجرد احتمال لكنه احتمال راجح .

وأما الرازي وهو من أعيان المائة السابعة :

فيذكر في كتبه الأصولية تعريف الغزالي المتقدم ^(٢) ، وأما في كتبه الكلامية
فالتأويل عنده : « هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل
القاطع على أن ظاهره محال » ^(٣) وقد عرفنا - سابقا - أن الدليل القاطع - عند
الرازي ومن يقول برأيه - هو دليل العقل ، ولا يمكن للنقل أن يكون دليلا قاطعا ، كما
صرح بذلك الرازي في مثل قوله : « ثبت أن شيئا من الدلائل اللفظية لا يمكن أن
يكون قطعيا » ^(٤) . وهذا هو مكنم الخطر كما سيتبين إن شاء الله (تعالى) .

المسألة الثانية : حقيقة التأويل عند الأصوليين :

تواضع علماء الأصول على شروط للتأويل حتى يكون صحيحا مقبولا ،
أهمها ^(٥) :

أولا : أهلية الناظر في هذا الأمر .

ثانيا : أن يكون اللفظ قابلا للتأويل وهو ما يسمى في عرفهم بالظاهر ، وعليه
فيمتنع تأويل النص ، أي الذي لا يحتمل غير معنى واحد .
ثالثا : أن يكون اللفظ محتملا للمعنى المصروف إليه .

رابعا : أن يكون الدليل الصارف للفظ عن مدلوله الظاهر راجحا على ظهور
اللفظ في مدلوله .

(١) المستصفى ٣٨٧/١ .

(٢) المحصول ٢٣٢/٣/١ .

(٣) انظر : أساس التقديس ص : ٢٢٢ .

(٤) أساس التقديس ص : ٢٢٢ ، وانظر : ص : ٢١١ وراجع القاعدة السابعة من الباب الثاني ص :

(٤١١) وما بعدها .

(٥) انظر : الإحكام للآمدي ١٩٩/٢ وإرشاد الفحول ص : ١٧٧ .

وعلى ذلك فالتاويل أقسام من حيث الصحة والفساد ^(١) :

- ١ - التاويل الصحيح وهو ما استوفى الشروط المتقدمة .
 - ٢ - التاويل الفاسد (أو البعيد) وهو ما افتقد لتلك الشروط أو بعضها ، كأن يكون اللفظ غير محتمل للمعنى المعروف إليه ، أو أن يكون الدليل الصارف للفظ مرجوحا ، أو مساويا لدليل البقاء على الظاهر ، فغاياته التردد بين الاحتمالين على السوية .
 - ٣ - أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ، فهذا يسمى عندهم لعبا .
- قال صاحب مراقي السعود ^(٢) :

« حمل لظاهر على المرجوح واقسمه للفساد والصحيح
صحيحه وهو القريب ما حمل مع قوة الدليل عند المستدل
وغيره الفساد والبعيد وما خلا فلعبا مفيد »

ومثال التاويل الصحيح : ^(٣)

قوله (ﷺ) : « الجار أحق بسقبة » ^(٤) فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار ، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حمل له على محتمل مرجوح ، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح ، وهو قضاؤه (ﷺ) بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ^(٥) .

(١) انظر : الإحكام ١٩٩/٢ ، وإرشاد الفحول ص : ١٧٦ ، وأضواء البيان ٣٢٩/١ ، ٣٣٠ .

(٢) شرح مراقي السعود على أصول الفقه لمحمد الأمين الشنقيطي ص : ٢٦٩ المؤسسة السعودية - مطبعة المدني مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) انظر : أضواء البيان ٣٢٩/١ .

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري في صحيحه ٤٣٧/٤ فتح الباري ، كتاب الشفعة - باب عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع - حديث رقم : ٢٢٥٨ .

(٥) انظر : صحيح البخاري ٤٣٦/٤ فتح الباري ، كتاب الشفعة - باب الشفعة فيما لم يقسم ... حديث رقم : ٢٢٥٧ .

ومثال التأويل الفاسد : (١)

حمل الحنفية المسكين في قوله (تعالى) : ﴿ سِتِينَ مِسْكِينَ ﴾ [المجادلة : ٤] على المد ، فأجازوا إعطاء ستين مدا لمسكين واحد ، فهذا تأويل بعيد .

أما اللعب بالتأويل : فنحو تأويل الرافضة امرأتى نوح ولو ط في قوله (تعالى) : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَنَّتَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] بعائشة وحفصة (رضي الله عنهما) (٢) . ونحو تأويل البيانيه قول الله (تعالى) : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] بأنه بيان بن سمرعان زعيم الطائفة (٣) .

هذا هو التأويل عند الأصوليين ، وبعد النظر يتبين أن حقيقة هذا التأويل - أعني الصحيح منه - أن يكون من جملة البيان ، أي بيان نصوص الكتاب والسنة ، كتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتفسير المشكل ، ومعرفة الاستثناء والنسخ ونحو ذلك ، وكل هذا يعرف من خلال النظر في نصوص الكتاب والسنة ، والجمع بين الوجوه والنظائر ؛ فإن نصوص الكتاب والسنة يبين بعضها بعضا .

أما قول الآمدي : « ولم يزل علماء الأمصار في كل عصر من عهد الصحابة إلى زماننا عاملين به من غير تكثير » (٤) فهذا مسلم له إذا كان المراد ما تقدم ، ومع ذلك لم يكن أحد من السلف يسمي ذلك تأويلا إلا بمعنى التفسير والبيان ، ولهذا لم يظهر هذا الاصطلاح عند الإمام الشافعي وهو أول من دون أصول الفقه .

(١) انظر : أضواء البيان ٣٢٩/١ ، والبرهان في أصول الفقه للجويني ٥٥٥/١ وما بعدها ، والإحكام للآمدي ٢٠١/٢ ، ٢٠٢ .

(٢) انظر : الوشيعية في نقد عقائد الشيعة لموسى جبار الله ص : ٣٩ ، وعزاه إلى الكافي والوافي من علماء الشيعة الناشر : سهيل أكيدتي - مطبعة أيوركرين - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م لاهور - باكستان .

(٣) انظر : فرق الشيعة لأبي محمد الحسن بن موسى النوختي ص : ٣٤ تصحيح : محمد صادق آل بحر العلوم - المكتبة المرتضوية المطبعة الحيدرية ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م النجف .

(٤) الإحكام ١٩٩/٢ .

المسألة الثالثة :

حقيقة التأويل عند المتكلمين :

يقول أبو حامد الغزالي : « كل خبر مما يشير إلى إثبات صفة للباري (تعالى) يشعر ظاهره بمستحيل في العقل نظر : إن تطرق إليه التأويل قبل وأول ، وإن لم يندرج فيه احتمال تبين على القطع كذب الناقل ، فإن رسول الله (ﷺ) كان مسدد أرباب الألباب ، ومرشدهم ، فلا يظن به أن يأتي بما يستحيل في العقل » ^(١) .

ويذكر ابن رشد أنه إذا خالف ظاهر الشرع البرهان - الدليل العقلي - طلب تأويل ظاهر الشرع ، ومعنى التأويل عنده : إخراج دلالة اللفظ إلى ما يحتمله من المعاني ؛ ويقول : « ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان ، وخالفه ظاهر الشرع ، أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي ، وهذه قضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب بها مؤمن » ^(٢) .

وقد تقدم ^(٣) كلام الرازي في تعارض الدليل العقلي والنقلي ، وتقديمه الدليل العقلي مطلقاً ، أي لكونه عقلياً ، ثم قال الرازي : « هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة ، أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها ، ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل ، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله (تعالى) » ^(٤) .

وقال الرازي : « جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار » ^(٥) ومثل لذلك بالنصوص التي فيها ذكر الوجه والعين والجانب والأيدي والساق ، ثم قال : « فلو أخذنا بالظاهر ، يلزمنا إثبات شخص له

(١) المخول من تعليقات الأصول ص : ٢٨٦ بتحقيق : محمد حسن هيتو (بدون معلومات الطبعة) .

(٢) فصل المقال ص : ٣٣ .

(٣) راجعه في القاعدة السادسة من الباب الثاني ص : ٣٦٨ وما بعدها .

(٤) أساس التقديس ص : ٢١١ .

(٥) أساس التقديس ص : ٩٨ ، ٩٩ .

وجه واحد ، وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة ، وله جنب واحد وعليه أيد كثيرة ، وله ساق واحدة ، ولا نرى في الدنيا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة ، ولا أعتقد أن عاقلا يرضى أن يصف ربه بهذه الصفة » ^(١) .

ثم ذكر أن الإمام أحمد استعمل التأويل في رده على المعتزلة في مسألة خلق القرآن ، حينما احتجوا عليه بخديث : « تأني البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان » ^(٢) ، فقال : « يعني ثواب قارئهما » قال الرازي : « وهذا تصریح بالتأويل » ^(٣) .

ثم قال الرازي : « فثبت بكل ما ذكرنا أن المصير إلى التأويل أمر لا بد منه لكل عاقل ، وعند هذا قال المتكلمون : لما ثبت بالدليل أنه (سبحانه وتعالى) منزّه عن الجهة والجسمية ، وجب علينا أن نضع هذه الألفاظ الواردة في القرآن والأخبار محملا صحيحا ؛ لئلا يصير ذلك سببا للطعن فيها » ^(٤) .

وبالنظر في مذاهب هؤلاء المتكلمين ، يتبين أنهم بنوها على أصول ، أذكر أهمها :

أولا : جواز التعارض بين العقل والنقل ، أي العقل الصريح والنقل الصحيح ، وقد تقدم في باب القواعد دحض هذه الشبهة ^(٥) .

ثانيا : وجوب تقديم الدليل العقلي مطلقا ، وذلك من جهة كونه عقليا فقط . وقد تقدم ^(٦) بيان أن التقديم حق القطعي سواء كان عقليا أو نقليا ، وأن القطعيين

(١) أساس التقديس ص : ٩٩ ، وانظر للرد على هذه الفرية كتاب الصواعق المرسلة ٢٣٨/١ وما بعدها .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٥٥٣/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة - حديث رقم : ٨٠٤ ولفظه : « اقرعوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ... » .

(٣) أساس التقديس ص : ١٠١ ، وسيأتي جواب هذه المسألة في مبحث مستقل .

(٤) أساس التقديس ص : ١٠٣ .

(٥) راجع القاعدة السادسة من الباب الثاني .

(٦) راجع القاعدة السادسة من الباب الثاني .

لا يتعارضان بخال ، سواء كانا نقلين أو عقليين ، أو أحدهما نقليا والآخر عقليا .

ثالثا : عدم إفادة الدليل النقلى اليقين ، لتوقفه على الأمور العشرة ، وقد تقدم بيانها والجواب عليها ^(١) ، وعدم إفادة الدليل النقلى اليقين هي التي اقتضت عندهم عدم مقدورته على معارضة دليل العقل ، يوضحه :

رابعا : مسائل الاعتقاد لا تبنى - عندهم - إلا على القطعيات ، والقطع إنما يستفاد من جهة العقل ، لا من جهة النقل ؛ لأن النقل لا يفيد يقينا ، وعليه ، فقد أسسوا عقائدهم ومسائلهم ابتداء على قضية العقل ، فالحق عندهم هو ما عرفوه بعقولهم ، ووصلوا إليه بأقيستهم ، ثم ينظرون في نصوص الكتاب والسنة فما وافق منها ما اعتقدوه ابتداء بعقولهم ، قالوا به معضدين لا محتجين ، وما خالف منها ، فلهم معه أحد طريقين : ^(٢) .

الأول : الإنكار ، وذلك بالطعن في صحتها ، وخاصة إذا كانت أخبار آحاد .

الثاني : الإعراض عن معانيها ، وذلك بعد ثبوت ورودها كأن تكون قرآنا أو أخبارا متواترة ، ولهم في الإعراض عنها سبيلان :

أ - الإعراض عنها بالكلية ، بقولهم وعقولهم ، وتفويض علم معانيها إلى الله (تعالى) مع اعتقاد أن ظواهرها غير مرادة ، وهذه هي التي يسمونها طريقة السلف .

ب - تحريف الكلم عن مواضعه مستعملين شواذ اللغات ، وأنواع التمحلات ، وهذا هو الذي يسمونه تأويلا .

خامسا : أن الضابط في حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح صحة معناه في اللغة ، دون اعتبار للسياق الذي ورد به ، أو كليات الشريعة ؛ فإن اللفظ قد يحتمل

(١) راجع القاعدة السابعة من الباب الثاني .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن نيمية ٤٤٠/١٦ ، ٣٠٦/١٧ ، ٣٠٧ . ودرء تعارض العقل والنقل ١٢/١ ، وراجع كلام الرازي والغزالي المتقدم في أول هذا المبحث . وانظر : أساس التقديس ص : ٢١١ .

هذا المعنى المرجوح لغة ، لكن في غير هذا السياق الخاص .

سادسا : أن الدليل الصارف للفظ عن ظاهره ، هو دليل العقل ، وهو إحالة معنى اللفظ عقلا ، ولهذا فهم يختلفون مع الأصوليين ؛ فالصارف عند الأصوليين دليل النقل ، وعند هؤلاء الصارف : دليل العقل ، وقد علم أن كثيرا مما ادعوا عليه الإحالة العقلية ، يمكن علمه بالعقل ضرورة ، لكنهم يخلطون بين ما لا تدركه العقول ، وبين ما تمنع العقول وجوده ، فاشتبه عليهم الأمر ، فلبسوا على الناس دينهم .

فحقيقة مذهب هؤلاء المتأولة أن الرسول (ﷺ) لم يبين الحق ، ولا أوضحه لأمته ، مع أمره (ﷺ) أمته أن يعرفوا الحق ويعتقدوه ، لكنه لم يبينه لهم ، بل دهم على نقيضه ، وأن نصوص الكتاب والسنة نطقت بصريح الكفر والتشبيه والإلحاد ، فالمطلوب منهم اعتقاد ما لم تدل عليه النصوص ، بل دلت على نقيضه ^(١) .

★ ★ ★

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل : ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/٥ ،

المبحث الثالث

التأويل الحق هو معرفة مراد المتكلم

الواجب على المخاطب معرفة مراد المتكلم بكلامه ، وذلك بعد أن تبين له أن المتكلم عالم مبين ، ناصح أمين ، ويريد الهداية والإرشاد ؛ فاجتمع له كمال العلم والبيان ، مع تمام النصح والإرشاد ، ثم إن كان المخاطب مريدا الانتفاع بالمخاطب ، مبتغيا فهم المراد به ، فعليه أن يتصف بتمام الفهم ، وحسن القصد ، فهذه أربعة شروط لا بد منها في حصول المقصود من الخطاب :

شرطان في المتكلم : البيان والنصح .

وشرطان في المخاطب : الفهم وحسن القصد .

فإذا كان مقتضي قائما والمحل قابلا حصل المقصود ، وتم المراد .

فما قاله الله ورسوله يجب أن يكون معناه حقا ، عرفه من عرفه وجهله من جهله ، ومن كان مقصوده معرفة مراد الله ورسوله وسلك الطريق التي يعرف بها ، فقد سلك سبيل الهدى ، ومن كان مقصوده أن يجعل كلام الله ورسوله تبعا له ، ولقواعده التي أسسها بمعزل عن الوحي والهدى ، فما وافقها من كلام الله ورسوله قبله وإلا رده ، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلا ، مع تيقنه أن كثيرا من ذلك أو أكثره لم ترده الأنبياء ، فهو محرف للكلم عن مواضعه ، لا طالب لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم ^(١) .

فمن معالم طريق الاهتداء إلى مراد الله ورسوله ؛ جمع النصوص وأقوال السلف المتقدمين ، في الموضوع الواحد ، والنظر في ذلك على اجتماعه ؛ فإن النصوص يبين بعضها بعضا ، بقطع الاحتمالات ، ودفع الإشكالات ، ونحو ذلك ، ولهذا لما أغفل

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩١/٤ .

كثير من المتكلمين هذا الأصل اختلفت عليهم نصوص الكتاب والسنة حتى ظنوا بها سؤا : من تعارض فيما بينها ، أو فيما بينها وبين العقل ، فاضطروا إلى ما سموه تأويلا ، وهو في الحقيقة تحريف للكلم عن موضعه ؛ مثال ذلك : من نظر إلى نصوص معية الله (تعالى) لخلقه وجردها عن نصوص العلو والاستواء ، جعلها محتاجة إلى ما يسميه تأويلا ، ثم يدعي أن الإمام أحمد أضطر إلى التأويل في مثل هذا المقام : والحق يتبين في الجمع بين النصوص : النصوص التي تثبت العلو والاستواء ، والتي فيها ذكر المعية ، فيتبين أن المقصود بالمعية معية العلم والإحاطة ، من غير استلزام مخالطة أو مماسة كما تصورهما التأويل ابتداء ^(١) .

ومن معالم الاهتداء إلى معرفة مراد الله ورسوله أن ينظر في هذا اللفظ المراد صرفه عن ظاهره ، ومدى قبوله للمعنى الجديد ، فإن لم يقبله فاللفظ نص لا يحتمل التأويل ، وإن قبله : فإما أن يجري على مقتضى العلم ، أي أن يوافق كليات الشريعة ولا يصطدم بشيء منها ، فإن كان كذلك فلا إشكال في اعتباره ، وإن لم يجر على مقتضى العلم فلا يصح حمل اللفظ عليه ، بل حمله عليه باطل ^(٢) : قال ابن القيم (رحمه الله) : « وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح ، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك » ^(٣) .

ومن معالم الاهتداء إلى معرفة مراد الله ورسوله أن يعلم أن المقصود من التأويل هو معرفة مراد المتكلم بكلامه ، لا معرفة ما يحتمله اللفظ من المعاني من جهة اللغة ، ولذلك قد يوجد في كلام السلف تفسير الآية والحديث على خلاف الظاهر ، مما يقال بأنه صرف للفظ عن ظاهره ، وإنما هو من باب بيان مراد المتكلم ، وتفسير كلامه بضم النظائر أو معرفة عادته في الكلام ونحو ذلك ، ولهذا نجد أن بعض

(١) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبد البر ١٣٨/٧ ، ١٣٩ تحقيق : عبد الله بن الصديق مطبعة فضالة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م المغرب (بدون رقم الطبعة) .

(٢) انظر : الموافقات ٩٩/٣ ، ١٠٠ .

(٣) الصواعق المرسلة ١٨٧/١ .

ما يتأوله المتأولون صحيح من ناحية اللغة ، ولكن في غير هذا السياق المعين ، أما في هذا السياق فالشأن غير ما ذهبوا إليه .

مثاله : اليد تطلق ويراد بها الجارحة كما في قوله (تعالى) ﴿ فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءَ بِمَا كَسَبَا تَكْلًا مِنْ اللَّهِ ﴾ [المائدة : ٣٨] ، ويراد بها القدرة كما في قوله (تعالى) : ﴿ بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ويراد بها النعمة ؛ كقول العرب : لفلان عندي يد ، وقال عروة بن مسعود (رضي الله عنه) لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) : « لو لا يد لك عندي لم أجرك لأجبتك » ^(١) .

لكن أن يكون لفظ اليد في القرآن مضافا إلى الله (تعالى) بمعنى النعمة أو القدرة من غير أن تكون له يدان حقيقة فهذا لا دليل عليه ، وإن استطاعوا صرف لفظ اليد إلى النعمة أو القدرة في بعض المواضع ، فلا طاقة لهم بذلك في مثل قوله (تعالى) : ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] حيث جاء لفظ اليد بصيغة الشبهة ، وهي لم تستعمل بهذه الصيغة في النعمة ولا في القدرة ، ثم تعدى الفعل إلى اليد بحرف « الباء » فهذا نص في أنه فعل الفعل بيديه ، ولست تجد فصيحاً - عربياً كان أو أعجمياً - يقول : فعلت هذا بيدي إلا ويكون فعله بيديه حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها ^(٢) .

ومن المعالم التي يهتدى بها إلى مراد الله ورسوله ؛ الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن ، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية ، فكون أحد الاحتمالين هو الغالب في القرآن يبين أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد ، فالحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره ، كالفائض غلب في الخارج المستقذر وأصله المكان المطمئن من الأرض ^(٣) .

(١) صحيح البخاري ٥/ ٣٣٠ . فتح الباري . كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ... حديث رقم : ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٦٦ . والصواعق المرسلة ١/ ١٩٢ ، ١٩٣ ، والإبانة للأشعري ص : ٥٤ وما بعدها .

(٣) انظر : إرشاد الفحول ص : ١٧٦ ، وأضواء البيان ١/ ٣٢٨ .

ومن معالم الاهتداء - أيضا - أن يعلم أن ورود اللفظ في الكتاب أو السنة بمعنى لا يلزم منه أن يكون هذا المعنى ملازما له في جميع النصوص الأخرى وإن اختلف السياق ، بل قد يتعدد معنى اللفظ الواحد ويختلف باختلاف السياق ، ونذكر لهذا مثالا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : « وإذا كان قرب عباده منه نفسه ، وقربه منهم ليس ممتنعا عند الجماهير من السلف وأتباعهم من أهل الحديث ، والفقهاء والصوفية وأهل الكلام ، لم يجب أن يتأول كل نص فيه ذكر قربه من جهة امتناع القرب عليه ، ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه ، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة ، وينظر في النص الوارد ؛ فإن دل على هذا حمل عليه ، وإن دل على هذا حمل عليه ... » ثم قال :

« فتدبر هذا ! فإنه كثيرا ما يغلط الناس في هذا الموضع ، إذا تنازع النفاة والمثبتة في صفة ودلالة نص عليها ، يريد المرید (المثبت) أن يجعل ذلك اللفظ - حيث ورد - دالا على الصفة وظاهرا فيها .

ثم يقول الثاني : وهناك لم تدل على الصفة فلا تدل هنا » ثم قال : « ... وهذا من أكبر الغلط ، فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه ، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية » .

المبحث الرابع

موقف الإمام أحمد من التأويل

لما كان أصحاب التأويل يطمعون أن يجدوا في كلام الله ورسوله ، وكلام الصحابة والسلف ما يررر موقفهم ، ويقوي حجتهم ، عمدوا إلى بعض الألفاظ المنقولة عن بعض أئمة السلف في بعض المسائل - وهذه الألفاظ إما أخطأ ناقلوها ، أو أساءوا فهمها - فجعلها هؤلاء المتأخرون عمدتهم في التأويل ، ونسبوا ذلك إلى السلف :

أ - قال الغزالي ^(١) : « سمعت بعض أصحابه - يعني أصحاب أحمد - يقول : إنه جسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ : قوله (ﷺ) : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » ^(٢) ، وقوله (ﷺ) : « قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن » ^(٣) ، وقوله (ﷺ) : « إني لأجد نفسَ الرحمن من جانب اليمن » ^(٤) .

ب - ما نقله حنبل في المحنة عن الإمام أحمد ، يقول : « احتجوا علي يوم المناظرة ، فقالوا : تحجى يوم القيامة سورة البقرة وتحجى سورة تبارك ، قال : فقلت لهم : إنما هو الثواب ، قال الله (جل ذكره) : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] وإنما تأتي قدرته ، القرآن أمثال ، ومواعظ ، وكذا وكذا » ^(٥) .

(١) إحياء علوم الدين ١/١٠٣ ، ١٠٤ ، وانظر : أساس التقديس للرازي ص : ١٠١ .

(٢) رواه الحاكم مرفوعاً في مستدركه ١/٤٥٧ ، وصححه وتعقبه الذهبي بأن في إسناده عبد الله بن المؤمل وهو ضعيف ، والصحيح وقفه على ابن عباس ، انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٩٧ ، وكشف الخفاء ومزيل الإلتباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ص : ٤١٧ ، ٤١٨ برقم : ١١٠٩ . تصحيح : أحمد القلاش - نشر مكتبة التراث الإسلامي - مطبعة الفنون - حلب (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه بلفظ : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث شاء » ٤/٢٠٤٥ كتاب القدر - باب تصريف الله (تعالى) القلوب حديث رقم : ٢٦٥٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٥٤١ (طبعة المكتب الإسلامي) وقال العراقي في تحريجه على الإحياء ١/١٠٤ رجاله ثقات .

(٥) الجوهر المخصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل لمحمد بن محمد أبي بكر السعدي ص : ٥٨ تحقيق : د/عبد الله عبد المحسن التركي - مطبعة هجر - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . مصر ، =

أولاً : الجواب على رواية الغزالي : وهو من وجوه :

الأول : عدم صحة النقل :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهذه الحكاية كذب على أحمد ، لم ينقلها أحد عنه بإسناد ، ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه ، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد ، مجهول لا يعرف : لا علمه بما قال ، ولا صدقه فيما قال » (١) .

الثاني : عدم رسوخ الغزالي في علم الحديث ، وشهادته على نفسه بذلك (٢) جعله ينقل في كتبه كثيراً من الموضوعات ، وهذه الحكاية واحدة منها .

الثالث : هذه الأحاديث التي ذكرها الغزالي ليس فيها ما يوجب التأويل ولا صرف الألفاظ عن ظاهرها ، بل دلالتها واضحة وبينه عند من تدبرها :

أما حديث الحجر الأسود ، فجوابه من وجهين :

الأول : أن الحديث محفوظ من كلام ابن عباس ، ولا يثبت عن النبي ﷺ (٣) .

الثاني : أن ألفاظ الحديث تدل على معناه دلالة واضحة لا يحتاج معها إلى تكلف في حملها على غير ظاهرها ، فقله : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » تقييد له بالأرض ، فلم يطلقه ، ولا شك أن حكم اللفظ المقيّد يخالف حكم اللفظ المطلق ، فهذا فرق واضح بين « اليمين » التي هي صفة لله ، وبين الحجر المخلوق ؛ وهو كقول الأمير ، مخاطباً قومه في جاسوس له : هذا عيني عنكم .

= وانظر : الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٤/١ تحقيق : د / محمد رشاد سالم - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . الرياض .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٨/٥ ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ١٤٩/٧ ، ١٥٠ .

(٢) انظر : قانون التأويل ص : ١٦ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٧/٦ ، وكشف الخفاء للمجلوني ٣٤٩/١ .

وقوله : « فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه » هذا تشبيه ، ومعلوم أن المشبه غير المشبه به ، فهو صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ، ولكنه شبهه بمن يصافح الله . فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله (تعالى) (١) .

وأما حديث « قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن » :

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ، ولا مماس لها ، ولا أنها في جوفه ، ولا في قول القائل : هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه ؟ وإذا قيل : السحاب المسخر بين السماء والأرض لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض ، ونظائر هذا كثيرة » (٢) .

أما حديث : « نفس الرحمن » : فجوابه : من وجهين : (٣)

الأول : أن المقصود بنفس الرحمن في الحديث : الفرج والنصرة ، إذ بأهل اليمن نفس الله عن المؤمنين : قاتلوا أهل الردة ، وفتحوا الأمصار .

الثاني : قوله في الحديث : « من قبل اليمن » أو « من جانب اليمن » يبين المقصود ، ويصرف الذهن عن التشبيه ، وعن طلب التأويل ؛ إذ ليس لليمن اختصاص بصفات الله (تعالى) .

ثانياً : الجواب على رواية حنبل :

اختلف الناس في هذا النقل عن الإمام أحمد على أقوال : (٤)

الأول : تغليب حنبل في هذه الرواية ، وإنكار أن يكون أحمد قد قال ذلك ، وذلك أن حنبل له غلطات معروفة ، وهذا منها .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٧/٦ ، ٣٩٨ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ودرء تعارض العقل والنقل ٢٣٩/٥ .

(٢) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص : ٤٩ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٨/٦ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٩/٥ - ٤٠٠ .

الثاني : وقال قوم : قال أحمد ذلك على سبيل الإلزام لهم ، أي إذا كان الرب (تعالى) قد أخبر بمجيء نفسه ثم تأولتم ذلك بأمره ، فإذا أخبر بمجيء القرآن فلائن تتأولون ذلك بمجيء ثوابه بطريق الأولى والأخرى . وإذا قال لهم ذلك على سبيل الإلزام . لم يلزم أن يكون موافقا لهم عليه .

الثالث : وقال قوم : إن هذه رواية عن أحمد ، وجعلوا ذلك عمدتهم في التأويل ؛ كابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما .

قال ابن تيمية : « لا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يناقض هذه الرواية ، ويبين أنه لا يقول إن الرب يحيى ويأتي وينزل أمره ، بل هو ينكر على من يقول ذلك » ^(١) .

ويذكر شيخ الإسلام أن هذه الرواية لم ينقلها غير حنبل ممن نقل مناظرة أحمد في المحنة ، كعبد الله بن أحمد ، وصالح بن أحمد ، والمروزي وغيرهم ^(٢) .

ثم قال شيخ الإسلام : « والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها ، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث ، أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة » ^(٣) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٩/٥ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٥/١٦ ، ٤٠٦ ، ٣٩٩/٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٩/٥ ، وانظر : ٤١٣/٥ منه .

المبحث الخامس الأدلة على بطلان مذهب أصحاب التأويل

وذلك من وجوه :

الأول : يستطيع السلف (رضوان الله عليهم) القول بأن ما أثبتوه من مسائل العقيدة هو من عند الله ، والكتاب والسنة قد دلا عليه ، أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدعي في الذي نفاه من دلالة النصوص ، أو ما أوله عليها من المعاني البعيدة ، لا يملك أن يقول : هذا من عند الله جازما بذلك ، بل غاية ما معه مجرد الإمكان ^(١) ، كما صرح بذلك أئمتهم ^(٢) . فكيف يترك اليقين إلى احتمالات وتجويزات لا يقوم معها يقين . ولقد أحسن من وصفهم بقوله : ^(٣)

« لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم »
وقال الآخر ^(٤) :

« ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا »

(١) انظر : علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين لرضا بن نoman معطي ص : ٥ ، ٦ - شركة الميكان للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ الرياض .

وانظر : درء تعارض العقل والنقل ١٢/١ .

(٢) انظر : قانون التأويل للغزالي ص : ١١ .

(٣) ذكر البتين الشهرستاني في مقدمة كتابه نهاية الإقدام ص : ٣ ولم يذكر محققه قائلهما ، وقد رد عليهما الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (رحمه الله) .

بقوله :

« لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن وإلاه من كل عالم
فما حار من يهدي يهدي محمد ولست تراه قارعا سن نادم »

ديوان الصنعاني للإمام الصنعاني ص : ٣٤٥ مطبعة المدني - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ القاهرة .

(٤) هو فخر الدين الرازي ذكره في كتابه : « أقسام اللذات » انظر : درء تعارض العقل والنقل

١٥٩/١ ، ١٦٠ وقال محققه : محمد رشاد سام « وهذا الكتاب مخطوط بافند ولم يذكره بروكلمان =

الثاني : إذا كان الحق ما يقوله هؤلاء المتأولة النافون لمعاني النصوص الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات والاحتمالات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً ؛ فكيف يجوز على الله (تعالى) ، ثم على رسوله (ﷺ) ، ثم على خير الأمة وأفضلها من الصحابة والتابعين : أنهم يتكلمون بما هو نص أو ظاهر ، في خلاف الحق ؟! ويعلمون ذلك أولادهم ، ونساءهم ، وإماءهم ^(١) ، هكذا يعلمونه الباطل والكفر والتشبيه ، حتى جاء تلامذة الصابئة والفلاسفة فنطقوا بالبيان ، وصدعوا بالحق ^(٢) ، سبحانهك هذا بهتان عظيم .

الثالث : القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف بين أمرين ؛ كليهما باطل ^(٣) :

١ - أن الصحابة والسلف لم يفهموا الحق في ذلك ، وأن ظواهر هذه النصوص باطل . ومن المعلوم ضرورة أن الله (تعالى) رضي عن الصحابة ؛ وذلك لموافقته مراد الله (تعالى) قولاً وعملاً واعتقاداً ؛ قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : « من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله (ﷺ) ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » ^(٤) .

= ضمن مؤلفات الرازي « انظر حاشية درء التعارض ١٦٠/١ ، وقبله بيتان :

« نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسوننا وغاية دنيانا أذى ووبال »

(١) كالجارية التي أتى بها سيدها إلى رسول الله (ﷺ) يريد أن يعتقها ؛ فسأها : « أين الله ، قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال : أعتقها فإنها مؤمنة » صحيح مسلم ٣٨٢/١ كتاب المساجد ... باب تحريم الكلام في الصلاة ... حديث رقم : ٥٣٧ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/٥ ، ١٦ .

(٣) انظر : إيثار الحق ص : ١٣٨ ، ١٣٩ . وانظر : ذم التأويل لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ص :

١١ ، ١٢ تحقيق : بدر بن البدر - الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - الكويت .

(٤) تقدم ترجمته ص : ٥١٩ .

٢ - أنهم علموا الحق وفهموه ، لكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصيحة للمسلمين ، والعادة توجب في كل ما كان كذلك أن يظهر التحذير منه من رسول الله (ﷺ) ومن أصحابه ، ويتواتر ذلك عنهم أعظم مما حذروا من الدجال الأعور الكذاب ، ولا يجوز عليهم مع كمال عقولهم وأديانهم أن يتركوا صبيانهم ونساءهم وعامتهم يسمعون ذلك منسوباً إلى الله (تعالى) وإلى كتابه ورسوله ، وظاهره الكفر ، وهم سكوت عليه ، ولو تركوا بيان ذلك ثقة بنظر العقول الدقيق لتركوا التحذير من فتنة الدجال ، فإن بطلان ربهيته أجلى في العقول وأظهر من ذلك .

الرابع : المتأولة يحاولون معرفة كل ما دلت عليه النصوص على نحو من التفصيل ، وإخضاع ذلك إلى معطيات العقل والحس ، فخرجوا عن حد الاتصاف بالإيمان بالغيب ؛ ولهذا كان المعطل للنصوص مشبهاً أولاً ، لأنه لا يؤمن إلا بما تدركه حواسه ، حتى قال قولته الأثيمة :

لا يعرف في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما كان جسماً ، والله ليس بجسم ، فلا يوصف بصفة ^(١) . وما درى هذا المسكين أن الله (تعالى) لا يدخل مع غيره في قياس شمول تستوي فيه أفراده ، ولا قياس تمثيل يستوي فيه الأصل مع الفرع بل لله المثل الأعلى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ^(٢) .

ولهذا لم يتخلص المعطلة مما ظنوه محذورا ، بل هو لازم لهم فيما فروا إليه كلزومه فيما فروا منه ، بل قد يقعون فيما هو أعظم :

فالذين نزهوا الله (تعالى) عن العلو والفوقية فراراً من التحيز والحصر ، قالوا :

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص : ١٦٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ . وما بعدها . تعليق : الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، وتحقيق ، د / عبد الكريم عثمان - الناشر : مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م . مصر
(٢) انظر : التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧ .

هو بذاته في كل مكان ، فجعلوه في أجواف البيوت والحشوش والأواني ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ومن استقبح ذلك منهم ، نفى عنه النقيضين فلا يصفه بفوق ولا تحت ، ولا مباينة ولا محايثة ، ومعلوم أن ذلك ممتنع عقلا وضرورة وفطرة ، فوصف ربه بما هو غاية في الامتناع ؛ فازداد بعدا عن الحق .

ونفاة القدر ابتغوا تنزيه الخالق عن مشيئة القبائح وخلقها ، وجوزوا أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، ويشاء ما لا يكون ، ولا يقدر على هداية ولا إضلال ^(١) .

الخامس ^(٢) : لا تجد للمتأول فرقا صحيحا بين ما يسوغ تأويله وبين ما لا يسوغ تأويله ، بل كل ما يدعي أنه لا يسوغ فيه التأويل فهو من جنس ما أوله ، وكذا العكس ، ولهذا يلزمه أحد أحوال ثلاث :

- ١ - الإيمان بجميع النصوص وإثبات ما دلت عليه ، فيوافق الحق لفظا ومعنى .
- ٢ - إنكار جميع ما دلت عليه النصوص ، فيخرج من التناقض ويلحق بأهل الكفر الصريح .

٣ - أن يفرق بين ما لا يجوز التفريق فيه ، فيؤمن ببعض ويكفر ببعض وهذا هو عين التناقض والاضطراب الذي هو سنة جمهور المتكلمين .

السادس ^(٣) : ليس عند فرقة من فرق التأويل معيار ترد به دلالة النصوص ، إلا ما أصلته واعتقدته مذهبا ، فردت ما خالفه مهما كانت وضوح حجته ، وقوة دلالته :

فالرافضة أصلت عداوة الصحابة فردوا من النصوص ما دل على فضائلهم والترضي عليهم .

(١) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٣٤ ، ٢٣٥ ، واختلاف اللفظ لابن قتيبة ص : ١٢ وما بعدها .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ١/٢٣٠ - ٢٣٢ .

والجهمية أصلت نفى التشبيه والتجسيم فردت ما ثبت لله من صفات الكمال والجلال .

والقدرية أصلت مسألة العدل ووجوبه ، فردت نصوص القدر والمشية ، وعكست الجبرية فأصلت القدر والمشية ، وردت ما دل على قدرة العبد واختياره ، وحكمة الله وعدله .

والوعيدية أصلت القول بنفوذ الوعيد وأن من يدخل النار لا يخرج منها ، وردوا ما خالف ذلك من نصوص الوعد والتجاوز والشفاعة وغيرها .

السابع^(١) : من فساد التأويل أنك تجد كل واحد من أهل التأويل يلزم المنكر عليه مثل ما ألزمه ، فكل ما أنكره على خصمه تجده قد شاركه في بعضه ، فلا يتمكن من دحض شبهته وكسر باطله :

ولهذا إذا استدل متأول الصفات على منكر المعاد وحشر الأجساد بنصوص الوحي ، أبدا لها تأويلات تخالف ظاهرها ، مستندا لذات حجة المنكر عليه ، ولا سيما أن نصوص الصفات أكثر وأصرح ، فإذا تطرق لها التأويل ، فهو إلى ما دونها أقرب تطرقا .

الثامن : طريقة الغزالي في ترجيحه مذهب السلف في ترك التأويل ، وذلك في كتابه : إلهام العوام عن علم الكلام ، ولعله من أواخر كتبه :

يقول أبو حامد : « أما البرهان الكلي على أن الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم أربعة أصول هي مسلمة عند كل عاقل » ، ثم ذكرها :

- ١ - أن النبي (ﷺ) هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في معاشهم ومعادهم .
- ٢ - أنه (ﷺ) بلغ كل ما أوحى إليه من صلاح العباد في معاشهم ومعادهم ، ولم يكتف شيئا . وأنه كان أحرص الخلق على صلاح الخلق وإرشادهم إلى صلاح المعاش والمعاد .

(١) انظر : الصواعق المرسلة ٢/٤٥٢ - ٤٥٤ ، وأعلام الموقعين ٤/٢٤٩ ، ٢٥٠ ، وإبصار الحق

٣ - أن أعرف الناس بمعاني كلام رسول الله (ﷺ) وأحرامهم بالوقوف على كنهه ودرك أسرارهم : الذين لازموا وعانوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وهم أصحابه (رضوان الله عليهم) .

٤ - أن الصحابة في طول أعصارهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ، ولو كان من الدين لأقبلوا عليه ليلاً ونهاراً ، ودعوا أولادهم وأهلهم إليه .

ثم قال أبو حامد : « فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه ، والصواب ما رأوه ... » ^(١) .

التاسع : المتأولة يقولون : الظاهر المتبادر من نصوص الصفات : التشبيه والتجسيم ، والحق الذي لا مزية فيه أن المتبادر من كل وصف ثبت في الكتاب والسنة ، والسابق إلى فهم المؤمنين منه هو : التنزيه التام عن مشابهة الحوادث ، فمجرد إضافة الصفة إليه (تعالى) يقطعها عن مشابهة صفات المخلوقين ، وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عاقل : هو مباينة الخالق للمخلوق في ذاته وصفاته ، لا والله لا ينكر هذا إلا مكابر ، تنجس قلبه وفكره بقدر التشبيه أولاً ، ثم لجأ إلى ما توهمه تنزيهاً ، وهو في الحقيقة تعطيل ^(٢) . قال عبد الرحمن بن مهدي (رحمه الله) : « قد هلك قوم من وجد التعظيم فقالوا : الله أعظم من أن ينزل كتاباً أو يرسل رسولا ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] ثم قال : هل هلك المجوس إلا من جهة التعظيم فقالوا : الله أعظم من أن نعبده ؛ ولكن نعبد من هو أقرب إليه منا ؛ فعبدوا الشمس وسجدوا لها فأنزل الله (عز وجل) : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

(١) ص : ٢٣ - ٢٥ المطبعة الميمنية ١٣٠٩ هـ ، مصر (بدون رقم الطبعة) . هذا الذي قاله الغزالي يخالف ما قاله في قانون التأويل ، وكما ذكرت فلعلة رجوع إلى منهج السلف كما ذكر ذلك عنه ، وأنه اشتغل في أواخر أيامه بالحديث ومات البخاري على صدره ، لكن إيمان الغزالي بما يسميه : اعتقاد العوام واعتقاد الخواص ، يشوش على هذه الفكرة ، وعلى كل حال فليقل من قوله ما وافق فيه الحق ، ويرد ما سوى ذلك .

(٢) انظر : أضواء البيان للشنقيطي ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ .

إِلَّا يُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿ [الزمر : ٣] وقال حماد بن سلمة : من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاتهموه على الدين » ^(١) .

العاشر ^(٢) : من شؤم التأويل على الإسلام وأهله ، أن مزقهم كل ممزق ، فاختلّفوا في أصول دينهم ، وجعل بعضهم يلعن بعضا ، وبعضهم يكفر بعضا ، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين ، وتستحلّ منهم الأنفس والأموال والأعراض : فما خرجت الخوارج ، ولا اعتزلت المعتزلة ، ولا رفضت الرافضة إلا بالتأويل ، وما كانت حروب الردة ، ومقتل عثمان ، وحروب صفين والجمل إلا بالتأويل ، وما نصب المنجنيق على البيت الحرام أيام الزبير وأيام القرامطة ^(٣) إلا بالتأويل ، وما ضرب مالك بن أنس بالسياط ، وكذا الإمام أحمد بن حنبل ، وطلب قتله إلا بالتأويل ، ولا جرى على الإمام البخاري وإخراجه من بلده إلا بالتأويل .
فأي جناية جناها التأويل على الإسلام وأهله ، فقاتل الله التأويل وأهله .

★ ★ ★

(١) رواه الأصبهاني في الحجة ص : ٧٢ (مخطوط) والقاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء في كتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات ص : ١١ (مخطوط) مكتبة السيد صبحي البدري الحسيني السامرائي - بغداد .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١/٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٧٦ وما بعدها ، وأعلام الموقعين ٤/٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٣) وأيضاً - في عصرنا هذا : أيام محنة الخرم في عهد الملك خالد (رحمه الله) .

المبحث السادس

موقف السلف وأهل السنة وجهات العلماء من قضية التأويل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ذكر إجماع الصحابة والتابعين وأهل السنة وأصحاب الحديث والفقهاء على نبد التأويل :

أولا : إجماع الصحابة والتابعين :

١ - ذكر ما قاله محمد بن إسحاق بن خزيمة (رحمه الله) :

قال : « إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله (تعالى) ، نقلها الخلف عن السلف : قرنا بعد قرن ، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا ، على سبيل الصفات لله (تعالى) ، والمعرفة والإيمان به ، والتسليم لما أخبر الله (تعالى) في تنزيله ، ونبه الرسول (ﷺ) عن كتابه ، مع اجتناب التأويل ، والجحود ، وترك التمثيل والتكييف » ^(١) .

٢ - ذكر ما قاله القاضي أبو يعلى (رحمه الله) :

قال : « ويدل على إبطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، ولا صرفوها عن ظاهرها ، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق ، لما فيه من إزالة التشبيه ، ودفع الشبهة ، بل قد روي عنهم ما دل على إبطاله ... » ^(٢) .

٣ - ذكر ما قاله أبو المعالي الجويني (رحمه الله) :

قال : « وقد درج صحب النبي (ﷺ) على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ، وهم صفوة الإسلام ، والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون

(١) ذكره عنه ابن قدامة في ذم التأويل ص : ١٨ برقم : ٢٠ .

(٢) كتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات ص : ٢١ (مخطوط) بتصرف .

جهدا في ضبط قواعد الملة ، والتواصي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ، فلو كان تأويل هذه الآي والظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين (رضي الله عنهم) على الإضراب عن التأويل ؛ كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع بحق ، فعلى ذي الدين أن يعتقد تنزيه الرب عن صفات المحدثين ، ولا يخوض في تأويل المشكلات ، ويكل معناها إلى الرب (تعالى) « ^(١) .

٤ - ذكر ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) :

قال : « إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات ، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها ؛ وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما روه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله (تعالى) من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد - إلى ساعتى هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك وتبينه ، وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يخصه إلا الله ... » ^(٢) .

٥ - ذكر ما قاله الأوزاعي إمام الشام (رحمه الله) :

قال : « كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله (تعالى ذكره) فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته (جل وعلا) » ^(٣) .

ثانيا : إجماع أهل السنة وأصحاب الحديث :

١ - ذكر ما قاله أبو عيسى الترمذي (رحمه الله) :

وذلك عقب روايته لحديث في فضل الصدقة ، فيه ذكر صفة اليمين للرحمن (جل ذكره) ، قال أبو عيسى : « وقد قال غير واحد من أهل العلم

(١) العقيدة النظامية لأبي المعالي الجويني ص : ٢٣ ، ٢٤ نصحيح وتعليق : محمد زاهد الكوثري مطبعة الأنوار ١٣٦١ هـ - ١٩٤٨ م القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٤/٦ .

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص : ٤٠٨ ، وصححه ابن القيم في اجتراح الجيوش ص : ٤٣ .

وجود إسناده الحافظ في فتح الباري ٤٠٦/١٣ .

في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ، ونزول الرب (تبارك وتعالى) كل ليلة إلى السماء الدنيا . قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ، ويؤمن بها ، ولا يتوهم ، ولا يقال كيف ؟ هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أمروها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ... » ^(١) .

٢ - ذكر ما قاله أبو عمر يوسف بن عبد البر (رحمه الله) :

قال : « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها ، والخوارج : فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ) وهم أئمة الجماعة » ^(٢) .

٣ - ذكر ما قاله أبو عثمان الصابوني (رحمه الله) :

قال : « إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ... يعرفون ربهم (عز وجل) بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ) على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويشبّون له (جل جلاله) منها ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ) ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ... تحريف المعتزلة والجهمية ... وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكليف والتشبيه ... » ^(٣) .

(١) سنن الترمذي ٢٤/٣ ، ٢٥ كتاب الزكاة - باب ما جاء في فضل الصدقة عقب حديث

رقم : ٦٦٢ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧ .

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص : ٣ ، ٤ برقم : ٣ .

٤ - ذكر ما قاله محي السنة البغوي (رحمه الله) :

وذلك عند تفسيره لقوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] قال (رحمه الله) : « أولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء فأما أهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة لله (تعالى) بلا كيف ، يجب على الرجل الإيمان به ، ويكمل العلم فيه إلى الله (عز وجل) » ^(١) .

ثالثا : إجماع الفقهاء وأئمة العلم :

١ - ذكر ما قاله محمد بن الحسن - صاحب أبي حنيفة - (رحمهما الله تعالى)

قال : « اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله (ﷺ) في صفة الرب (عز وجل) من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئا من ذلك خرج مما كان عليه النبي (ﷺ) وفارق الجماعة ، لأنه وصفه بصفة لا شيء » ^(٢) .

٢ - ذكر ما قاله محمد بن إسحاق بن خزيمة (رحمه الله) :

قال : « فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبا : أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه ؛ نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون ؛ لأنه ما لا صفة له ، (تعالى الله) عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا ، الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه محمد (ﷺ) » ^(٣) .

(١) تفسير البغوي ١٩٦/٢ .

(٢) العلو للذهبي ص : ٩٠ ، وذه التأويل ص : ١٤١ برقم : ١٣ ، وشرح السنة للالكائي ٤٣٢/٣ برقم : ٧٤٠ .

(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (عز وجل) لابن خزيمة ص : ١٠٠ ، ١١٠ ، راجعه : محمد خليل هراس - مكتبة الكليات الأزهرية - دار الشرق للطباعة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م مصر (بدون رقم الطبعة) .

٣ - ذكر ما قاله أبو المعالي الجويني (رحمه الله) :

قال : « وذهبت أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب (سبحانه) » ^(١) .

٤ - ذكر ما قاله أبو عمر بن عبد البر (رحمه الله) :

قال : « روينا عن مالك بن أنس ، والأوزاعي ، وسفيان بن سعيد ، وسفيان ابن عيينة ، ومعمر بن راشد ، في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قال : أمروها كما جاءت » ^(٢) .

٥ - ذكر ما قاله أبو عبد الله محمد بن الخضر الجدي لابن تيمية (رحمه الله) :

قال : « أما الإتيان المنسوب إلى الله فلا يختلف قول أئمة السلف : كمكحول ، والزهري ، والأوزاعي ، وابن المبارك ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد ، وأتباعهم أنه يمر كما جاء ، وكذلك ما شاكل ذلك مما جاء في القرآن ، أو وردت به السنة ؛ كأحاديث النزول ونحوها ، وهي طريقة السلامة ، ومنهج أهل السنة والجماعة ، يؤمنون بظواهرها ويكولون علمها إلى الله (تعالى) ويعتقدون أن الله منزّه عن سمات الحدّث ، على ذلك مضت الأئمة خلفا بعد سلف » ^(٣) .

٦ - ذكر ما قاله ابن قدامة (رحمه الله) :

قال : « ولا خلاف بين أهل النقل سنيهم وبدعيهم في أن مذهب السلف (رضي الله عنهم) في صفات الله (سبحانه وتعالى) الإقرار بها ، والإمرار لها ، والتسليم لقائلها ، وترك التعرض لتفسيرها ، بذلك جاءت الأخبار عنهم مجملة ومفصلة » ^(٤) ثم ذكر طرفا من ذلك .

(١) العقيدة النظامية ص : ٢٣ .

(٢) جامع بيان العلم ١١٨/٢ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٩/١٦ .

(٤) تحريم النظر ص : ١٠ ، ١١ .

وقال في موضع آخر : « ومذهب السلف (رحمة الله عليهم) : الإيمان بصفات الله (تعالى) وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله ، أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ، ولا نقص منها ، ولا تجاوز لها ، ولا تفسير لها ، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ... » ^(١) .

٧ - ذكر ما قاله ابن كثير (رحمه الله) :

وذلك عند تفسيره لقوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ آسَوى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .
[الأعراف : ٥٤] .

قال (رحمه الله) : « فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ... » ^(٢) .

* * *

المطلب الثاني : ذكر مواقف لبعض أعيان العلماء من المتقدمين والمتأخرين

١ - قال الأوزاعي (رحمه الله) : « كان الزهري ومكحول يقولان : أمروا هذه الأحاديث كما جاءت » ^(٣) . يعني أحاديث الصفات ، فلا تفسر ، بل تلاوتها

(١) ذم التأويل ص : ١١ برقم : ٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٢٢/٣ (طبعة الشعب) .

(٣) رواه ابن قدامة في ذم التأويل ص : ١٨ برقم : ٢١ ، وقال محققه (البدر) : « إسناده حسن » واللالكائي في شرح أصول السنة ٤٣٠/٣ ، ٤٣١ برقم : ٧٣٥ وذكر الترمذي نحوه عن مالك وابن عينة وابن المبارك (رحمهم الله) سنن الترمذي ٢٤/٣ كتاب الزكاة - باب ما جاء في فضل الصدقة عقب الحديث رقم : ٦٦٢ . وانظر : جامع بيان العلم ١١٨/٢ .

وقراءتها : تفسيرها ، كما قال سفيان بن عيينة : « كل ما وصف الله به نفسه في القرآن ، فقراءته تفسيره ، لا كيف ، ولا مثل » ^(١) .

٢ - وقال الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) : « فما ذكره الله (تعالى) في القرآن من ذكر الوجه ، واليد ، والنفس ، فهو له صفات بلا كيف ، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفة بلا كيف ، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته (تعالى) بلا كيف » ^(٢) .

٣ - وقال محمد بن الحسن (رحمه الله) في أحاديث الصفات كالنزول ونحوه : « إن هذه الأحاديث قد روتها الثقات ، فنحن نرونها ، ونؤمن بها ، ولا نفرها » ^(٣) .

٤ - وقال الوليد بن مسلم : « سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث ابن سعد ، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات ، فقالوا : أمروها كما جاءت » ^(٤) .

٥ - وقال أبو محمد الجويني - والد إمام الحرمين (رحمهما الله) : « وأثبتنا علو ربنا (سبحانه) ، وفوقيته ، واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق

(١) رواه الدارقطني في كتاب الصفات ص : ٤١ برقم : ٦١ ، وابن قدامة في ذم التأويل ص : ١٩ ، ونحوه عند البيهقي في الأسماء والصفات ص : ٤٠٩ وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤٠٧/١٣ .

(٢) كتاب الفقه الأكبر ص : ١٨٥ - دار الكتب العربية الكبرى - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) ذم التأويل ص : ١٤ وشرح أصول السنة - اللالكائي - ٤٣٣/٣ برقم : ٧٤١ ، والعلو المذهبي ص : ٨٩ ، ٩٠ .

(٤) الشريعة للآجري ص : ٣١٤ والأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤٥٣ ، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ص : ١١٨ برقم : ٢٩٥ تقديم : أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ... لأبي عمر بن عبد البر ص : ٣٦ مكتبة القدس - مطبعة المعاهد ١٣٥٠ هـ مصر (بدون رقم الطبعة) وذم التأويل ص : ٢٠ ، قال محققه (البدر) : « إسناده حسن ، هامش رقم : ٥٨ .

واضح في ذلك ، والصدور تنشرح له ، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ... » (١) .

٦ - وقال القاضي أبو يعلى (رحمه الله) : « لا يجوز رد هذه الأخبار - على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة - ولا التشاغل بتأويلها - على ما ذهب إليه الأشعرية - والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات الله (تعالى) ، لا تشبه سائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا نعتقد التشبيه فيها ، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، وغيره من أئمة أصحاب الحديث » (٢) .

٧ - وقال أبو بكر الخطيب البغدادي (رحمه الله) : « أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي عنها في السنن الصحاح ، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ... ولا نقول : معنى اليد : القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر : العلم ، ولا أن نقول إنها جوارح ... ونقول : إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله (تعالى) : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] و﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] » (٣) .

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ... لأبي محمد الجويني (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية)

. ١٨١/١

(٢) كتاب إبطال التأويلات ص : ٤ (مخطوط) .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٤٢/٣ ، ١١٤٣ ، وأورده الذهبي - أيضا في كتابه : العلو . انظر : مختص العلو للعلی الغفار - اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ص : ٢٧٢ ، ٢٧٣ برقم : ٣٣٢ وذكر الألباني أن الذهبي قد أورد هذا النص مختصرا ، وهو بيّامة في رسالة : الصفات للخطيب البغدادي ، المخطوطة بدار الكتب الظاهرية (مجموع ٤٣/١٦ ، ٤٤) انظر : ص : ٢٧٣ من مختص العلو . وقد أورد الألباني النص كاملا في مقدمة الكتاب (مختص العلو) ص : ٤٨ ، ٤٩ المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م بيروت - دمشق .

٨ - وقال عبد القادر الجيلاني (رحمه الله) : « وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية ، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة ؛ لأن الشرع لم يرد بذلك ، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك ، بل المنقول عنهم حملة على الإطلاق » ^(١) .

★ ★ ★

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

الفصل الثاني

موقف أهل السنة من التفويض

ويتضمن تمهيدا وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة مذهب أصحاب التفويض .

المبحث الثاني : هل التفويض هو مذهب السلف .

المبحث الثالث : الأدلة على بطلان مذهب التفويض .

تمهيد

معنى التفويض في اللغة والاصطلاح

أولاً : معنى التفويض في اللغة ^(١) :

قال ابن فارس : « الفاء والواو والضاد ، أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر ورده عليه » ^(٢) .

ويقال : فوض إليه الأمر ، إذا صيره إليه ، وجعله الحاكم فيه ؛ وفي التنزيل قال مؤمن آل فرعون : ﴿ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أُمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [غافر : ٤٤] . وفي دعاء النبي (ﷺ) « .. وفوضت أمري إليك » ^(٣) أي صيرته إليك ، ورددته إليك .

ومنه ، بات الناس فوضى ، أي مختلطين ، متساوين ؛ لا رئيس لهم ، أي أن كلا فوض أمره إلى الآخر :
قال الأفوه الأودي ^(٤) :

« لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا »

ثانياً : معنى التفويض في الاصطلاح : ^(٥)

التفويض هو رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلى الله (تعالى) : إما معنى وكيفية ، أو كيفية فقط ، وعليه فالتفويض قسمان :

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٦٠ مادة فوض . والصحاح للجوهري ٣/٩٩ -

١٠٠ مادة فوض ، ولسان العرب ٧/٢١٠ مادة فوض .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٢٦٠ .

(٣) صحيح البخاري ١/٣٥٧ فتح الباري ، كتاب الوضوء - فضل من بات على الوضوء -

حديث رقم : ٢٤٧ .

(٤) الصحاح للجوهري ٣/١٠٩٩ ، ولسان العرب ٧/٢١٠ .

(٥) انظر : القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف - لآبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكاني -

(بحث ماجستير مطبوع على الآلة) ص : ٢٢ بكلية أصول الدين بالرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

الأول : تفويض المعنى والكيفية ، وهو ما عليه بعض الخلف .

الثاني : تفويض الكيفية دون المعنى ، وهو مذهب السلف ، وإن لم يجر على اصطلاحهم تسميته تفويضا ، بل المعروف عنهم الإثبات .

* * *

المبحث الأول

حقيقة مذهب أصحاب التفويض

هم طائفة من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف ، تعارض عندهم المعقول والمنقول فأعرضوا عنهما جميعا ، يقلوبهم وعقولهم ، بعد أن هالهم ما عليه أصحاب التأويل من تحريف للنصوص ، وجناية على الدين ، فقالوا في أسماء الله وصفاته ، وما جاء في ذكر الجنة والنار ، والوعد والوعيد ، إنها نصوص متشابهة ، لا يعلم معناها إلا الله (تعالى) وجعلوا الوقف في آية آل عمران عند لفظ الجلالة ^(١) .

وهم طائفتان من حيث إثبات ظواهر النصوص ونفيها ^(٢) :

الأولى : تقول : المراد بهذه النصوص خلاف مدلولها الظاهر ، ولا يعرف أحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا الصحابة ، ولا أحد من الأمة ما أراد الله بها ، كما لا يعلمون وقت الساعة .

الثانية : تقول : بل تجرى على ظاهرها ، وتحمل عليه ، ومع هذا ، فلا يعلم تأويلها إلا الله (تعالى) فتناقضوا : حيث أثبتوا لها تأويلا يخالف ظاهرها ، وقالوا - مع هذا - : إنها تحمل على ظاهرها .

وهم - أيضا - طائفتان من حيث علم الرسول (ﷺ) بمعاني النصوص وعدمه : ^(٣)

الأولى : تقول : إن الرسول (ﷺ) كان يعلم معاني هذه النصوص المتشابهة ، لكنه لم يبين للناس المراد منها ، ولا أوضحه إيضاها يقطع النزاع ، وهذا هو المشهور بينهم .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٥ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٦٦ ، ٦٧ ، ٣٤/٥ ، ٣٥ ، ٦٧/٤ ، ٦٨ ، وشرح الطحاوية ص : ٥٣١ ، وانظر : أساس التقديس للرازي ص : ٢٢٢ وما بعدها .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٦ ، وشرح الطحاوية ص : ٥٣١ .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/٢٠٤ .

الثانية : تقول : - وهم الأكابر منهم - : إن معاني هذه النصوص المتشابهة لا يعلمه إلا الله ، لا الرسول ولا جبريل ولا أحد من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة .

وعند الطائفتين ، أن هذه النصوص إنما أنزلت للابتلاء ، والمقصود منها تحصيل الثواب بتلاوتها وقراءتها من غير فقه ولا فهم ^(١) .

فأصحاب التفويض بنوا مذهبهم على أصليين :

الأول : أن هذه النصوص - نصوص الصفات والقدر والوعد والوعيد والمعاد - من المتشابهة ، وقد تقدم دحض هذه الدعوى ، وأنه لا يعلم أحد من السلف جعل شيئاً من هذه النصوص من المتشابهة الذي لا يعلم معناه أحد من الناس ^(٢) .

الثاني : أن المتشابه لا يعلمه إلا الله (تعالى) واستدلوا على ذلك بالوقف على لفظ الجلالة في آية آل عمران ، وقد تقدم - أيضاً - أن الوقف صحيح ، وهو قول جمهور العلماء ، لكن لم يقل واحد منهم إن معاني هذه النصوص وغيرها لا يعلمه إلا الله : لا الرسول (ﷺ) ولا أحد من الأمة . فهم - أي دعاة التفويض - لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره الذي يعلمه الرسول والراسخون في العلم ، وبين التأويل الذي اختص الله بعلمه ، من العلم بوقت الساعة وحقائق الأسماء والصفات ، ومسائل اليوم الآخر ونحو ذلك ، ومع ذلك فنحن نفهم ما خوطبنا به من هذه المسائل من جهة المعنى ، وإن كنا نجهلها : كيفية وقدرها .

الفرق بين التفويض والإثبات :

تباين السلف وأصحاب التفويض في مسائل أهمها :

الأولى : أن السلف أثبتوا اللفظ وما دل عليه من المعاني ، مع فهمهم المعنى المراد من حيث الوضع اللغوي ، ومن حيث معرفة مراد المتكلم ، فيعلمون معنى السمع والبصر ، والوجه واليدين ، والصراط والميزان ، ونحو ذلك .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤٢/١٦ ، وأساس التقديس للرازي ص : ٢١٦ .

(٢) راجع القاعدة التاسعة من الباب الثاني .

أما أصحاب التفويض ، فهم وإن كانوا قد أثبتوا اللفظ ، وفهموه من حيث وضع اللغة ؛ لكنهم توقفوا في تعيين المراد به في حق الله (تعالى) بل يمنعون أن يكون ظاهره مرادا .

الثانية : السلف فوضوا العلم بالكيفية دون العلم بالمعنى ؛ فيعلمون معنى السمع والبصر والوجه واليدين ، ويعلمون معاني ما أخبر الله به من مسائل اليوم الآخر من أنواع النعيم وصنوف العذاب ، ولكنهم يجهلون كيفية ذلك وحقيقته التي هو عليها . أما أصحاب التفويض فقد فوضوا العلم بالكيفية والمعنى جميعا ، فلا يعلمون معاني نصوص الصفات ، ولا معاني نصوص المعاد ، بل يقولون : لا ندري ما أراد الله بها .

الثالثة : أصحاب التفويض وافقوا السلف - أو كثيرا منهم - في الوقف على لفظ الجلالة ، لكنهم خالفوهم في جعلهم التأويل المنفي في الآية هو تفسير اللفظ ومعرفة معناه ، أو هو التأويل بالاصطلاح الحادث عند المتأخرين ^(١) . والسلف يقولون : التأويل المنفي هو الحقيقة التي يؤول إليها الأمر وهو غالب استعمال القرآن ، كما مر ^(٢) .

العلاقة بين التفويض والتأويل : ^(٣)

وبيان ذلك من وجوه :

الأول : وافق أصحاب التفويض أصحاب التأويل في القول بأن الله (تعالى) أنزل كلاما يراد به خلاف الظاهر منه ، وذلك ابتلاء وامتحانا من الله لعباده ، لتحصيل الثواب والأجر ، فابتغاه المتأولة في صرف الكلام عن ظاهره ، وابتغاه إخوانهم المفوضة في الكف والإمساك عن فهمه ، وعن تأويله ، إظهارا لكمال العبودية ، وتمام الانقياد ؛ حيث صدقوا بكلام لا يفهمون له معنى .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/١٧ .

(٢) راجع الفصل السابق (التأويل) ص : ٥٣٧ وما بعدها .

(٣) انظر : درء تعارض العقل ١٦/١ ، ١٧ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥٢/١٦ ، ٣٥٧/١٧ ، وانظر : أساس التقديس للرازي ص : ٢١٦ ، ٢١١ ، ٢٢٢ وما بعدها .

الثاني : ووافقوهم - أيضا - في القول بأن الرسول (ﷺ) لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها متشابهة ، واختلفوا في كون الرسول (ﷺ) يعلم معناها أم لا ، فقال المتأولة وكثير من المفوضة : كان يعلم معناها ، لكنه لم يعلمه لأمته . وقال بعض المفوضة : بل لم يكن يعلم معناها لا هو ، ولا جبريل ، ولا سائر الصحابة والتابعين ، وغيرهم من علماء الأمة .

الثالث : أصحاب التأويل أحسنوا حين جعلوا لكلام الله (تعالى) معنى يمكن فهمه ، وأسأوا حين صرفوا النصوص عن ظاهرها ، وأما أصحاب التفويض فقد أحسنوا حين كفوا عن التحريف (التأويل) ، وأسأوا حين أعرضوا عن فهم النصوص .

★ ★ ★

المبحث الثاني

هل التفويض هو مذهب السلف

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حقيقة هذه الدعوى

جرى على ألسنة كثير من المتأخرين أن التفويض في الصفات هو مذهب السلف الصالح ، وإليك أمثلة من ذلك :

١ - ذكر الشهرستاني في كتابه : الملل والنحل ، أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يشبّون الله (تعالى) الصفات : صفات الذات وصفات الفعل ... ثم قال : « فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات ^(١) واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها ، وما ورد به الخبر ، فافترقوا فرقتين :

فمنهم من أوله على وجه يحتمله اللفظ ^(٢) ، ومنهم من توقف في التأويل ، وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله (تعالى) ليس كمثله شيء ، فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ، ولا يشبهه شيء منها ، وقطعنا بذلك ، إلا أننا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ... ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، وذلك قد أثبتناه يقيناً ^(٣) .

وقال الشهرستاني في موضع آخر : « واحتاط بعضهم - أي السلف - أكثر احتياطاً حتى لم يقرأ اليد بالفارسية ، ولا الوجه ، ولا الاستواء ، ولا ما ورد

(١) هذا لا دليل عليه ، سوى دعوى المعطلة على أهل الإثبات أنهم مشبهة ومجسمة وحشوية ونحو ذلك من الألقاب الشيعية.

(٢) لعله يشير بذلك إلى الإمام أحمد ، وقد عرفت ضعف هذه الدعوى . راجع ص : ٥٥٦ من الفصل الذي مضى .

(٣) الملل والنحل ٩٢/١ .

من جنس ذلك ، بل إن احتاج في ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد : لفظا بلفظ ، فهذا هو طريق السلامة وليس من التشبيه في شيء « (١) .

٢ - وقال الرازي في تقرير مذهب السلف :

« حاصل هذا المذهب أن هذه التشابهات - يعني نصوص الصفات - يجب القطع فيها ، بأن مراد الله (تعالى) منها شيء غير ظواهرها ، ثم يجب تفويض معناها إلى الله (تعالى) ولا يجوز الخوض في تفسيرها « (٢) .

٣ - وقال السيوطي في الإلتقان : (٣)

« من المتشابه آيات الصفات » ثم أورد بعض الآيات التي فيها ذكر الاستواء والوجه والعين واليد واليمين ، ثم قال : « وجمهور أهل السنة ، منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله (تعالى) ولا نفسرها ، مع تنزيها له عن حقيقتها » .

وقد أيد أصحاب هذه الدعوى دعواهم بأمور ، منها :

١ - ما ورد عن بعض السلف من نفي الكيف والمعنى جميعا . كالذي رواه حنبل عن الإمام أحمد (رحمه الله) حين سألته عن آيات الصفات وأحاديثها ، فقال الإمام أحمد : « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » (٤) .

٢ - وكذلك ما ورد عن بعض السلف - وقد سئل عن آيات الصفات - فقال : « أمروها كما جاءت » (٥) .

٣ - وكذلك ما ورد عن بعض السلف أنه أمر بترك تفسيرها والتعرض لها (٦) .

(١) الملل والنحل ١/١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) أساس التقديس ص : ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) ٦/٢ .

(٤) ذم التأويل ص : ٢٢ رقم : ٣٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/٣٦٣ .

(٥) انظر : جامع بيان العلم ١١٨/٢ ، وشرح أصول السنة للإلكائي ٤٣١/٣ برقم : ٧٣٥ ،

وذم التأويل ص : ١٨ برقم : ٢١ .

(٦) انظر : شرح أصول السنة ٤٣٢/٣ برقم : ٧٤٠ ، وذم التأويل ص : ١٤ برقم : ١٣ ، ١٤ .

المطلب الثاني

الجواب على دعوى أن التفويض مذهب السلف

والجواب على هذه الدعوى يكون من وجوه :

الوجه الأول : مر بنا - في القاعدة الثامنة - أن السلف من الصحابة والتابعين تكلموا في معاني القرآن الكريم ، ولم يمتنع واحد منهم عن تفسير آية بحجة أنها من المتشابه ، ولا قال أحد منهم قط : إن في القرآن ما لا يفهم معناه ^(١) ، بل قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت وأين نزلت ... » ^(٢) .

وقال ابن أبي مليكة : « رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواح ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله ^(٣) » ولهذا قال مجاهد : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه أسأله عنها » ^(٤) .

وقال قتادة : « ما في القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئا » ^(٥) إلى غير ذلك من الأدلة التي تبين أن السلف تكلموا في عامة القرآن الكريم ، كيف وهو نزل بلسانهم ، وجرى على معهودهم في الكلام ، وأسلوبهم في الخطاب .

الوجه الثاني : أن هؤلاء المتأخرين لما رأوا السلف قد أمسكوا عن التحريف (التأويل) والخص في كلام الله على نحو ما فعل المتأخرون ، ظنوا أن ذلك إمساك منهم عن فهم معاني القرآن ، وإعراض عن عقل دلالته ، بل السلف أثبتوا الصفة

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٠/١٧ ، ٢٨٥/١٣ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٤٦٣ ، ونظر : تفسير الطبري ٣٦/١ (المقدمة) .

(٣) تفسير الطبري ٤٠/١ (المقدمة) .

(٤) تفسير الطبري ٤٠/١ (المقدمة) .

(٥) سنن الترمذي ١٤٨/٨ كتاب التفسير - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه - يلي الحديث

ومعناها ، وأمسكوا عن طلب معرفة كیفیتها وكنهها : قال الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي ^(١) : « وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت ، غير معقولة له من حيث التكيف والتحديد ، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه ، أعمى من وجه ، مبصراً من حيث الإثبات والوجود ، أعمى من حيث التكيف والتحديد ، وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه ، وبين نفي التحريف والتشبيه والوقوف ... » ^(٢) يوضحه :

الوجه الثالث : قال أبو الفضل ، إسحاق بن أحمد بن غانم العلشي ^(٣) في رسالة له إلى عبد الرحمن بن الجوزي ، ينكر فيها عليه أشياء ، ومن جعلتها التأويل ، وزعمه أن جماعة من السلف فوضوا ، فقال (رحمه الله) فيما قال : « ... ثم تعرضت لصفات الخالق (تعالى) كأنها صدرت لا من صدر سكن فيه احتشام العلي العظيم ، ولا أملاها قلب ملء بالهبة والتعظيم ... وزعمت أن طائفة من أهل السنة الأخيار تلقوها وما فهموا ، وحاشاهم من ذلك ، بل كفوا عن الثثرة ،

(١) هو : عماد الدين أبو العباس الزاهد القدوة ولد بشرق واسط سنة : ٦٥٧ هـ . وكان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية ، لكن الابن نشأ من صغره طالباً للحق نافراً عن البدع ، اجتمع بالفقهاء بواسط ، وقرأ شيئاً من مذهب الشافعي ، ثم دخل بغداد وصحب طوائف من الفقهاء ، وأقام بالقاهرة مدة خالط فيها طوائف الفقهاء ولم يسكن قلبه إلى شيء من الطرائق المحدثه ، ومال إلى الشاذلية وتأذب بآدابها ، ثم قدم دمشق فرأى شيخ الإسلام ابن تيمية وصاحبه ، فدلّه على طريقة أهل الحق حتى اشتغل بدراسة السيرة النبوية فخلصها واختصرها ، وبمطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، فتخلّى عن جميع طرائقه وأذواقه وسلوكه واقتفى أثر النبي (ﷺ) وهدى وطرائقه الماثورة عنه ، ثم تبوع في الرد على المنتدعة ، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد واختصر الكافي في مجلد سماه البلغة . قال فيه ابن تيمية : هو جليل وقته . توفي سنة : ٧١١ هـ . انظر : شذرات الذهب ٢٤/٦ حوادث سنة : ٧١١ هـ .

(٢) النصيحة في صفات الرب (جل وعلا) لأحمد الواسطي ص : ٣٩ ، ٤٠ بتحقيق : زهير الشاويش - المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م - بيروت - دمشق .

(٣) هو : الزاهد القدوة ويقال له : أبو محمد سمع من أبي الفتح بن شاتيل وقرأ على ابن كليب وابن الأخضر ، وكان العلشي فقيهاً عالماً أماراً بالمعروف ، نهى عن المنكر ، أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه ، وواجهه بالحق . وله في ذلك رسائل كثيرة إلى الأعيان والفقهاء ينكر عليهم ترخصهم وتقصيرهم عن الحق . توفي سنة : ٦٣٤ هـ . انظر : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٢/٢٠٥ وما بعدها ترجمة رقم : ٣١٣ تصحيح : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

والتشديق ، لا عجزا - بحمد الله - عن الجدال والخصام ، ولا جهلا بطرق الكلام ، وإنما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علم ودراية ، لا عن جهل وعماية ... » ^(١) .

الوجه الرابع : قول أم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس (رضي الله عنهم) : « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول » ^(٢) فالاستواء صفة من صفات الله (تعالى) وقد كثر اللفظ فيها بين المتأخرين ، ومع ذلك أثبتتها السلف عن فهم وإدراك ، وقولهم : غير مجهول - أي معلوم المعنى - واضح الدلالة ، هذا الذي أثبتوه ثم سكتوا عن الكيفية ، وهي ما عليه الرب (تعالى) من هذه الصفة ، وهذا مذهبهم في جميع الصفات :

فالمنفي علم الكيفية لا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه - على ما يليق به (تعالى) - لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، لأن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما ، بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم . وأيضا - فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وإنما يحتاج إلى ذلك إذا أثبتت الصفة .

وأیضا - فإن من ينفي الصفات الخبئية أو الصفات مطلقا ، لا يحتاج إلى أن يقول : بلا كيف ، فمن قال : إن الله ليس على العرش ، لا يحتاج أن يقول : بلا كيف ، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول ^(٣) .

اعتراض : فإن قال قائل : مقصود مالك وغيره بقولهم : الاستواء معلوم ، أو الاستواء غير مجهول ، أن ورود ذلك في القرآن معلوم .

الجواب ^(٤) : هذا ضعيف ؛ لأنه من باب تحصيل الحاصل ؛ لأن السائل قد علم وجود هذا اللفظ (الاستواء) في القرآن ، ودليل ذلك : تلاوته الآية الاستواء .

(١) كتاب الذيل على طبقات الختابة لابن رجب الحنبلي ٢٠٧/٢ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٢٣٤ ، وقال ابن تيمية : « وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة

ابن أبي عبد الرحمن من غير وجه » مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠/٥ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤١/٥ ، ٤٢ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٩/١٣ ، ٣١٠ .

ثم إن مالكا أو غيره لم يقل : ذكر الاستواء في القرآن معلوم ، أو إخبار الله بالاستواء معلوم ، وإنما قال : الاستواء معلوم ^(١) ، فأخبر عن الاسم المفرد أنه معلوم ، لم يخبر عن الجملة .

وأیضا - فإنه قال : والكيف مجهول (غير معلوم) ولو أراد ما ذكره المعترض ، لقال : معنى الاستواء مجهول ، أو تفسير الاستواء مجهول ، أو بيان الاستواء غير معلوم ، فلم ينف إلا العلم بكيفية الاستواء ، لا العلم بنفس الاستواء : قال ابن تيمية ^(٢) : « فالاستواء معلوم ، يعلم معناه ، ويفسر وترجم بلغة أخرى ، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم » .

الوجه الخامس : أما الألفاظ التي ذكرها بعض السلف من الكف عن الكيف أو الكيف والمعنى ، أو التفسير ، أو إمرارها كما جاءت ، ونحو هذه العبارات ، فلا تتنافى مع ما قرره من الإثبات ، بل الصحيح المشهور عنهم أنهم أثبتوا اللفظ ومعناه ، وأمسكوا عن التمثيل والتكييف ، وإنما قالوا مثل هذه الألفاظ في معرض الرد على المتأولة والمعطلة والمشبهة ، مبالغة في الرد عليهم جميعا ، وتحقيقا للإثبات ^(٣) ، ولهذا قال ابن القيم (رحمه الله) : « ومراد السلف بقولهم : بلا كيف هو نفي التأويل ، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل ، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة » ^(٤) وذلك لأن المتأول لم يتأول إلا بعد أن انقدح عنده التشبيه ، فكان مشبها أولا ، ثم معطلا ثانيا ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فقولهم (رضي الله عنهم) : أمروها كما جاءت ، رد على المعطلة ، وقولهم : بلا كيف ، رد على الممثلة » ^(٥) .

(١) أورد هذه الرواية عن مالك : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول » القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ١٧٠/١ بتحقيق : د / أحمد بكر محمود - دار مكتبة الحياة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦/٥ ، ٣٧ .

(٣) انظر : علاقة الإثبات والنفي لرضا نعلان ص : ٦٩ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٧ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩/٥ .

أما نفي المعنى : فالمعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ ، وتارة على الأمر القائم بالغير ^(١) فيكون مراد الأئمة نفي القسم الثاني .

ثم إن أحمد بن حنبل نفسه ، وقبله عبد العزيز بن الماجشون إمام أهل المدينة قالوا : « إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، وإن علمنا تفسيره ومعناه » ^(٢) فهذا الكلام المبين يفسر به ذلك المحمل ؛ فيزول الإشكال ويندفع الإيهام .

وأما ترك التفسير ، فمرادهم به : ترك التفسير الذي يؤدي إلى طلب معرفة الكيفية والكنه ، أو ترك التفسير الذي يخرج اللفظ عن ظاهره ^(٣) ، أما التفسير الذي هو فهم المعنى وإدراك المطلوب من الخطاب ، فقد ثبت اشتغالهم وعنايتهم به .

أما قولهم : أمروها كما جاءت - إضافة إلى ما تقدم - فالمقصود إبقاء دلالتها على ما هي عليه ، فإنها ألفاظ جاءت دالة على معان ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها ، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ^(٤) .

ثم إن الإمام أحمد وغيره قالوا - أيضا - في نصوص الوعيد : أمروها كما جاءت ، وهذا كذاك ؛ مما يدل على أن مرادهم عدم تصريف العبارة إلى معان تبطل دلالة النصوص ، قال سفيان الثوري : « من الأدب إجراء الأحاديث التي خرجت مخرج الزجر والتنفير على ظاهرها من غير تأويل ، فإنها إذا أولت خرجت عن مراد الشارع ... » ^(٥) وسئل أحمد بن حنبل عن الحرورية والمارقة يكفرون ، وترى قتالهم ؟

(١) انظر : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين (ابن الأوسى) ص : ٢٦٩ -

دار الكتب العلمية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢٠٧/١ .

(٣) انظر : علاقة الإثبات والتفويض ص : ٧١

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤١/٥ ، ٤٢ .

(٥) قواعد التحديث للقاسمي ص : ٢٩٣ ، وانظر : فتح الباري ١٦٤/٣ .

فقال : اعفني من هذا وقل كما جاء في الحديث «^(١) وسئل (رحمه الله) عن حديث « من غشنا فليس منا »^(٢) ما وجهه ؟ فأجاب : « لا أدري إلا على ما روي »^(٣) وسئل (رحمه الله) عن أحاديث جاءت في علي (رضي الله عنه) في الفضائل ، فقال : « على ما جاءت لا نقول في أصحاب رسول الله (ﷺ) إلا خيرا »^(٤) .

فتبين بذلك أن نسبة مذهب التفويض إلى السلف نسبة باطلة ، ودعوى مجردة عن الدليل والبرهان ، وكل ما تعلق به المتعلقون من كلام السلف فهو يدل على تحقيق الإثبات ، وتفويض العلم بالكيفيات ، قال أحمد بن حجر آل بوطامي^(٥) :

« قد نسبوا للسلف الثقات	تفويضهم للبعض من الصفات
كصفة الوجه وكاليدين	لله ربي خالق الكونين
ولم يصح زعمهم لكننا	قد فوضوا كنه الصفات فاعلما
والفرق بين القولين شاسع	يفهمه القارئ كذلك السامع »

(١) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء ١٥٨/٢ برقم : ١٨٨٤ تحقيق : زهير الشاويش المكتب الإسلامي ١٣٩٤ هـ - ١٤٠٠ هـ بيروت - دمشق (بدون رقم الطبعة) .

(٢) صحيح مسلم ٩٩/١ كتاب الإيمان - باب قول النبي (ﷺ) « من غشنا فليس منا » - حديث رقم : ١٠٢ ، ١٠١ .

(٣) رواه الخلال في السنة ص : ٥٧٨ برقم : ٩٩٩ ، وصحح إسناده المحقق الدكتور : عطية الزهراني - دار الراجعية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م - الرياض .

(٤) مسائل الإمام أحمد لابن هانيء ١٦٩/٢ برقم : ١٩٣٤ .

(٥) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والعقلية شرح الدرر السنية في عقد أهل السنة المرضية ١٩٧/١ - الطبعة الأولى ١٩٧٠ م - بيروت (بدون اسم المطبعة) .

المبحث الثالث

الأدلة على بطلان مذهب التفويض

تنبيه :

هذا الفصل (موقف أهل السنة من التفويض) له علاقة وثيقة بالقاعدة الثامنة : (ظواهر النصوص مفهومة لدى المخاطبين) بل هو من لوازمها ، ولهذا تركت ذكر بعض المباحث هنا ، اكتفاء بما تقدم ، وكذلك كثير من أدلة بطلان مذهب التفويض قد تقدم ذكرها في القاعدة الثامنة ، فلا حاجة إلى إعادتها ، لكنني أذكر هنا بعض الأدلة ، والتي تكتمل بها صورة الجواب على هذا المذهب ، ومن ذلك :

الدليل الأول : تواتر الآيات والأحاديث على إثبات صفة معينة وذلك بأساليب متعددة ، ودلالات متعاضدة ، يؤكد أن هذا الظاهر هو المطلوب فهمه ، فصرف العقول والقلوب عن إدراك هذا المعنى - والذي احتشدت النصوص لتأكيد - هو غاية في الاستبلاء .

الدليل الثاني : لقد فسر أئمة السلف كثيرا من آيات الصفات كقولهم في الاستواء إنه : العلو والاستقرار والارتفاع ^(١) ، مما يدل على أنهم فهموا معناها .

الدليل الثالث : قول عبد الله بن المبارك وقد سئل : كيف نعرف ربنا ؟ فقال : نعرف ربنا : فوق سبع سموات على العرش استوى ، بائن من خلقه ، وفي رواية ، قال : « على السماء السابعة على عرشه » ^(٢) وهذا الذي قاله هو مقتضى النصوص ، وهو الذي فهمه منها .

(١) انظر : تفسير الطبري ١/١٩١ ، ١٩٢ ، وتفسير البغوي ٢/١٩٦ .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص : ٤٢٧ ، وعبد الله بن أحمد في السنة ص : ٧ ، ٣٥ ، ٧٢ ، والدارمي في الرد على المريسي ص : ٢٤ ، والذهبي في العلو وصححه . انظر : مختصر العلو ص : ١٥١ برقم : ١٥٠ وابن القيم في الجيوش الإسلامية ص : ٤٤ وصححه ، وفي ص : ٨٤ وقال : « وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر ... » ثم ذكر الحديث . وصححه الألباني في مختصر العلو ص : ١٥١ .

الدليل الرابع : تفريق السلف بين إدراك المعنى وإدراك الكيف : وقد تقدم كلام الإمام مالك (رحمه الله) في ذلك ، وقال الذهبي عقب كلام مالك (رحمه الله) : « وهو قول أهل السنة قاطبة : أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه ، وأنه كما يليق به » ^(١) .

الدليل الخامس : من المعلوم أنه (ﷺ) كان يحضر مجلسه الشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، والذكي والبليد ، والحضري والأعرابي الجافي ، ولم ينقل عنه (ﷺ) أنه كان يحذر من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفة الرب (تعالى) أو غير ذلك من المسائل : في العقائد أو في الأحكام ، مما يبين أنها على ظاهرها ، وأنها مفهومة عندهم ، وإن كانوا في الفهم متفاوتين ، خاصة فيما يتعلق بمسائل الأحكام ^(٢) .

الدليل السادس : يلزم من مذهب التفويض لوازم باطلة ، منها :

أ - القدح في الرب (جل وعلا) وفي القرآن الكريم وفي الرسول (ﷺ) وذلك بأن يكون الله (تعالى) أنزل كلاماً لا يفهم ، وأمر بتدبر ما لا يتدبر ، ويعقل ما لا يعقل ، وأن يكون القرآن الذي هو النور المبين والذكر الحكيم ، سبياً لأنواع الاختلافات والضلالات ، بل يكون بينهم وكأنه بغير لغتهم ، وأن يكون الرسول (ﷺ) لم يبلغ البلاغ المبين ، ولا بين للناس ما نزل إليهم ، وبهذا تكون قد فسدت الرسالة ، وبطلت الحجة ، وهو الذي لم يتجرأ عليه صناديد الكفر ^(٣) .

ب - أن يتسلط المتأولة على المفوضة فينسبون هذه الطريقة إلى السلف ، فيكون السلف من الصحابة وخيار التابعين بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب

(١) العلو للذهبي ص : ٨٢ .

(٢) انظر : أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المتشابهات لزين الدين مرعي ابن يوسف الكرسي ص : ٨٥ تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .

(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٠٤ .

إلا أمني ، شغلهم الجهاد وفتح البلاد عن التدبر في كلام الله (تعالى) وعقله وفهمه ، فقال المتأخرون قولتهم المشنومة : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، بل طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم ، وما أمتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همه القوم مراعاة أصولها وضبط قواعدها ، وشد معاقدها ، وهمهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء ، فالتأخرون في شأن ، والقوم في شأن آخر ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا ^(١) .

ج - استطالة نفاة المعاد - وغيرهم من الملاحدة - على المفوضة فيقول الواحد منهم : الحق في نفس الأمر ما علمته برأبي وعقلي ، وليس في النصوص ما يناقض ذلك ، لأن تلك النصوص مشككة ومتشابهة لا يعلم أحد معناها ، وما لا يعلم معناه لا يجوز الاستدلال به ، فيبقى هذا المذهب (التفويض) سدا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء ، وفتحاً لباب من يعارضهم من أهل الضلالات من الفلاسفة والملاحدة الباطنية ، وأصحاب الأذواق والمواجيد والتأويلات الشنيعة ^(٢) .

★ ★ ★

(١) انظر : شرح الطحاوية ص : ١٢ ، وراجع القاعدة العاشرة من الباب الثاني .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢٠٢/١ ، ٢٠٥ .

الفصل الثالث

موقف أهل السنة من المنطق الأرسطي

ويتضمن تمهيدا وخمسة مباحث :

المبحث الأول : تاريخ نشأة المنطق الأرسطي .

المبحث الثاني : دخول المنطق الأرسطي ديار المسلمين ، واختلاطه بالعلوم الشرعية .

المبحث الثالث : أسباب رفض المسلمين المنطق الأرسطي .

المبحث الرابع : نقض المنطق الأرسطي .

المبحث الخامس : حكم الاشتغال بالمنطق الأرسطي .

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

تمهيد

التعريف بالمنطق الأرسطي وموضوعه

١ - التعريف بالمنطق الأرسطي :

يزعم أصحاب المنطق أن النطق نوعان : ظاهر وباطن ، والظاهر هو الألفاظ والكلام ، وتقويمه إنما يكون بالنحو في النثر ، وبالعروض في الشعر ، وأما الباطن فهو عمل العقل ، وفكره ، وتقويمه إنما يكون بالمنطق الاصطلاحي ^(١) :

والمشهور عندهم أنه : « آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، أو أن يزل في تفكيره » ^(٢) .

وقريب من ذلك تعريف ابن سينا للمنطق في كتابه النجاة أنه « الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق به ، والموصلة إلى الاعتقاد الحق بإعطاء أسبابه ونهج سبله » ^(٣) هذا باعتبار فائدته وثمرته ، أما باعتبار رسمه فيعرفه ابن سينا بأنه : « الصناعة النظرية التي تعرف أنه من أي الصور والمواد يكون الحد الصحيح الذي يسمى بالحقيقة حدا ، والقياس الصحيح الذي يسمى بالحقيقة برهاناً » ^(٤) .

(١) انظر : حاشية الجرجاني على تحرير القواعد المنطقية لمحمود بن محمد الرازي ص : ١٨ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م - مصر ، والمنطق المنظم في شرح الملوي على السلم لعبد المتعال الصعيدي ص : ١١ الناشر : أحمد نجيب الرازي - مطبعة السعادة - الطبعة الثانية - مصر (بدون تاريخ الطبعة) ، والمنطق والفكر الإنساني لعبد السلام محمد عبده ص : ٥ - مطبعة لطفى ١٩٧٨ - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

(٢) انظر : تحرير القواعد المنطقية - لمحمود بن محمد الرازي ، على شرح الرسالة الشمسية لعمر ابن علي القزويني - المعروف بالكاتب ص : ١٦ - ١٨ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ - ١٩٤٨ م مصر ، والتعريفات للجرجاني ص : ١٢١ ، والرد على المطلقين ص : ٧ .

(٣) ص : ٣ تقديم : محي الدين صبري الكردي - مطبعة السعادة الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ -

١٩٣٨ م - مصر .

(٤) النجاة ص : ٤ .

ويزعمون أن هذه الآلة - أو الصناعة أو القانون - موجودة في العقل بالغريزة ، ولهذا سبق استعمالها تدوينها ^(١) ، فلم يكن حظ أرسطو من ذلك غير صياغته ، وترتيب مسائله وفصوله ^(٢) ، ومن أجل هذا قالوا ^(٣) : نسبة المنطق إلى الفكر ، كنسبة النحو إلى الكلام ، والعروض إلى الشعر ، وما مقام أرسطو إلا كمقام سيبويه والخليل بن أحمد . قال صاحب السلم ^(٤) :

« وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان »

٢ - موضوع المنطق :

يدور موضوع المنطق حول أمرين أساسين :

الأول : معرفة التصورات ، وهي إدراك الماهية من غير حكم عليها بنفي أو إثبات ^(٥) وطريق الوصول إلى ذلك يكون بالحد (التعريف) وهو القول الدال على ماهية الشيء ^(٦) .

ويندرج تحت هذا الأمر مسائل الألفاظ ودلالاتها ، وما يتعلق بذلك من مسائل .

الثاني : معرفة التصديقات ، وهي نسبة الحكم إلى الماهية المتصورة ^(٧) ، وطريق الوصول إلى ذلك يكون بالقياس ، وهو قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ^(٨) .

(١) انظر : تجديد علم المنطق في شرح الخبصي على التهذيب لعبد المتعال الصمدي ص : ٣ - المطبعة النموذجية - الطبعة الخامسة - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .

(٢) انظر : المعجم الفلسفي لجميل صليبا ٤٢٨/٢ ، والمجلد للشهرستاني ١١٩/٢ .

(٣) انظر : النجاة لابن سينا ص : ٥ .

(٤) إيضاح المهم من معاني السلم في المنطق لأبي محمد الدمنهوري ص : ٤ (صاحب المتن هو : محمد الأخضر) دار إحياء الكتب العربية لعيسى الباني الحلبي (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٥) انظر : التعريفات للجرجاني ص : ٢٢ .

(٦) انظر : التعريفات ص : ٤٥ .

(٧) انظر : التعريفات ص : ٣٢ .

(٨) انظر : التعريفات ص : ٩٦ .

ويندرج تحت هذا الأمر ، ما يسمى بالقضايا وأنواعها ، والقياس : أشكاله ، وأقسامه ، وأحكامه ، وما يتعلق بذلك من مسائل .

والمنطق الأرسطي يبحث في صورة الفكر دون مادته ، وغايته معرفة تقابل الفكر مع نفسه ، وخلوه من التناقض ، وهي نفس غاية الجدل اليوناني خاصة عند سقراط ، وأفلاطون ، ولهذا سمي منطق أرسطو بالمنطق الصوري ، يعني أنه يهتم بصورة الفكر دون مادته ومعناه ^(١) .

* * *

(٢) انظر : التفكير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الجديد للعبد ص : ١٩ . والمنطق وأشكاله د / محمد عزيز نظمي سالم ص : ١١ - مؤسسة شباب الجامعة - الأسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص : ٥٢ .

المبحث الأول تاريخ نشأة المنطق الأرسطي

مر الفكر اليوناني بأزمة شديدة ، وذلك في العصور التي ساد فيها الجدل السوفسطائي ؛ ذلك الجدل الذي يروم صاحبه الغلبة بكل وسيلة ؛ فيتنكر لكل ثابت ، ويناقش في كل بديهي ؛ فالسوفسطائي يدعي علم كل شيء ، والحق عنده مسألة نسبية إضافية ، وهو ما يراه كل شخص في نفسه ؛ فالخطأ مستحيل ، لأن الإنسان هو مقياس الحق ، فما يراه حقا فهو كذلك وإن رأى الناس جميعا عكسه ؛ فالمتنازعان في قضية ما كل منهما محق ، ولهذا كثيرا ما كان السوفسطائي يعضد وجهة نظره بالحجج حتى تبدو وكأنها عين اليقين ، ثم يكر عليها فينقضها ويبرهن على صدق نقيضها ^(١) .

فجاء سقراط فأفسد على السوفسطائيين طريقته في الجدل ، وذلك بأن وضع أسسا جديدة لفن الحوار والجدل ، حيث بنى طريقته على مناقشة المقدمات والآراء السائدة ، والتي تستنبط منها النتائج ، ويبحث مع محاوريه - دون ملل - عن التعريف الحقيقي للأشياء ^(٢) ، أي عن التعريف الذي يعبر عن ماهية الشيء المعرف ، ولذا نجد أرسطو يعترف لسقراط أنه كان يبحث عن جوهر الأشياء ؛ لأنه كان يحاول استخدام القياس ^(٣) . وكان - أيضا - يساعد خصمه على الوصول إلى الحقيقة ، عن طريق ما يسمى بطريقة التوليد ^(٤) .

(١) انظر : المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ص : ١٢ ، ١٣ - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م ، وتاريخ الفلسفة للدكتور محمد عزيز نظمي سالم ص : ٥٣ وما بعدها - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص : ٤٥ ، ٤٦ ، المنطق والفكر الإنساني للدكتور عبد السلام محمد عبده ص : ٨ ، ٩ .

(٢) انظر : المنطق والفكر الإنساني لعبد السلام محمد عبده ص : ١٠ ، ١١ .

(٣) انظر : المنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ١٣ ، ١٤ ، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم

ص : ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) انظر : تاريخ الفلسفة لنظمي ص : ٦٢ ، ٦٣ ، وتاريخ الفلسفة اليونانية لكرم ص : ٥٢ ، ٥٣ .

ثم جاء أفلاطون (تلميذ سقراط) ليسير على نفس طريقة أستاذه ، بل يزداد أكثر تحديدا لمعاني الألفاظ والتعريفات ، بحيث لا يكون هناك مجال للمغالطة ، وأنشأ ما يسمى بالجدل الصاعد ، وهو الانتقال بالفكر من العالم المحسوس إلى صور كلية ذهنية أسماها : عالم المثل .

والصور العقلية الكاملة إنما تستمد - عنده - من عالم المثل حيث الثبات والاستقرار ، والحق المطلق ، أما عالم المحسوسات فهو عالم متغير فإن ، وهو عالم الأشباح لا عالم الحقائق ، بل هو صورة ومحاكاة للعالم الحقيقي عالم المثل . والاتصال بين هذين العالمين هو نظرية المعرفة عند أفلاطون : فالعلم - عنده - تذكر والجهل نسيان ^(١) . وهذا - عنده - من أعظم عوامل دحض دعاوى السوفسطائيين القائلين بتغير الحقائق ، ونسبية الحق والصواب ^(٢) .

ثم جاء أرسطو ^(٣) (تلميذ أفلاطون) ليتوج هذه الجهود الفكرية فيما أسماه بالتحليلات (المنطق) ^(٤) فقعده له ، وحدد مصطلحاته ورتب مسأله ، وفصوله ، فنسب إليه المنطق نسبة صياغة وإظهار ، لا ابتداء واختراع ^(٥) . قال ابن خلدون : « وتكلم فيه - أي المنطق - الأقدمون أول ما تكلموا جملا جملا ، ومفترقا ،

(١) انظر : تاريخ الفلسفة لنظمي ص : ٧١ - ٧٥ ، ٧٦ - ٧٨ .

وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص : ٦٩ - ٧٤ .

(٢) انظر : المنطق الحديث ومناهج البحث لمحمود قاسم ص : ١٥ .

(٣) ويقال أرسطاطاليس وأرسطوطاليس وهو الأقرب إلى الأصل اليوناني ، هو ابن نيقوماخس الطبيب المشهور . وأرسطو هو رأس الحكماء المشائين ، ويعرف بالمعلم الأول ، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، ولد بمقدونيا سنة : ٣٨٤ ق.م ، ولما بلغ السابعة عشرة رحل إلى أثينا ، وأخذ الحكمة عن أفلاطون . توفي سنة : ٣٢٢ ق.م ، انظر : « كتاب » دائرة المعارف لبطرس البستاني ٧٥/٣ وما بعدها - مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان ١٨٧٨ م - ١٢٩٥ هـ طهران (بدون رقم الطبعة) .

(٤) أول من أطلق اسم المنطق على هذا الفن ، هم شراح أرسطو ، وليس أرسطو نفسه . انظر : المعجم الفلسفي لمجمل صليبا ٤٢٨/٢ ، ومدخل إلى علم المنطق للدكتور مهدي فضل الله ص : ١٨ - دار الطليعة الطبعة الأولى ١٩٧٧ م - بيروت .

(٥) انظر : الملل للشهرستاني ١١٩/٢ ، ١٢٠ .

ولم تهذب طرقة ، ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان أرسطو فهذب مباحثه ،
ورتب مسائله وفصوله ، وجعله أول العلوم الحكيمية ، وفتحها ، ولذلك يسمى بالمعلم
الأول « (١) » .

★ ★ ★

(١) مقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٢ .

المبحث الثاني

دخول المنطق الأرسطي ديار المسلمين ، واختلاطه بالعلوم الشرعية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ابتداء دخول المنطق على المسلمين

المشهور أن بداية دخول المنطق الأرسطي إلى ديار المسلمين ، واشتغال البعض به ، كان في العصر العباسي ؛ حيث كان مختلطاً بالفلسفة ، متأثراً بأسلوب اللغة اليونانية ^(١) :

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ^(٢) : « رحم الله بني أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع في الإسلام بدعة ، وكان أكثر عما لهم وأصحاب ولايتهم العرب ، فلما زالت الخلافة عنهم ، ودارت إلى بني العباس قامت دولتهم بالفرس ، وكانت الرياسة فيهم ، وفي قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر ، والبغض للعرب ودولة الإسلام ، فأحدثوا في الإسلام الحوادث التي تؤذن بهلاك الإسلام ، ولولا أن الله (تبارك وتعالى) وعد نبيه (ﷺ) أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام ، ولكنهم ثلموه ، وعوروا أركانه ، والله منجز وعده إن شاء الله .. » ثم ذكر أن أول هذه الحوادث إخراج الكتب اليونانية إلى أرض الإسلام ، وذلك على يد يحيى بن خالد بن برمك وكان وزيراً هارون الرشيد ، فطلب يحيى كتب اليونان من ملك الروم ، وقد كانت محجوبة عن أنظار النصارى خشية افتتانهم بها فجدد الأخير في إرسالها إلى الوزير العربي ، طلباً في الخلاص من شرها ، ورغبة في إفساد أحوال المسلمين ، حتى قال أحد بطارقة الروم : « فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها ،

(١) انظر : تجديد المنطق لعبد المحال الصعدي ص : ٥ ، ومنطق ابن تيمية ، ومنهجه الفكري للدكتور محمد حسيني الزين ص : ٣٠ - للكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .

(٢) صون المنطق للسيوطي ص : ٦ - ٨ .

وأوقعت بين علمائها » ^(١) فجمع عليها البرمكي كل زنديق وفيلسوف .

ويشير بعض الباحثين إلى أن هذا الانتقال كان قبل ذلك ، أي في عهد الأمويين ، وعلى يد خالد بن يزيد بن معاوية ، والذي أمر بعض علماء يونان بترجمة بعض الكتب اليونانية ^(٢) .

ومما يقوي ذلك ما ذكره الشهرستاني من أن أصحاب واصل بن عطاء قد طالعوا بعض كتب الفلاسفة ^(٣) .

والتوفيق أن يقال : إن هذه الكتب ابتداء دخولها وتعريبها في العهد الأموي ، لكنها لم تكثر فيهم ولم تشتهر بينهم ؛ لما كان السلف يمتنعون من النظر فيها ، ثم شاعت في العهد العباسي في زمن البرمكي وقوي ذلك وعظم أيام المأمون لما أثاره من البدع ، وحث عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل وإخماد السنة ^(٤) .

ومع ذلك فلم تكن كتب الفلاسفة والمنطق محل تقدير عند أهل العلم من جميع الطوائف : أهل السنة والمعتزلة والأشاعرة والكرامية ^(٥) ، والشيعية ، بل كان كل من يشتغل بها معروفا عند المسلمين بالإلحاد والزندقة ، كالفارابي ^(٦) .

(١) صون المنطق ص : ٩ .

(٢) انظر : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ... للدكتور علي سامي النشار ص : ٢ - ٤ دار المعارف - مطبعة المصري - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م مصر وانظر : منطق ابن تيمية لمحمد حسني الزين ص : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ٤٦/١ .

(٤) انظر : صون المنطق ص : ١٢ .

(٥) هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام ، وهم من جملة الصفائية ، لكنهم يعتقدون التشبيه ، ويقولون بخلول الحوادث في ذات الرب (تعالى) وقالوا بالتحسين والتقييح العقليين كما قالت المعتزلة ، وأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب وعمل الجوارح . انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١٠٨/١ وما بعدها والفرق للبغدادي ص : ٢١٥ وما بعدها .

(٦) هو : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ تركي الأصل بحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية في وقته ، يلقب بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات المعلم الأول أرسطو . له : إحصاء العلوم ، وآراء المدينة الفاضلة وغيرهما ، كان يقول بالمعاد الروحاني ، وخاصة بالأرواح العالة دون الجاهلة ، وله في ذلك مذاهب يخالف فيها المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين . قال ابن كثير : « فعلية - إن كان مات على ذلك - لعنة رب العالمين » وقال - أيضا - : « ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه ، لنته وقبحته » =

والكندي^(١) وابن سينا^(٢) وغيرهم^(٣) .

المطلب الثاني

اختلاط المنطق بالعلوم الشرعية

شاع عند كثير من الباحثين أن المسلمين قد تأثروا في تصانيفهم بعلم المنطق الأرسطي ، لاسيما في مجال أصول الفقه ، وذلك لما يرونه من وجه الشبه بين علم الأصول والمنطق ، في أن غاية كل منهما معرفة الطرق الموصلة للصواب^(٤) .

= ولد سنة : ٢٦٠ هـ . وتوفي سنة : ٣٣٩ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٢٤٢/٧ - ٢٤٣ - البداية والنهاية ٢٢٤/١١ حوادث سنة : ٣٣٩ .

(١) هو : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الصباح . فيلسوف وأحد أبناء ملوك كندة ، اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والفندسة ، ضرب زمن المتوكل وأخذت كتبه لانتهاه في الدين ، ثم ردت إليه ، وأصاب عند المأمون منزلة عظيمة . من كتبه : رسالة في التنجيم ، وإلهيات أرسطو . توفي سنة ٢٦٠ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٢٥٥/٩ ، ٢٥٦ ، ولسان الميزان ٣٠٥/٦ ترجمة رقم : ١٠٩١ .

(٢) هو : أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس . له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات . وأشهر كتبه : القانون . قال ابن تيمية فيه : « ... وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية ، وكان أهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد . أحسن ما يظهرونه دين الرض وهم في الباطن يظنون الكفر المحض » ولد سنة : ٣٧٠ هـ . وتوفي سنة : ٤٢٨ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٢٦١/٢ ، ٢٦٢ ، والرد على المنطقين ص : ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) انظر : الرد على المنطقين ص : ٣٣٧ ، وتجديد علم المنطق للصعدي ص : ٥ ، وموقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل - مقالة للمستشرق : جنس جولد تسير (ضمن كتاب : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ص : ١٢٤ ، ١٢٥ ، مجموعة دراسات لكبار المستشرقين ، جمعها الدكتور : عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية - مطبعة الاعتماد ١٩٤٠ م مصر (بدون رقم الطبعة) . وانظر : مقدمة ابن خلدون ص : ٤٨٣ .

(٤) انظر : مناهج البحث عند مفكري الإسلام للنشار ص : ط (التصدير) ، ص : ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠ ، وتجديد أصول الفقه الإسلامي للدكتور : حسن عبد الله الترابي ص : ١٢ ، ٢٢ - دار الجيل - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .

والحق أن أصول الفقه بدأ الكلام فيها منذ عصر الصحابة (رضوان الله عليهم) فقد حفظ عنهم التكلم في القياس والعلل والخاص والعام ، وغير ذلك ، علما بأن ذلك كان منهم في نطاق ضيق ؛ لقرب عهدهم بالرسالة ، وتوافر النصوص ، مع قلة الحوادث المتجددة ^(١) .

ومر عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ولم يعرف عنهم التكلم في المنطق ، أو خلطه بالعلوم الشرعية ، ولا ينكر أن تكون كتب اليونان موجودة بين بعض المسلمين ، وإنما الذي ينكر أن يكون شيء منها قد اختلط بعلوم الشريعة في تلك الحقبة ^(٢) .

وهكذا ، حتى كانت النوبة للشافعي (رحمه الله) في تدوين أصول الفقه وترتيب مسائله ، وزيادة بيانها ، وذكر أدلتها من الكتاب والسنة ، وذلك في مصنفه : « الرسالة » ، قال الفخر الرازي (رحمه الله) : « الناس كانوا قبل الإمام الشافعي (رضي الله عنه) يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعي (رحمه الله تعالى) : علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع » ^(٣) .

والشافعي (رحمه الله) لم يكن متأثرا في تصنيفه « الرسالة » بالمنطق اليوناني ، بل كان يعيبه ، ويعيب لسانه ؛ حيث يقول : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس » ^(٤) قال السيوطي معقبا على هذا الكلام : « .. ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوره والتخاطب والاحتجاج والاستدلال ، لا على مصطلح يونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح ... » ^(٥) .

(١) انظر : مناهج البحث للنشار ص : ٦٦ ، وأعلام الموقعين ١/ ٢١٧ .

(٢) انظر : فتوى ابن الصلاح في تحريم المنطق : فتاوى ابن الصلاح ص : ٣٥ - المكتبة الإسلامية

تركيا - (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٣) مناقب الإمام الشافعي للرازي ص : ٥٧ .

(٤) انظر : صون المنطق ص : ١٥ .

(٥) صون المنطق ص : ١٥ .

ثم إن الشافعي كان ينكر على أهل الكلام - وهم دون المناطقة - ويرى وجوب نهيهم وتعزيرهم ؛ ونصوصه في ذلك مشهورة ^(١) ، فكيف يتأثر بأهل المنطق ، وقد عرف ما عرف من فساد عقائدهم وعقولهم ، وألستهم .

أما ما يذكر عن الشافعي أنه قال : « أعرف ما قالت الروم مثل أرسطاطاليس ، ومهراريس ، وفرفوريوس ، وجالينوس ، وبقرط ، وأسد فليس بلغاتهم » ^(٢) فهذا كذب مخنلق ؛ في إسناده وضاع كذاب هو محمد بن عبد الله البلوي ^(٣) ، وعلى فرض صحة ذلك فليس فيه ما يدل على تأثر الشافعي بالمنطق وعلوم اليونان في التصنيف .

ثم تغيرت طريقة التأليف في أصول الفقه بعد أن تولى ذلك عدد من المتكلمين : (أشاعرة أو معتزلة) ، فاستخدموا الطرق الكلامية ، وأدخلت فيه أبحاث كلامية كثيرة ، ومع ذلك فلم تكن أصول الفقه على غرار المنطق الأرسطي ^(٤) .

أما المزج الحقيقي بين المنطق وعلوم المسلمين ، ولاسيما أصول الفقه ، فقد تم على يد أبي حامد الغزالي ، لما رآه من وجوب تعلم المنطق ، بل جعله شرطاً في تحصيل العلوم ، وأنه معيار العلوم وميزانها ، وصنف في ذلك كتبه : « معيار العلم » و« محك النظر » و« القسطاس المستقيم » و« مقاصد الفلاسفة » وذكر في بداية كتابه المستصفي ^(٥) ، أنه من لا يحيط به - المنطق - فلا ثقة بعلومه أصلاً .

ولقد استفز هذا الكلام من الغزالي كثيراً من المتأخرين ، من المصنفين في أصول الفقه وغيره ، فراح يطلب تحصيل المنطق حتى يستكمل شرائط النظر والاجتهاد ، ويكون أهلاً للتأليف والفتوى ^(٦) . يقول ابن تيمية (رحمه الله) : « ولكن بسبب ما وقع منه - أي الغزالي - في أثناء عمره وغير ذلك ، صار كثير

(١) انظر : شرح الطحاوية ص : ١١ ، وصون المنطق ص : ١٨ ، ١٩ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ٢/٢٢٠ .

(٤) انظر : منهج البحث العلمي للنشار ص : ٧٤ ، ٧٥ .

(٥) ١٠/١ ، وانظر : الرد على المنطقيين ص : ١٤ ، ١٥ .

(٦) انظر : صون المنطق ص : ١ .

من النظار يدخلون المنطق اليوناني في علومهم ؛ حتى صار من يسلك طريق هؤلاء من المتأخرين يظن أنه لا طريق إلا هذا ... ولا يعلم أنه مازال العقلاء والفضلاء من المسلمين وغيرهم يعيرون ذلك ويطعنون فيه ، وقد صنف نظار المسلمين في ذلك مصنفات متعددة ^(١) .

ومع ذلك فقد كان آخر حال الغزالي ذم المنطق وأهله ، وبيان أن طريقهم لا توصل إلى يقين ، لاسيما فيما يتعلق بالإلهيات ، وذمها أكثر مما ذم به طريقة المتكلمين ، وبين أن طريقهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها ، ومات وهو مشغل بالبخاري ومسلم ^(٢) .

ومما ساعد - أيضا - على شيوع المنطق وعلوم الفلاسفة في المتأخرين أن نصير الدين الطوسي ^(٣) أنشأ - أيام التتار - دار حكمة وجعل لكل مشغل فيها بالفلسفة ثلاثة دراهم لكل يوم ، ودار طب وجعل لكل مشغل فيها بالطب درهمين ، ودار حديث وجعل لكل محدث نصف درهم في اليوم ، فكان فشو الفلسفة والمنطق وعلوم اليونان ، بعد أن كان المشتغلون بذلك آحاد الناس ، وفي خفية من أهل العلم ^(٤) .

(١) الرد على المنطقيين ص : ١٩٨ .

(٢) انظر : المنقذ من الضلال للغزالي ص : ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ مطبعة ابن زيدون - الطبعة الثانية ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م - دمشق . والرد على المنطقيين ص : ١٩٥ ، ١٩٨ .

(٣) هو : أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن المعروف بنصير الدين الطوسي . فيلسوف ، رأس في العلوم العقلية عالم بالإحصاء والرياضيات ، علت منزلته عند هولاء . من كتبه : تحرير أصول أفلاطون ، تجريد العقائد ، وتلخيص المحصل للرازي . توفي ببغداد سنة : ٦٧٢ هـ .

قال - فيه - ابن القيم : « ... نصير الشرك والكفر ، الملحد ، وزير الملاحدة ، النصير الطوسي ، وزير هولاء ، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه ، فعرضهم على السيف ... فقتل القضاة والفقهاء والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة والمنجمين ، والطباطعيين ، والسحرة . وتقل أوقاف المسجد والربط إليهم ، وجعلهم خاصته وأوليائه ، ونصر في كتبه قدم العالم ، ويطلان المعاد ، وإنكار صفات الرب (جل جلاله) ... واتخذ للملاحدة مدارس ، ورام جعل إشارات إمام الملحد ابن سينا مكان القرآن ، فلم يقدر على ذلك ؛ فقال : هي قرآن الخواص ، وذلك قرآن العوام ... وتعلم السحر في آخر أمره . فكان ساحرا يعبد الأصنام » . انظر : إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ٢٦٧/٢ تحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) وانظر : الأعلام للزركلي ٢٥٧/٧ ، ٢٥٨ ، والبدية والنهاية ٢٦٧/١٣ ، ٢٦٨ حوادث سنة : ٦٧٢ هـ .

(٤) انظر : البدية والنهاية لابن كثير ٢٦٨/١٣ ، وصون المنطق ص : ١٣ .

المبحث الثالث

أسباب رفض المسلمين المنطق الأرسطي

قد يظن البعض أن المسلمين رفضوا المنطق الأرسطي لمجرد اشتغال الأمم الكافرة به ، وهذا ظن خاطيء لأنه يستلزم أن يرفض المسلمون كل ما أتى من غيرهم من علوم صحيحة كالطب والحساب والهندسة ونحوها . وإنما رفض المسلمون المنطق الأرسطي لأسباب شرعية وعقلية ، أذكر جملة منها :

أولا : الأسباب الشرعية لرفض المنطق الأرسطي :

- ١ - أنه لم يؤثر عن المصدر الأول من الصحابة والتابعين التكلم بالمنطق ؛ إما لكونه لم يكن موجودا في زمانهم ، أو كان موجودا ثم أعرضوا عنه ^(١) وشرعية الإسلام ليست موقوفة على شيء يتعلم من غير المسلمين أصلا ^(٢) ، وإن كان طريقا صحيحا ، فكيف إذا كان فاسدا أو متضمنا للفساد ، بل الكفر والإلحاد .
- ٢ - أن المنطق نشأ في بيئة فلسفية ، كان أصحابها أهل شرك وإلحاد ، بل ما عند مشركي العرب من الكفر والشرك خير مما عند الفلاسفة ^(٣) . قال ابن تيمية في الفلاسفة : « وضلّاهم في الإلهيات ظاهر لأكثر الناس ؛ ولهذا كفرهم فيها نظار المسلمين قاطبة » ^(٤) . ولهذا كان أبو القاسم السهيلي وغيره يقول : « نعوذ بالله من قياس فلسفي وخیال صوفي » ^(٥) .
- فلم يأخذ المسلمون بالمنطق الأرسطي لملايسته العلوم الفلسفية المبانية للعقائد الصحيحة ^(٦) .

(١) انظر : صون المنطق ص : ١٤ ، وفتاوى ابن الصلاح ص : ٣٥ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٢٥٨ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٥٣٥ ، ١٠١ وما بعدها .

(٤) الرد على المنطقيين ص : ٢٠٠ .

(٥) الرد على المنطقيين ص : ٤٨٢ .

(٦) انظر : مقدمة ابن خلدون ص : ٤٨٣ ، ومناهج البحث للنشار ص : ط (التصدير) ،

٣ - خشية اغترار بعض المسلمين بالمنطق لما يرى من صدق بعض قضاياها ، فيظن أنها كلها صادقة ، وأن ما يتعلق منها بالعقائد مبرهن بمثل تلك البراهين ، يقول الغزالي - في معرض نقده للمنطق في أواخر كتبه - (١) : « وربما ينظر في المنطق - أيضا - من يستحسنه ويراه واضحا فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية » ويشير ابن تيمية إلى هذا المعنى في أول كتابه : الرد على المنطقيين (٢) ، فيقول : « كنت أحسب أن قضاياها - أي المنطق - صادقة لما رأيت من صدق كثير منها ثم تبين لي فيما بعد خطأ طائفة من قضاياها ... وتبين لي أن كثيرا مما ذكره في أصولهم في الإلهيات وفي المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلهيات » .

٤ - قصور البرهان الفلسفي عن الوصول بالإنسان إلى اليقين ، وذلك عند تطبيقه في الإلهيات ؛ يقول الغزالي : « لهم نوع من الظلم في هذا العلم ، وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطا يعلم أنها تورث اليقين لا محالة ، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط ، بل تساهلوا غاية التساهل » (٣) .

٥ - ما يسببه المنطق الأرسطي من التفرق والاختلاف والتنابد ، وما زال أهله والمشتغلون به على هذه الحال ، بل لا تكاد تجد اثنين منهم يتفقان على مسألة ، حتى التي يسمونها بدهيات أو يقينيات (٤) . وقد مر قول من قال : « فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها » (٥) .

(١) المنقذ من الضلال ص : ٩٣ .

(٢) الرد على المنطقيين ص : ٣ ، ٤ .

(٣) المنقذ من الضلال ص : ٩٣ .

(٤) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٣٤ وما بعدها ، وقال في نقض للنطق ص : ١٦٩ .

« المشتغلون بالمنطق هم أكثر الناس نزاعا وشكا واضطرابا ، وأقلهم علما وتحقيقا ، فلو كان المنطق أداة تكشف الحقيقة وتمصم الذهن لما حدث هذا » .

(٥) صون المنطق ص : ٩ .

٦ - ما يلزم منه من لوازم فاسدة ، تناقض العلم والإيمان وتفضي إلى أنواع من الجهل والكفر والضلال ^(١) ، وأنا أذكر طرفا من ذلك :

أ - القول بقدم العالم ، وذلك لأن الإله لا يسبق العالم في الوجود الزمني ، وإن كان يسبقه في الوجود الفكري ، مثلما تسبق المقدمة النتيجة في الوجود الفكري ^(٢) . وهذا مما أنكره الغزالي على الفلاسفة وكفرهم به في كتابه : تهافت الفلاسفة ^(٣) .

ومن فساد هذا المذهب ما يلزمه من تضمن المخلوقات في الخالق منذ البداية ، كتضمن النتيجة في المقدمة منذ البداية ، فيكون الخالق مخلوقا ، والمخلوق خالقا ، والصانع مصنوعا ، والمصنوع صانعا ، والعلة معلولا ، والمعلول علة ... إلى غير ذلك من التناقضات ^(٤) .

ب - إنكار الصفات الثبوتية لله (تعالى) ، بل يصفونه بالسلوب المحض ، أو بما لا يتضمن إلا السلب ، وهذا قالوا : الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ؛ لأنه لو صدر عنه اثنان لكان ذلك مخالفا للوحدة ، وبهذا نفوا أن يكون الله فاعلا مختارا ، فنفوا الصفات عن الله (تعالى) هروبا من تشبيهه بالنفوس الفلكية أو الإنسانية ، ثم شبهوه بالجمادات ^(٥) .

ج - إنكار علم الله (تعالى) بالجزئيات ، وهذا هو المشهور عنهم وهو مما أنكره الغزالي - أيضا - في كتابه : « التهافت » وغيره ^(٦) ، فالله (تعالى) عندهم

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٩٨ .

(٢) انظر : الغزو الفكري في المناهج الدراسية ... للأستاذ علي لبن ص : ٣٢ - دار الوفاء الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - مصر .

(٣) انظر : ص : ٨٨ وما بعدها تحقيق : د/ سليمان دنيا دار المعارف الطبعة الرابعة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - مصر .

(٤) انظر : الغزو الفكري لعلي لبن ص : ٣٢ .

(٥) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٢١٤ وما بعدها .

(٦) ص : ٥٠٦ ، وانظر فيصل التفرقة للغزالي ص : ١٩٢ .

يعلم الأمور الكلية دون أفرادها وجزئياتها ، وذلك لأن هذه الجزئيات في تغير وتجدد ، فلو تعلق علم الله (تعالى) بها للزمه التغير والتجدد بتغير المعلوم وتجدده ، فيلزم من ذلك التغير في ذات الله (تعالى) ، وهو الواحد الأحد ^(١) . وهذا تكذيب صريح للقرآن الكريم وصحيح العقل ، وفيه فتح لباب الفساد في العالم ، والخروج على الشريعة جملة وتفصيلا ، وأعظم منه إساءة الظن برب العالمين .

د - إنكار النبوات : لما رأى الفلاسفة اشتراك النفوس في كثير من الأحوال عادة ، جعلوا ذلك أمرا عاما وكليا وملزما لكل النفوس ، ورأوا لبعض النفوس قوة حدسية ، وتأثيرا في بعض الأمور ، وأمورا متخيلة ، فلما بلغهم من أمر الأنبياء كالمعجزات ونزول الوحي ورؤية الملائكة وغير ذلك ، جعلوا ما يحدث للأنبياء على نحو ما يكون لتلك النفوس ، فليست النبوة - عندهم - هبة الله ، ومنته على بعض عباد ، بل هي أمر مكتسب تستعد له النفوس بأنواع الرياضات ^(٢) .

هـ - إنكار الأخبار المتواترة : وذلك أن الأمور المعلومه بالتواتر والتجربة والحدس - عند المناطقة - احتمالية الصدق ، ويختص بها من علمها فلا تكون حجة على غيره ، كما أن صدقها قاصر على الجزئية التي جربت أو سمعت أو شوهدت ، فهي جزئية من جهة نفسها ، ومن جهة العلم بها ؛ وعليه ، فما يتواتر عن الأنبياء من أمر المعجزات وغيرها من أحوالهم وشرائعهم لا تقوم به حجة ، وهذا من أصول الإلحاد والزندقة ، وبناء على هذا يقول من يقول من أهل الإلحاد : هذا لم يتواتر عندي فلا تقوم به الحجة علي . فيقال له : اسمع كما سمع غيرك ، وحيثئذ يحصل لك العلم . وإنما هذا كقول من يقول : رؤية الهلال أو غيره لا تحصل إلا بالحس ، وأنا لم أره ، فيقال له : انظر إليه كما نظر غيرك فستره ، إذا كنت لم تصدق المخبرين .

(١) انظر : الغزو الفكري لعلي بن ص : ٦٢ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٢٧٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

ثم إنه ليس من شرط قيام حجة الله (تعالى) علم المدعويين بها ، ولهذا لم يكن إعراض الكفار عن استماع القرآن وتدبره مانعا من قيام الحجة عليهم ، وأيضا ، فإن عدم العلم ليس علما بالعدم ، فهم إذا لم يعلموا ذلك لم يكن هذا علما منهم بعدم ذلك ، ولا بعدم علم غيرهم به ، بل هم كما قال (تعالى) : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ... ﴾ [يونس : ٣٩] (١) .

ثانيا : الأسباب العقلية لرفض المنطق الأرسطي :

١ - المنطق الأرسطي تجريدي ، لا صلة له بالواقع ، فهو يبحث في عالم الكليات ، وهذا العالم ليس له وجود في الخارج ، بل وجوده في الذهن ، فالمنطق يتجاهل البحث في الجزئيات والأعيان المشخصة (٢) .

٢ - أننا نرى كثيرا من العلوم - كالفنسة والطب والفلك - تتقدم تقدما كبيرا دون أن يكون كبار الباحثين فيها ممن تخرجوا على منطق أرسطو (٣) ؛ يقول ابن تيمية : « إننا لا نجد أحدا من أهل الأرض حقق علما من العلوم وصار إماما فيه بفضل المنطق ، لا من العلوم الدينية ولا غيرها ، فالأطباء والمهندسون وغيرهم يحققون ما يحققون من علومهم بغير صناعة المنطق ، وقد صنف في الإسلام علوم النحو والعروض والفقه وأصوله وغير ذلك ، وليس في أئمة هذه الفنون من كان يلتفت إلى المنطق ، بل عامتهم كانوا قبل أن يعرف المنطق اليوناني » (٤) .

٣ - أن محاولة فرض المنطق على كل العلوم - العقلية والتطبيقية ، بل والشرعية - وجعله مقدمة لها ، وشرطا في تعلمها ، ضرب من الخيال ، بل المنطق نمط

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٩٢ وما بعدها ، والفزو الفكري ص : ٩٩ .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون ص : ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، والمنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ٨ .

(٣) المنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ٥ ، ٦ .

(٤) نقض المنطق ص : ١٦٨ .

فكري انتهى عهده ، وقد كان يناسب الفكر اليوناني في حقبة من التاريخ ، حيث الفكرة المجردة ، والجدل المثالي ؛ يقول الدكتور عبد اللطيف محمد العبد : « ظن أنصار المنطق أنه العلم الذي لا علم قبله ، ولا علم بعده ، لأنه معيار الحقائق كلها ، وميزان العلوم ، ولم يكن هؤلاء يتخيلون مجرد تخيل أن هذا المنطق القياسي لن يكون علم العلوم ، بل إنه سيصبح مرحلة تاريخية مضى أوانها » ^(١) .

٤ - أن هذا المنطق كان له أكبر الأثر في تخلف اليونان عن ركب المدنية ، حيث انزوى بالفكر والجهود العلمية نحو عالم الميتافيزيقا - عالم ما وراء الطبيعة - معرضا عن الحياة المدنية ، والعلوم التطبيقية الواقعية :

يقول الأستاذ علي لبن : « يكاد يتفق مؤرخو الفلسفة على أن العلم لم ينهض في مطلع العصر الأوربي الحديث إلا بعد الثورة المزدوجة على السلطة العلمية ممثلة في المنطق الأرسطي ، والسلطة الدينية ممثلة في رجال الكنيسة » ^(٢) .

ولهذا كان ظهور المنطق الحديث على يد فرانسيس بيكون وغيره والذي استفادوه من علماء الإسلام وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية ، كان ظهوره ضربة قاضية للمنطق الأرسطي في أوربا ، وعاملا كبيرا في التقدم العلمي والحضاري فيها ^(٣) .

٥ - طرق هؤلاء المناطق فيها فساد كثير من جهة المقاصد والوسائل : أما المقاصد : فإن الحاصل منها بعد التعب والمشقة خير قليل ، فهو « كلحم جمل غث على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل » ^(٤) أو كما قال ابن القيم (رحمه الله) ^(٥) :

(١) التفكير المنطقي ص : ٣ (بتصرف) انظر : المنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ١١ .

(٢) الغزو الفكري ص : ٤٢ ، وانظر : منهج البحث لعل النشار ص : ٩٠ .

(٣) انظر : مناهج البحث لعل النشار ص : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والإسلام والعلم التجريبي للسويدي

ص : ٢١ ، ومحاضرات في تاريخ العلوم لقواد سركين (المحاضرة الأولى) ص : ١٩ وما بعدها .

(٤) قطعة من حيث أم زرع ، في صحيح مسلم ٨٩٦/٤ كتاب فضائل الصحابة - باب ذكر حديث

أم زرع - حديث رقم : ٢٤٤٨ .

(٥) مفتاح دار السعادة ١٥٨/١ .

« بدا لعين الظمىء الحيران فأمه بالظن والحسبان
 يرجو شفاء غلة الظمآن فلم يجد ثم سوى الحرمان
 فعاد بالخيبة والخسران يقرع سن نادم حيران
 قد ضاع منه العمر في الأماني وعاین الخفة في الميزان »

وأما الوسائل : فطريقه كثيرة المقدمات ، طويلة المسالك ، يتكلفون فيها العبارات البعيدة والطرق الوعرة ، وليس فيه من فائدة سوى تضييع الأزمان وإتاعاب الأذهان ، وكثرة الهديان ، ودعوى التحقيق بالكذب والبهتان .. (١) .

★ ★ ★

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٢٢ ، والرد على النطقين ص : ٣١ .

المبحث الرابع نقض المنطق الأرسطي

هناك اتجاهان في نقض المنطق الأرسطي :

الأول : ما نقل عن جماهير المسلمين ، ومن جميع الطوائف رفضهم المنطق ، وتحريم النظر فيه والاشتغال به ، ولم ينقل عن آحاد هؤلاء نقد مفصل للمنطق الأرسطي - أو نقل لكنه لم يصل إلى أيدي الباحثين - ويمكن أن يمثل هذا الاتجاه بيان مخالفة المنطق لصحيح المنقول .

الثاني : نقد مفصل للمنطق الأرسطي ، وفي أهم قضاياها ومسائله ، وهو ما صنفه شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في كتابه : « الرد على المنطقيين » وفي كتابه « نقض المنطق » . ويمكن أن يمثل هذا الاتجاه بيان مخالفة المنطق الأرسطي لصريح المعقول ، هذا في الغالب وإلا جرى في كلامه بيان فساد قوهم في الدين والعقل .

أما الاتجاه الأول : فبيان من وجوه :

الوجه الأول : لم ينقل عن الصحابة والتابعين التكلم في المنطق ، وعلل السيوطي ذلك بأنه لم يكن موجودا في زمنهم ، وإنما حدث في أواخر القرن الثاني ^(١) . لكن الصحابة والتابعين ذموا التكلف في الدين ، والخروج عن الكتاب والسنة في معرفة الهدى ، فلو وقفوا على المنطق لكان حكمه عندهم حكم التكلف ، والخروج عن الكتاب والسنة . ولهذا رأى السيوطي تحريم المنطق قياسا على الكلام ، فقال : « والذي يخرج على أصول بقية أرباب المذاهب المتبوعة بتحريم المنطق ؛ فإنهم نصوا على تحريم علم الكلام ، وعللوه بما هو موجود في المنطق ، ولهذا صرح المتأخرون من أصحابهم بتحريمه تخريجا على أصولهم » ^(٢) .

(١) انظر : صون المنطق ص : ١٤ .

(٢) انظر : صون المنطق ص : ٣٢ .

الوجه الثاني : ما روي عن بعض أئمة الفقه من النهي عنه ، وجعله من المحدثات ، ومن أسباب الخلاف والتفرق ، ومن ذلك :

قول أبي حنيفة (رحمه الله) وقد سئل عما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ، فقال : « مقالات الفلاسفة ، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة ؛ فإنها بدعه » ^(١) .

ومنه - أيضا - قول الشافعي (رحمه الله) : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركههم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس » ^(٢) .

الوجه الثالث : ما ذكر من إنكار أئمة العربية للمنطق الأرسطي ومنهم ابن قتيبة في مقدمة كتابه : أدب الكاتب ^(٣) ، وابن الأثير في كتاب : المثل السائر ^(٤) ، وذكر أن ابن سينا وغيره من اليونان لو أنهم راعوا قواعد المنطق لما أتوا بما صاغوه من الشعر والسجع ، ولما أتوا بشيء ينتفع به ، ولطال الخطب عليهم .

وقد قال البحرني - في التهكم بعلم المنطق وأصحابه ^(٥) :

كلفتُمونا حدودَ منطقكم والشعر يُلقَى عن صدقه كذبه
ولم يكنِ « ذو القروح » ^(٦) يلهج بالمنطق ما نوعه ، وما سببه
والشعر لَمَحَّ تكفي إشارته وليس بالهذر طَوَّلَ خطبه

(١) صون المنطق ص : ٣٢ .

(٢) صون المنطق ص : ١٥ .

(٣) ص : ٣ ، ٥ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة الطبعة الرابعة ١٣٨٢ هـ -

١٩٦٣ م - مصر .

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ٧/٢ - ١٠ . تحقيق : د/أحمد الحوفي ، د/بدوي طبانة - دار الرفاعي - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الرياض .

(٥) ديوان البحرني ٢٠٩/١ في قصيدة يهجو فيها : عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر . تحقيق :

حسن كامل الصيرفي - دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة (بدون تاريخ) .

(٦) ذو القروح هو امرؤ القيس . انظر : ديوان البحرني ٢٠٩/١ هامش رقم : ١٥ .

ومن علماء العربية - أيضا - أبو سعيد السيرافي النحوي ^(١) وذلك في مناظرته أبا بشر متى بن يونس الفيلسوف النصراني وهو من شراح كتب أرسطو ، وقد عقدت المناظرة في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، وفيه جماعة من العلماء ، ومن أهل الفلسفة ، فأنكر أبو سعيد على متى بن يونس جعله المنطق معيار العلوم وميزان الحقائق ، وبين ذلك بالأدلة الواضحات والبراهين الساطعات حتى انفض المجلس وأهله يتعجبون من أبي سعيد ولسانه المتصرف ، ووجهه المتهلل ، وفوائده المتتابعة ، وعظم في النفوس والصدور ، وأحبته القلوب وجرت بمدحه الألسنة ^(٢) ، وقال له الوزير ابن الفرات : « عين الله عليك أيها الشيخ ، فلقد نديت أكبادا ، وأقررت عيونا ، وبيضت وجوها ، وحكت طرازا لا تبليه الأزمان ، ولا يتطرقه الحدثنان » ^(٣) .

الوجه الرابع : من الأمور المشهورة إنكار أهل السنة والحديث بدع أهل الكلام ، وصنفت في ذلك كتب كثيرة ، ومع ذلك فقد حفظ لنا التاريخ إنكار أهل الكلام - خاصة المتقدمين منهم - المنطق وذمه ، وذم أهله والمشتغلين به ، بل صنفوا في ذلك كتباً كثيرة ، كالدقائق لأبي بكر بن الطيب الباقلاني ، والآراء والديانات لابن النون (الشيعي) ، وتشير نصوص كثيرة إلى أن أبا علي الجبائي وأبا هاشم والقاضي عبد الجبار كتبوا في نقد المنطق الأرسطي ^(٤) ، وكذلك ما ورد من نقد أبي العباس الناشئ المعتزلي المنطق على ما ذكره أبو سعيد السيرافي في مناظرته متى ابن يونس ^(٥) .

(١) هو : الحسن بن عبد الله المرزبان القاضي - أبو سعيد . درس ببغداد علوم النحو وعلوم القرآن واللغة والفقه والفرائض ولي القضاء ببغداد ، كان حنفي المذهب ، ونسب إلى الاعتزال لكنه لم يظهر من ذلك شيئا قاله محمد بن أبي الفوارس .

ولد سنة : ٢٨٤ هـ وتوفي سنة : ٣٦٨ هـ . انظر : كتاب بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه لجلال الدين السيوطي ص : ٢٢١ ، ٢٢٢ - دار المعرفة بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) والأعلام للزركلي ٢/ ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) ذكر هذه المناظرة السيوطي في صون المنطق ص : ١٩٠ - ١٩٩ .

(٣) صون المنطق ص : ١٩٩ .

(٤) انظر : مناهج البحث لعلي النشار ص : ٨٠ ، ٨١ ، والرد على المنطقيين ص : ٣٣٧ .

(٥) انظر : صون المنطق ص : ١٩٨ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولم يكن قدماء المتكلمين يرضون أن يخوضوا في « الحدود » على طريقة المنطقيين ، كما دخل في ذلك متأخروهم الذين يظنون ذلك من التحقيق ، وإنما هو زيغ عن سواء الطريق » ^(١) .

وهذا ما أكدته - أيضا - الدكتور علي سامي النشار بقوله : « وقد أظهر النقد التحليلي لنصوص كثير من المتكلمين أن الباقلاني وإمام الحرمين ، وكثيرين من المعتزلة خرجوا في أبحاثهم عن منطق أرسطو » ^(٢) وإنما أدخلت مسائل المنطق في أبحاث الكلام على يد المتأخرين كأبي المعالي الجويني ، وأبي حامد الغزالي ، وفخر الدين الرازي ، وغيرهم ^(٣) .

أما الاتجاه الثاني : وهو النقد المفصل للمنطق الأرسطي ، - لأصوله وقواعده ، وقضاياه ومسائله ، ومنهج علمي دقيق - فقد تم ذلك على يد شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) يقول الدكتور عبد اللطيف محمد العبد : « وكان نقد ابن تيمية هذا أول نقد تعرفه الحياة العقلية الإنسانية في نقد المنطق الأرسطي ، نقدا منهجيا يقوم على العقل وحده ... » ^(٤) .

ومما ينبغي ملاحظته أن عمل ابن تيمية لم يكن نقدا محضا - أي هداما - فحسب ، بل كان فيه تقرير البديل الإسلامي للمنطق الأرسطي ، وهو الجانب الذي استفاده الأوروبيون من المنهج الإسلامي في المعرفة ، واصطلحوا على تسميته بالمنهج التجريبي .

منهج ابن تيمية في نقض المنطق ^(٥) : ولما كان الكلام في المنطق - عند المناطق - مبنيا على الكلام في التصورات والتصديقات ، وأن طريق العلم بالتصورات :

(١) الرد على المنطقيين ص : ٣١ .

(٢) مناهج البحث ص : ٨١ .

(٣) انظر : معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين عبد الوهاب السيكي ص : ٧٨ تحقيق : محمد علي النجار وآخرين - مكتبة الخانجي - مطبعة دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م القاهرة ، ومقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ومناهج البحث لعلي النشار ص : ٧٦ .

(٤) التفكير المنطقي ص : ٤٣ .

(٥) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٤ ، ٧ ، ومنهج البحث لعلي النشار ص : ١٨٩ .

الحدود ، وطريق العلم بالتصديقات : الأقيسة ، جعل ابن تيمية الرد عليهم في أربع مقامات ، مقامين سالبين ، ومقامين موجبين :

أما الأولان : فأحدهما في قولهم : إن التصور المطلوب لا ينال إلا بالحد .

والثاني : في قولهم : إن التصديق المطلوب لا ينال إلا بالقياس .

وأما الآخرين : فأحدهما : في قولهم : إن الحد يفيد العلم بالتصورات .

والثاني : في قولهم : إن القياس يفيد العلم بالتصديقات .

فالمقامات السالبان ينفيان الطرق التي يسلكها غير المناطقة في التوصل إلى التصور والتصديق ، والمقامات الموجبان يقصران طرق معرفة التصور والتصديق على طريقي المناطقة : الحد والقياس .

لكن ابن تيمية (رحمه الله) جعل النقد في الكتاب مرتباً على النحو التالي :

١ - المقام الأول : وهو المقام السالب من مقامي الحد : « التصورات لا تنال إلا بالحد » .

٢ - المقام الثاني : وهو المقام الموجب من مقامي الحد : « الحد يفيد العلم بالتصورات » .

٣ - المقام الثالث : وهو المقام السالب من مقامي القياس : « التصديقات لا تنال إلا بالقياس » .

٤ - المقام الرابع : وهو المقام الموجب من مقامي القياس : « القياس يفيد العلم بالتصديقات » .

وسأذكر نماذج من نقد ابن تيمية لهذه المقامات ، مع بيان الجانب الإنشائي (البديل الإسلامي) الذي أقامه شيخ الإسلام ابن تيمية .

نماذج من نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي :

أولاً : نقد المقام الأول ، وهو المقام السالب للحد المنطقي :

« إن التصورات لا تنال إلا بالحد »

وهذا المقام تعرض ابن تيمية لنقده في أحد عشر وجها ، أذكر طرفا منها :

١ - لا ريب أن على النافي الدليل - إذا لم يكن نفيه بديهيا - كما أن على المثبت الدليل ، وقول القائل : « التصورات لا تنال إلا بالحد » قضية سالبة وليست بديهية ، فأين دليلها ؟! فهي قول بلا علم ، فيكون في أول ما أسسوه ، وما يزعمون أنه ميزان العلم ومعياره ، القول بلا علم ^(١) .

٢ - أن جميع الأمم من أهل العلم والمقالات ، وأهل العمل والصناعات يتصورون ما يحتاجونه من العلوم والأعمال من غير افتقار إلى هذه الحدود المنطقية ، فضلا عن توقف ذلك عليها ، فعلم استغناء التصور عن هذه الحدود ^(٢) .

٣ - أن الحد - وهو عندهم القول الدال على المحدود - إما أن يكون الحاد قد تصور المحدود به ، وإما أن يكون قد عرفه بغير حد ، فإذا كان الأول لزم منه الدور القبلي أو التسلسل في الأسباب والعلل وهما ممتنعان باتفاق العقلاء ، وإن كان قد عرفه بغير حد بطل سلبهم وهو قولهم : « إنه لا يعرف إلا بالحد » ^(٣) .

ثانيا : نقد المقام الثاني ، وهو المقام الموجب للحد المنطقي :

« الحد يفيد العلم بالتصورات »

وهذا المقام تعرض ابن تيمية لنقده في تسعة أوجه ، أذكر طرفا منها :

١ - أن الحد : مجد قول الحاد ودعواه ، فإنه إذا قال : حد « الإنسان » - مثلا - : « الحيوان الناطق » ، فهذه قضية خبرية ، ومجرد دعوى خالية عن الحجة ،

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٧ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٧ ، والمنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ٥ ، ٦ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٨ .

فإما أن يكون المستمع لها عالماً بصدقها بدون هذا القول وإما أن لا يكون ؛ فإن كان عالماً بذلك ثبت أنه لم يستفد هذه المعرفة بهذا الحد ، أما إن لم يكن عالماً ، فمجرد قول المخبر الذي لا دليل عليه لا يفيد العلم ، كيف وهو يعلم أنه ليس بمعصوم في قوله ، لأن مجرد قوله قضية خبرية تحتمل الصدق والكذب ، والترجيح يكون بالدليل ، ولا دليل هنا ^(١) .

٢ - لو كان الحد مفيداً لتصور المحدود لم يحصل ذلك إلا بعد العلم بصحة الحد ، فإنه دليل التصور وطريقه وكاشفه ، فمن الممتنع أن نعرف صحة المعرفة (المحدود) قبل العلم بصحة المعرفة (الحد) والعلم بصحة الحد لا يحصل إلا بعد العلم بالمحدود ، أي تصوره ، وهو لا يمكن تصوره إلا بالحد ، فامتنعت معرفة التصور بالحد ^(٢) .

البديل الإسلامي للحد الأرسطي عند ابن تيمية :

وابن تيمية لما أبطل مفهوم أهل المنطق للحدود ، بين المفهوم الصحيح وهو ما عليه أهل الإسلام من متكلمين وأصوليين وغيرهم ، ويتلخص ذلك في النقاط التالية :

١ - أن الحدود كالأسماء ، المقصود منها تمييز المحدود عن غيره لا معرفة كنه الأشياء ^(٣) .

٢ - أن تمييز المحدود من غيره يكون بذكر صفاته المميزة له ^(٤) .

٣ - أن معرفة الصفات المميزة يكون بالطرد والعكس ، فيثبت المحدود بإثباتها وينتفي بانقائها ^(٥) ، فالطرد كقولنا : كل علم معرفة ، وكل معرفة علم ، والعكس كقولنا : كل ما ليس بعلم فليس بمعرفة ، كل ما ليس بمعرفة فليس بعلم .

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٢ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٥ ، ٧٩ ، ومناهج البحث للنشار ص : ٩٠ .

(٤) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٥٩ .

(٥) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٧ .

- ٤ - الحدود ليست أمر ثابتا لا يتغير ، بل قد يطرأ على الحدود - بمرور الأيام - ما يغير بعض صفاته المميزة ، فيتغير تبعاً لذلك الحد . وقد كان مسلماً عند الفلاسفة والمتكلمين أن العرض لا يبقى زمانين ، ثم تبين بطلان هذه الدعوى : فهذا الصوت يبقى زمانين بتسجيله في أشرطة التسجيل .
- ٥ - لابد من إقامة الدليل لإثبات الحد إذا لم يكن بديهياً ، والدليل قد يكون قول الشارع المعصوم ^(١) .
- ٦ - فائدة الحد تنبيه الغافل ليستحضر تصور الحدود في ذهنه ، لا أن الحد ينشئ التصور في ذهنه إنشاءً ^(٢) .

ثالثاً : نقد المقام الثالث ، وهو المقام السلبي للقياس المنطقي :

« التصديقات لا تنال إلا بالقياس »

وهذا المقام تعرض ابن تيمية لنقده في مقدمات وستة وجوه ^(٣) ، أذكر طرفاً من ذلك :

١ - قولهم : « التصديقات لا تنال إلا بالقياس » قضية سلبية نافية وليست بديهية ، فحتاج إلى دليل ، وليس معهم إلا مجرد الدعوى ، وهو قول بلا علم ، والسلب - على أصلهم - لا يوصل إلى علم ، بل ذلك متعذر ، فمن أين لهم أنه لا يمكن أحداً من بني آدم أن يعلم شيئاً من التصديقات - التي ليست عندهم بديهية - إلا بواسطة القياس المنطقي ^(٤) ؟!

٢ - أهل المنطق يعترفون بأن التصديقات تنقسم إلى بديهيات ونظريات ، وأنه يمتنع أن تكون كلها نظرية ، لافتقار النظري إلى بديهي . وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن الفرق بين البديهي والنظري إنما هو بالنسبة والإضافة ، فهو من الأمور النسبية الإضافية ، فما يكون من العلم بديهياً عند فلان قد يكون نظرياً

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص : ٧٩ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين هامش رقم : (٣) ص : ٨٨ .

(٤) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٨٨ .

عند غيره ، فلا يناله إلا بنظر قصير أو طويل ، بل قد يتعذر عليه حصوله بالنظر ^(١) .

٣ - البرهان (القياس) لا يفيد عند المناطقة إلا العلم بالكلييات ومعلوم أن الكلييات لا وجود لها إلا في الأذهان ، فهي ليس لها وجود في الأعيان ، بل لا يوجد في الأعيان (الخارج) إلا المعين المشخص ، فلا يوجد في الأعيان (الخارج) الإنسان أو الإنسانية ، ولا الحيوان أو الحيوانية وإنما توجد أفراد هذه الكلييات يوجد : محمد ، طارق ، وفاطمة ... ، ويوجد : فرس ، حمار ، وأسد ...
وعليه فبرهانهم لا يفيد العلم بشيء من الموجودات ، فلا يعلم به موجود أصلا ، بل إنما تعلم به أمور مقدرة في الأذهان ^(٢) .

رابعا : نقد المقام الرابع ، وهو المقام الموجب للقياس المنطقي :

« القياس يفيد العلم بالتصديقات »

وهذا المقام تعرض ابن تيمية لنقده في مقدمات وأربعة عشر وجها ، أذكر طرفا من ذلك :

١ - يقرر ابن تيمية أن كون القياس المؤلف من مقدمتين - وهو القياس المنطقي - يفيد النتيجة هو أمر صحيح في نفسه ، لكن الاستفادة من هذا القياس - بعد الجهد وكثرة التطويل - أمر قليل الفائدة ، إن لم يكن عديم الفائدة ، بل كل ما يمكن علمه بالقياس المنطقي يمكن علمه بدونه ، وما لا يمكن علمه بدون القياس المنطقي لا يمكن علمه به ، فلم يكن في قياسهم : لا تحصيل العلم بالمجهول الذي لا يعلم بدونه ، ولا حاجة به إلى ما يمكن العلم به بدونه ، فصار عديم التأثير في العلم وجودا وعدما ، مع ما فيه من إتعاب الأذهان ،

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٢٤ ، ١٢٥ .

وتضييع الزمان ، وكثرة الهذيان ^(١) ، وهذا معنى قول ابن تيمية في المنطق في خطبة كتابه : « فإني كنت دائما أعلم أن المنطق اليوناني ، لا يحتاج إليه الذكي ، ولا ينتفع به البليد » ^(٢) .

٢ - المطلوب من الأدلة والبراهين بيان العلم وبيان طرقه ، وعلم أن هذا القياس المنطقي لا يفيد هذا المطلوب ، بل قد يكون من الأسباب المعوقة له ، لما فيه من كثرة التطويل وإتاعاب الأذهان ، كمن يريد أن يسلك الطريق إلى مكة ؛ فإذا سلك الطريق المستقيم المعروف وصل في مدة قريبة بسعي معتدل ، وإذا قبض له من يسلك به مسالك منحرفة وطرقا دائرة فإنه يتعب تعباً كثيراً حتى يصل إلى غايته إن وصل ، وإلا فقد يصل إلى غير المطلوب ؛ فيعتقد اعتقادات فاسدة ، فلا هو نال مطلوبه ، ولا هو استراح . ولهذا حكى عن الخونجي ^(٣) أنه قال عند موته : « أموت وما علمت شيئاً إلا علمي بأن الممكن يفتقر إلى الواجب ، ثم قال : الافتقار وصف سلبى ، أموت وما علمت شيئاً » ^(٤) .

٣ - القياس المنطقي لا يدل إلا على أمور كلية مقدرة في الأذهان - وذلك باعترافهم - ومعلوم أن كل موجود له حقيقة تخصه ، يتميز بها عما سواه ،

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ويشير الدكتور محمود قاسم إلى أن القياس الأرسطي إنما يناسب أن يستخدم في عرض المعلومات التي سبق أن اكتسبناها من قبل ، فليس هناك نتيجة جديدة من القياس ، بل كل ما يزعم أنه نتيجة فهو متضمن في إحدى مقدمتي القياس . انظر : المنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ٩ ، ٢٠ .

(٢) الرد على المنطقيين ص : ٣ .

(٣) هو أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن نامور بن عبد الملك الخونجي الشافعي نزيل مصر . وفي القضاء بمصر وأعمالها بعد أن عزل عنه عز الدين بن عبد السلام . وكان الخونجي حكيماً منطقياً ، وله تصانيف في الطب والمنطق . ولد سنة : ٥٩٠ هـ وتوفي سنة ٦٤٦ هـ .

انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ٥٤١/١ ترجمة رقم : ١٥ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ ، مصر .

(٤) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

ولا يشاركه فيها غيره ، والقياس لا يمكن الاستدلال به على موجود مخصوص بعينه ، فعلم أن قياسهم لا يدل على أعظم موجود ، بل هو واهب الوجود لغيره ، وهو الله (سبحانه وتعالى) ، إنما يدل قياسهم على وجود كلي مطلق لا يمنع من وجود الشركة فيه ، فأى فائدة في القياس إن لم يمكن الاستدلال به على وجود البارئ (سبحانه وتعالى) (١) ؟!

البديل الإسلامي للقياس الأرسطي عند ابن تيمية :

لما أبطل شيخ الإسلام القياس المنطقي وبين عدم جدواه ، قرر مكانه طرق العلم الصحيحة المفيدة ، ويتلخص ذلك في الأمور التالية :

١ - أن الله (تعالى) أنزل الكتاب والميزان ؛ والكتاب هو القرآن ، والميزان هو الأقيسة العقلية والأمثال المضروبة (٢) .

٢ - الأقيسة العقلية هي التي يعرف بها تماثل المتماثلات ، واختلاف المختلفات ، فمن أعظم صفات العقل معرفة التماثل والاختلاف ، فإذا رأى الشيعين المتماثلين علم أن هذا مثل هذا ، ويجعل حكمهما واحدا ، وهذا هو قياس الطرد ، وإذا رأى الشيعين المختلفين علم أن هذا ليس كهذا ، وفرق بينها في الحكم ، وهذا هو قياس العكس (٣) .

٣ - طريق العلم بالكليات هو العلم بالجزئيات ، فالمعرفة الصحيحة المفيدة تكون في الانتقال بالعقل من العلم بالأفراد المعينة إلى حكم كلي عام ، وليس العكس (٤) . وهذا هو الذي يجعل المنطق الأرسطي منطقا عقيما لا جديد من ورائه ، بل كل ما يعتقد أنه نتيجة - وذلك بعد الجهد والتطويل - تجده متضمنا في إحدى مقدمات القياس (٥) .

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٤٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٠ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٨٢ .

(٣) انظر : الرد على المنطقيين ص : ٣٧١ .

(٤) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١١٣ ، ١١٤ .

(٥) انظر : المنطق الحديث لمحمود قاسم ص : ٩ ، ٢٠ .

- ٤ - الاستدلال القرآني : استدلال بجزئي على جزئي ملازم له ، أو بكلي على كلي ملازم له ؛ الأول كطلوع الشمس آية على النهار ، والثاني كاستدلال بجنس النهار على جنس الطلوع (طلوع الشمس) (١) .
- ٥ - الاستدلال على المطالب الإلهية يكون بالآيات وقياس الأولى (٢) :

أما الآية فهي العلامة والدليل ، والدليل يستلزم عين المدلول فلا يكون مدلوله أمرا كلياً مشتركاً بين المطلوب وغيره ، بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول ؛ فالعلم بالمعجزات المعينة يوجب العلم بنبوة محمد (ﷺ) لا يوجب أمراً كلياً مشتركاً بينه وبين غيره ، وهذا يقال - أيضاً - في آيات الرب (جل وعلا) فنفس العلم بها يوجب العلم بذاته المقدسة ، لا يوجب أمراً كلياً مشتركاً بينه وبين غيره .

وأما قياس الأولى ، فهو المستعمل في إثبات صفات الله (تعالى) ، لأن الله (تعالى) لا يدخل هو وغيره في قضية كلية تستوي أفرادها كما في قياس الشمول (القياس المنطقي) ، ولا يمثل بغيره في قضية يستوي فيها الأصل مع الفرع كما في قياس التمثيل (القياس الأصولي) ، فالله (تعالى) ليس كمثله شيء ، وإنما يستعمل في حقه قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل ما ثبت للمخلوق من كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالرب (تعالى) أحق به ، وكل ما نزه عنه المخلوق من النقائص فالرب (تعالى) أحق بالتنزيه عنها (٣) .

★ ★ ★

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٦٣ ، ١٦٥ .

(٢) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٥٠ ، ١٥٥ ، ٣٥٠ .

(٣) انظر : شرح الطحاوية ص : ٨٥ ، ٨٦ .

المبحث الخامس حكم الاشتغال بالمنطق الأرسطي

جرت عادة المصنفين في هذا الفن إيراد هذه المسألة في مقدمات كلامهم عن المنطق ، وقد رأيت تأخيرها إلى هذا الموضع ، حتى يكون الحكم على المنطق نابعا عن تصور صحيح له ، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره :

والمسائل التي لا تتمحض للصحة أو الفساد ، بل يكون أمرها مختلطا بحيث تشتمل على ما هو حق ، وعلى ما هو باطل ؛ فالحكم عليها : صحة أو فسادا ، قبولاً أو رفضاً ، جوازا أو منعا ، وجوبا أو تحريما ، إنما يكون تبعا لما يغلب عليها من مادة الخير أو الشر ، الحق أو الباطل ، فأى المادتين غلبت حكم لها أو عليها بمقتضاها .

فالمنطق وإن اشتمل على بعض الحق - خاصة فيما يتعلق ببعض الصور الشكلية - فلا يجوز أن يكون ذلك مبررا لجواز الاشتغال به ، بل باطله أضعاف ما فيه من حق ؛ الأمر الذي لا تحمد معه العاقبة ، كما قال ابن تيمية (رحمه الله) : « وإن كان فيه ما هو حق فلا بد في كلام كل مصنف من حق ، بل فيه أمور باطلة إذا وزنت بها العلوم أفسدتها » ^(١) .

إذا عرف هذا ، فالناس في حكم الاشتغال به على ثلاثة مذاهب : يصورها صاحب السلم بقوله ^(٢) :

« والخلف في جواز الاشتغال	به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوي حرما	وقال قوم ينبغي أن يعلموا
والقولة المشهورة الصحيحة	جوازه لكامل القرينة
ممارس السنة والكتاب	ليتهدي به إلى الصواب »

(١) الرد على المنطقيين ص : ١٨٠ .

(٢) إيضاح المبهم في معاني السلم ص : ٥ .

وسأعرض المذاهب على النحو التالي :

أولاً : مذهب القائلين بوجوب تعلمه :

وهم من يسمون بفلاسفة الإسلام مثل : الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم ، وذلك لأنه لا خلاف - عندهم - بين المنطق والإسلام ، ومنهم من يقول : إنه لا غنى عنه في الدفاع عن عقائد الإسلام بعد أن يزال منه ما اختلط به من مسائل الفلسفة ^(١) .

وهؤلاء لم يكن لهم أثر في الأمة ، بل هم معروفون بالزندقة والإلحاد ، حتى جاء الغزالي في المائة السادسة ، وصنف فيه ، وخلط به علوم الشريعة ^(٢) ، وجعله شرطاً في العلم ، وذكر في مقدمة المستصفى ، أنه من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه أصلاً ^(٣) ، فافتن كثير من النظائر والمصنفين في أصول الفقه وغيرها بهذا الكلام ، واستفزه ، حتى أدخلوه في علومهم ^(٤) .

ثم إن الغزالي رجع عن ذلك - كما تقدم - وبين عيب المنطق ولوازمه الفاسدة ، ونهى عنه وحذر منه ، فلا حجة - بعد ذلك - في أول قوله ؛ لكنها فتنة كفتنة الأشعرية : رجع أبو الحسن الأشعري إلى مذهب السلف وما زال المنتسبون إليه على مذهبه الأول ؛ فلا به اقتدوا ، ولا لصحيح الأدلة وصرحها اتبعوا .

ثانياً : مذهب المجوزين تعلمه لمن تأهل لذلك :

ويمثل هؤلاء عبد الوهاب السبكي حيث جوزه لمن استكمل معرفته بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وتمكن من فروع الفقه تمكننا يسمى معه فقيهاً يشار إليه ، فإذا تيقن أنه وصل إلى هذه الرتبة بدرجة لا ترزعزعها رياح الأباطيل ، وشبه الأضاليل ،

(١) انظر : تجديد المنطق للصعيدي ص : ٥ ، ٦ .

(٢) انظر : ص : ٦٠٩ من هذا الفصل .

(٣) انظر : مقدمة المستصفى ١/١٠ ، وقد هوجم الغزالي من قبل جماعة من العلماء ، كرفيقه :

أبي إسحاق المرغيناني وأبي الوفاء بن عقيل والقشيري والطرطوشي وابن رشد والمازري وجماعات من الأولين .

انظر : شرح العقيدة الأصفهانية ص : ١٣٢ .

(٤) انظر : صون المنطق (تجريد النصيحة) ص : ٢٨٧ .

وأهواء الملاحدة ، فله النظر فيه ، واستعماله من غير أن يمزجه بعلوم الإسلام ؛ وذلك لأنه حصل بهذا المزج من الضرر ما حصل ^(١) .

إذاً ما الفائدة من تحصيله ؟ ولماذا هذه المخاطرة ؟ وقد عرفت أن الصحيح منه قليل الفائدة ، إن لم يكن عديهما ، وأنه غير مأمون العواقب .

ثالثاً : مذهب القائلين بتحريمه :

وهو الصحيح ، وعليه جماهير السلف من الأئمة وأهل الحديث ، والمتقدمون من نظار المسلمين من جميع الطوائف : قال ابن تيمية : « ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونهم ويذمون أهلهم وينهون عنه وعن أهلهم ، حتى رأيت للمتأخرين فتياً فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه ، وعقوبة أهلهم » ^(٢) .

وقال ابن الصلاح : « سمعت الشيخ العماد بن يونس يحكي عن يوسف الدمشقي مدرس النظامية ببغداد - وكان من النظار المعروفين - : أنه كان ينكر هذا الكلام (وجوب تعلم المنطق) ويقول : فأبو بكر وعمر وعلان وفلان ، يعني أن أولئك السادة عظمت حظوظهم من الثلج واليقين ، ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأسبابها » ^(٣) .

وفتوى ابن الصلاح في تحريم المنطق مشهورة ، وكان قد سئل عن اشتغال بالمنطق والفلسفة تعلماً وتعليماً ، وهل المنطق مما أباح الشارع تعلمه وتعليمه ؟ ، وهل نقل عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين إباحته أو الاشتغال به ؟ وهل يجوز أن يستعمل في إثبات الأحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية ، أم لا ؟ ... إلى آخر الفتوى ^(٤) : فأجاب (رحمه الله تعالى) بما ملخصه :

الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الخيرة والضلال .. ثم بالغ في ذم الفلسفة وازدراؤها ثم قال : « وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر ،

(١) انظر : معيد النعم لعبد الوهاب السبكي ص : ٧٨ .

(٢) نقض المنطق ص : ١٥٦ .

(٣) انظر : فتاوى ابن الصلاح ص : ٣٤ .

وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين ، والأئمة المجتهدين ، والسلف الصالحين ، وسائر من يقتدى به من أعلام الأمة وسادتها .. ثم ذكر أن استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من الأمور المستحدثة والمنكرات المستبشعة ، وليس بالأحكام الشرعية - والحمد لله - افتقار إلى المنطق أصلا ... إلى آخر الجواب ^(١) .

فهل يقال بعد ذلك إن الصحيح المشهور جوازه بشرط المكنة من العلوم الشرعية ، فضلا عن جوازه مطلقا ، فضلا عن وجوبه على الأعيان أو الكفاية ، سبحانه هذا بهتان عظيم !

لكن قد يقال يجوز حكايته لبيان عوره ، وإثبات فساده ، وعدم فائدته ، مثله في ذلك مثل الأحاديث الموضوعة ، تحكى لبيان وضعها وفسادها ^(٢) .

★ ★ ★

(١) انظر : فتاوى ابن الصلاح ص : ٣٥ .

(٢) وقد أحسنت كلية أصول الدين بالرياض حين قررت على طلبة العقيدة والمذاهب المعاصرة مادة المنطق القديم ثم أتبعها بدراسة نقدية ، تمثل في المنطق الحديث ، الذي أرسى قواعده شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) .

الفصل الرابع

موقف أهل السنة من الكشف والرؤى

ويتضمن تمهيدا وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وسائل المعرفة عند المتصوفة ، وكيفية اكتسابها .

المبحث الثاني : حقيقة المعرفة الصوفية .

المبحث الثالث : موقف أهل السنة والجماعة من المعرفة الصوفية .

تمهيد

العلم بالكائنات وكشفها له طرق متعددة : حسية وعقلية وكشفية وسمعية ،
وجميعها ينقسم إلى ضروري ونظري . ومعلوم أن الدين نوعان : خبر وطلب ، وقد
يتفق المسلمون على بعض الطرق الموصلة إلى هذين النوعين أو أحدهما ، كاتفاقهم
على أن القرآن الكريم دليل فيهما في الجملة ، وإن كان قد ينازع في ذلك بعض غالية
المتكلمة فينفون عن النقل إفادة القطع فيما حقه القطع كمسائل الصفات والمعاد
ونحوها .

ومن أهل الكلام من ينكر الاستدلال بالمكاشفات ونحوها من طرق المتصوفة ،
كما أن من المتصوفة من ينكر مقام العقل في المعرفة ويغالي في الاستدلال بالطرق
الكشفية ونحوها .

ولهذا تنازع الناس في هذه الطرق - العقلية والنقلية والكشفية - نفياً وإثباتاً ؛
فمنهم من ينكر منها ما لا يعرفه ، ومنهم من يغلو فيما يعرفه ، فيرفعه فوق قدره وينفي
ما سواه .

وكثير من المتصوفة يبنون أمره على مكاشفات ومنامات وأذواق يعتقدونها حقاً
ويعارض بها النصوص الصحيحة الصريحة ^(١) .

وفي هذا الفصل أحاول استعراض طرق المتصوفة في الاستدلال ، وكيف
عارضوا بها نصوص الكتاب والسنة ، وموقف أهل السنة والجماعة من هذه الطرق :

* * *

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١١/٣٣٥ - ٣٣٩ .

المبحث الأول

وسائل المعرفة عند المتصوفة ، وكيفية اكتسابها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهذه الوسائل

لاشك أن المتصوفة يتخذون الوحي من جملة وسائل المعرفة الشرعية ، لكن كثيرا منهم يجعلون لنصوصه معاني ظاهرة وأخرى باطنة تخالفها ، حتى يوافق - الوحي - ما هم عليه من معتقدات ، فالوحي عندهم معضد لا مقرر ، محكوم عليه لا حاكم ، أي أنهم يحتاجون به ما وافق معتقداتهم ، وإلا أولوه وابتغوا له معاني باطنة ، يزعمون أنها الحق .

أما ما هم عليه من المعتقدات فقد زعموا استفادته من الله (تعالى) مباشرة - أي من غير طريق الوحي - وذلك بوسائل شتى تدور حول أمرين أساسيين ، هما :

الكشف والرؤى :

أولا : الكشف : وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجودا أو شهودا ^(١) . والمكاشفة : حضور للقلب لا ينعت بالبيان ، فيكشف له ما يستتر على الفهم كأنه رأي عين ^(٢) .

وللمتصوفة بعض المصطلحات التي تحمل معنى الكشف ، وقد يكون بينها وبينه عموم وخصوص ، لكنني لم أقف على وجهه ، وإنما أذكرها لتمام الفائدة ؛ فمثلا :

(١) التعريفات للجرجاني ص : ٩٧ .

(٢) انظر : التعريفات للجرجاني ص : ١١٩ ، ومعجم مصطلحات الصوفية للدكتور / عبد المنعم

الحنيني ص : ٢٤٩ - دار المسيرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .

١ - **الخاطر عندهم** : ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ، ربانيا كان أو ملكيا أو نفسيا أو شيطانيا ، من غير إقامة ، وقد يكون كل وارد لا تَعْمَلُ لك فيه (١) .

٢ - **الوارد** : وهو ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تَعْمَلُ (٢) وقد قيل للخاطر الرباني : أول الخاطر ، وهو لا يخطيء أبدا ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع ، والخاطر للملكي يسمى إلهاما ، وهو إلقاء الشيء في الروح . والخاطر النفساني يسمى هاجسا ، وهو ما فيه حظ النفس . أما الخاطر الشيطاني فهو ما يدعو إلى مخالفة الحق (٣) .

٣ - **التجلي** : وهو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (٤) .

٤ - **المحادثة** : وهي خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى (عليه السلام) (٥) .

٥ - **المسامرة** : وهي خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلوبهم (٦) .

٦ - **الذوق** : نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ؛ يفرقون به بين الحق والباطل ، من غير أن ينقلوا ذلك عن كتاب أو غيره (٧) .

٧ - **البصيرة** : ملكة ترى حقائق الأشياء وبواطنها ، كما يرى البصير ظواهر الأشياء المادية (٨) .

(١) اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص : ١٤٠ (وهو بذيل التعريفات للجرجاني) .

وانظر : معجم المصطلحات الحفني ص : ٨٧ .

(٢) اصطلاحات الصوفية ص : ١٤٠ .

(٣) انظر : معجم مصطلحات الصوفية الحفني ص : ٨٧ .

(٤) اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص : ١٨٠ .

(٥) المرجع السابق ص : ١٤١ .

(٦) المرجع السابق ص : ١٤١ .

(٧) معجم مصطلحات الصوفية الحفني ص : ١٠٤ ، والتعريفات للجرجاني ص : ٥٧ .

(٨) التعريفات للجرجاني ص : ٢٦ .

والكشف يقابله الإشراق عند السهروردي إمام الفلسفة الإشراقية ، التي تقابل الفلسفة المشائية عند ابن سينا ، فالأولى تقوم على الكشف والذوق ، والثانية على الحجج المنطقية والاستدلالات العقلية ^(١) ، وقد تأثر السهروردي في ذلك بأفلاطون حتى قال : « إمام الحكمة ورئيسها أفلاطون » ^(٢) .

ثانيا : الرؤى : وهي جمع رؤيا : وهي إدراكات علقها الله (تعالى) في قلب العبد على يد ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكنائها أي بعبارتها ، وإما تخليط ، ونظيرها في اليقظة الخواطر ^(٣) ..

وذكر المازري اختلاف الناس في حقيقة الرؤيا ^(٤) :

أولا : غير الإسلاميين لهم أقوال كثيرة ومختلفة ؛ لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ، ولا يقوم عليها برهان ، وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقوالهم : فمن ينتمي منهم إلى الطب ينسب جميع الرؤى إلى الأخلاط ، وهذا لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة .

ومن ينتمي منهم إلى الفلسفة يقول : إن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش ، فما حاذى بعض النقوش منها انتقش فيها .

قال المازري : « وهذا أشد فسادا من الأول لكونه تحكما لا برهان عليه » .

ثانيا : الصحيح ما عليه أهل السنة ، وهو أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات ، كما يخلقها في قلب اليقظان ، وهي كالأعلام على أمور أخرى يخلقها الله (تعالى) في حال اليقظة ، ومهما يقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع

(١) انظر : أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي للدكتور : محمد علي أبو ريان ص : ٥٩ ، ٦٠ - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة أحمد خمير الطبعة الأولى ١٩٥٩ م - القاهرة .

(٢) مقدمة كتاب : حكمة الإشراق للسهروردي ص : ١٠ (وهو ضمن مجموعة دوم مصنفات) تصحيح هنري كرين ١٩٥٢ م - ١٣٣١ هـ - إيران (بدون اسم الطبعة ورقم الطبعة) .

(٣) انظر : فتح الباري ٣٥٢/١٢ .

(٤) انظر : فتح الباري ٣٥٣/١٢ .

في اليقظة . وقال : « وتلك الاعتقادات تارة تقع بحضرة المَلَك فيقع بعدها ما يسر ،
أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر » ^(١) .

المطلب الثاني : كيفية اكتساب المعرفة الصوفية

كما ينبغي الإشارة إليه أن هذه المعرفة الصوفية لا يمكن تعلمها ولا شرحها
ولا الاستدلال عليها ، وإنما يمكن معرفة طرقها ووسائلها ومناهجها وتعاليمها ،
وأحكامها ، فيأخذ بها السالك ليصل إلى المقصود ^(٢) .

وهذا من أهم ما يميز الطريقة الكشفية عن الطرق الأخرى للمعرفة ، وهو أن
الأولى لا يمكن البرهنة عليها ، ولا انتقالها إلى الآخرين ، وإنما هي حالة يعيشها
السالك فحسب ، ومن أراد أن يصل إليها فعليه أن يأخذ نفسه بآداب الطريقة
وتعاليمها حتى يكون أهلاً لذلك الكشف الرباني ^(٣) .

ولهذا جعل السهروردي ^(٤) اليقين ثلاث درجات ^(٥) :

(١) فتح الباري ٣٥٣/١٢ .

(٢) انظر : المعرفة عند مفكري المسلمين للدكتور : محمد غلاب ص : ٨٩ ، ٩٥ .

مراجعة : محمود العقاد - زكي نجيب محمود - الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار الجليل للطباعة
(بدون رقم الطبعة وتاريخها) ومقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة (ابن رشد) لمحمود قاسم ص : ٢٤ .

(٣) انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاهازي ص : ٨٧ ، والمعرفة عند مفكري المسلمين
لغلاب ص : ٩٤ .

(٤) هو : أبو عبد الله عمر بن محمد بن عمويه - شهاب الدين السهروردي نسبة إلى سهرورد من
عراق المعجم . قدم بغداد في صباه ، وصحب عمه أبا النجيب وغيره من المشايخ ، حصل من العلم ما لا بد
منه ، ثم انقطع وخلا واشتغل بإدامة الصيام والقيام ... وعظ عند كبير سنه ، واشتهر اسمه ، وقصد من الآفاق ،
وتاب على يديه خلق كثير . ولد سنة : ٥٣٩ هـ وتوفي سنة : ٦٣٢ هـ . انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن
(أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري) ص : ٢٦٢ وما بعدها ، ترجمة رقم : ٥٣ تحقيق : نور الدين
شريعة - مكتبة الخانجي - مطبعة دار التأليف الطبعة الأولى ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م مصر ، وشذرات الذهب
١٥٤ ، ١٥٣/٥ حوادث سنة : ٦٣٢ هـ .

(٥) انظر : كتاب عوارف المعارف للسهروردي ص : ٣٦٨ - المكتبة العلمية ١٣٥٨ هـ -

١٩٣٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

الأولى : علم اليقين ، وهو ما كان من طريق النظر والاستدلال .
 الثانية : عين اليقين ، وهو ما كان من طريق الكشف .
 الثالثة : حق اليقين ، وهو مشاهدة الغيوب مشاهدة المرئيات .
 ومنهم من جعله ستة أقسام ^(١) :

الأول والثاني : اسم ورسم لعوام المؤمنين .
 الثالث : علم اليقين لعوام العلماء .
 الرابع : عين اليقين للأولياء .
 الخامس : حق اليقين للأنبياء .
 السادس : حقيقة اليقين لمحمد (ﷺ) .

والمقصود هو بيان أن ما كان من العلم له تعلق بالقراءة والكتابة فهو من شأن العوام دون الخواص .

طريقة اكتساب المعرفة الكشفية :

يذكر أبو حامد الغزالي أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق ، ومعرفة علوم اللوح المحفوظ الذي نقش فيه جميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة ، وإنما يحول دون القلب من الحجب ما يمنع تحقق هذه المعرفة ، لكن قد تهب رياح الألفاظ ؛ فتتكشف الحجب عن أعين القلوب ؛ فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ، ويكون ذلك تارة في المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل ، وفي اليقظة ، فيرتفع الحجاب بلطف خفي من الله (تعالى) ؛ فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم ؛ تارة كالبرق الخاطف ، وأخرى على التوالي إلى حد ما ، ودوامه في غاية الندور ^(٢) ...

(١) انظر : كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم ... للشيخ : أحمد الكمشخاني النقشبندی ص : ١٥٦ - دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى البائي الحلبي ١٣٣١ هـ - مصر (بدون رقم طبعة) .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ١٨/٣ ، ١٩ .

ويدعي الغزالي - أيضا - أن الطريق إلى هذه الغاية لا يكون عن طريق تحصيل العلم ، والنظر في المصنفات ، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل عن طريق المجاهدة ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والاستعداد بالتصفية المجردة ، والزهد في الدنيا ، والتبري من علائقها ، وتفرغ القلب من شواغلها ، وقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن ، وعن العلم والولاية والجاه ، بل حتى يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه ، ثم يخلو بنفسه في زاوية ^(١) ، ويذكر الغزالي في موضع آخر ^(٢) : أن هذه الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم ، فإن لم يجد ألقى برأسه في جيبه ، أو تدثر بكساء ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ، ويشاهد جلال الحضرة الربوبية .

وفي هذه الخلوة يقتصر السالك على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهم ، غير مفرق فكره بقراءة القرآن ، ولا بالتأمل في تفسيره ، ولا بالنظر في كتب الحديث ولا غير ذلك ، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله (تعالى) فلا يزال في خلوته ذاكرا : الله ، الله ، بلسانه على الدوام مع حضور القلب ، حتى ينتهي إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ، ويرى كأن الكلمة تجري على لسانه ، ثم يُمحي أثرها عن اللسان ، فيواظب على الذكر بقلبه حتى يُمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، حتى يبقى معنى الكلمة حاضرا في قلبه ملازما له لا يفارقه ، فيصير متعرضا لرحمة الله ، منتظرا ما يفتح الله به من الرحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء ... فتلمع لوامع الحق في قلبه ، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود ، وقد يتأخر ، وإن عاد فقد يثبت ، وقد يكون مختطفًا ، وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق ^(٣) .

لكن ابن سينا يزعم أن السالك يمكنه أن يصل إلى درجة من الاتياض حتى يتحكم هو في الكشف ، يحصل له متى شاء ^(٤) .

(١) انظر : إحياء علوم الدين ١٩/٣ .

(٢) انظر : إحياء علوم الدين ٧٦/٣ .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ١٩/٣ ، ٢٠ .

(٤) انظر : كتاب الإشارات والتنبيهات لأبي علي الحسين بن سينا ص : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، تصحيح

المعلم يعقوب فرجة - مطبعة إبريل ١٨٩٣ م ليدن (بدون رقم الطبعة) .

المبحث الثاني

حقيقة المعرفة الصوفية

ما ذكرته آنفا - عن المتصوفة - من الرياضة والتعاليم ، والتي يلتزمها السالك بغية الوصول إلى المعرفة الحقة ، واليقين البارد ، أوجبت له أن يرى أن ما فعله هو عين طريق الأنبياء والأولياء ، وأن ما شهدده عند الوصول إلى الغاية هو من الفتح الرحماني ، والكشف الرباني ، والتنزل الملائكي ، وأنه كان جليس النبي (ﷺ) يأخذ عنه كفاحا ، يقظة لا مناما . وسأذكر أمثلة تبين حقيقة هذه المعرفة الصوفية التي يشمر لئيلها والفوز بها كثير من سالكي طريق التصوف :

المثال الأول : موقف الصوفية من العلوم الشرعية والعقلية :

سبق الإشارة إلى أن طريقة الكشف هذه لا يمكن الاستدلال عليها بالدلائل العقلية ولا الحسية ، وإنما هي حال تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات ^(١) ، ولهذا قال صاحب كتاب الدرة الفاخرة ^(٢) : « إن مستند الصوفية فيما ذهبوا إليه هو الكشف والعيان ، لا النظر والبرهان ... » وذكر أن السالك يفرغ قلبه عن جميع التعلقات الكونية ، والقوانين العلمية .

وقد مر كلام أبي حامد الغزالي في أن علوم الصوفية فاضت على صدورهم فيضا ، ولم تحصل لهم بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب ، والنظر في المصنفات ، والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل من لوازم طريقهم قطع الهمة عن الأهل والولد ... والعلم .. ، فلا يفرق فكره بقراءة قرآن ، ولا بالتأمل في تفسيره ، ولا بالنظر في كتب الحديث وغيرها ^(٣) .

(١) انظر : التعرف لمذهب التصوف ص : ٨٧ .

(٢) كتاب الدرة الفاخرة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين والحكماء ... لملا عبد الرحمن الجامي ص : ٢٥٣ (بذيّل أساس التقديس للرازي) .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين ١٨/٣ ، ١٩ .

فالعلوم العقلية والشرعية من جملة الحجب والعوائق التي يجب على السالك التخلص منها وتجاوزها ، إن هو أراد الوصول إلى حقيقة المعرفة ، بل تجدهم قد وصفوا ما عندهم بالمعرفة والقطع ، وما عند غيرهم بالعلم والظن ، فالعلم طريقه الخير ، أما المعرفة فطريقها الكشف والعيان ، والعلم - عندهم - حجاب على المعرفة ، وإن كان لا يوصل إليها إلا بالعلم ، فالعلم لها كالصوان لما تحته ، فهو حجاب عليه ، ولا يوصل إليه إلا منه ^(١) .

المثال الثاني : دعوى عروج المتصوفة إلى السموات السبع :

يذكر السهروردي في عوارفه ^(٢) أن من السالكين من يعرج قلبه وباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات كعروج محمد (ﷺ) بظاهره وقلبه ، حتى يتخلص من نفسه المظلمة وخواطرها الصادقة ، وذلك لأن الخاطر رسول ، والرسول إلى من بعد ، وهذا السالك قريب ، فيتخلف عنه خاطر النفس وخاطر الملك لقربه ؛ كتخلف جبريل (عليه السلام) ليلة المعراج عن رسول الله (ﷺ) .

ويذكر الأستاذ : عبد الرحمن عبد الخالق أن أول من أفترى عليه هذا المعراج هو أبو يزيد البسطامي ^(٣) ، حيث ذكر عنه أنه عرج به إلى السموات قاصدا الله (تعالى) طالبا المواصله ، مقيما عنده إلى الأبد ، وأنه امتحن في ذلك امتحانا لا تقوم له السموات والأرض ؛ إذ بسط له بساط العطايا نوعا بعد نوع ، وعرض

(١) انظر : مدارج السالكين ١٦٥/٣ .

(٢) انظر : ص : ٣٢٢ .

(٣) انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة - لعبد الرحمن عبد الخالق ص : ٢٠١ - مكتبة

ابن تيمية - مطبعة الفيصل - الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ الكويت .

وأبو يزيد هو : طيفور بن عيسى بن سروشان ، وكان جده مجوسيا فأسلم . وهم ثلاثة إخوة : آدم وطيفور وعلي ، كلهم زهاد عباد . من أقواله : « إذا نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغفروا به ، حتى تنظروا كيف تجددونه عند الأمر والنهي وحفظ الشريعة » ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ، بل مقول عليه . ولد سنة : ١٨٨ هـ ، وتوفي سنة : ٢٦١ هـ . وقيل : ٢٣٤ هـ ، انظر : طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص : ٦٧ وما بعدها - تحقيق : نور الدين شريه - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م مصر ، وشذرات الذهب ١٤٣/٢ - ١٤٤ - حوادث سنة : ٢٦١ هـ ، وطبقات الأولياء ص : ٣٩٨ وما بعدها . ترجمة رقم : ١٠٨ .

عليه مُلْكُ كل سماء ، فكان يقابله بغض الطرف ؛ إجلالا لحرمة الرب (تعالى) ،
قائلا : يا عزيزي ، مرادي غير ما تعرض علي ... وهكذا حتى عرج به إلى السماء
السابعة ، ثم تجاوز سدرة المنتهى ، ثم الكرسي ، حتى ناداه ربه : إلي إلي ... يا صفى
ادن مني ، واشرف على مشرفات بهائي ، وميادين ضيائي ، واجلس على بساط قدسي ،
حتى ترى لطائف صنعي في آثاني ، أنت صفى وحبيبي ، وخيرتي من خلقي ... ثم
قربني منه حتى صرت أقرب إليه من الروح إلى الجسد ، وهناك استقبلني روح كل
نبي ، يسلمون علي ويعظمون أمري ... حتى روح محمد (ﷺ) . وذكر أنه
أوصاه بالنصح لأئمة ، ودعوتهم إلى الله (تعالى) (١) .

ومن يدعي مثل هذا العروج عبد الكريم الجيلي (٢) في كتابه : الإنسان
الكامل (٣) ... حيث ذكر أنه اجتمع بجميع الرسل والأنبياء والأولياء والملائكة على
جميع أصنافهم ، ورأى روحانية الموجودات جميعها ، وكشف عن حقائق الأمور على
ما هي عليه من الأزل إلى الأبد ، وتحقق بعلوم إلهية لا يسع الكون أن يذكرها فيه ...

**المثال الثالث : دعوى الصوفية أن علومهم من عند الله (تعالى) ، وذلك
عن طريق الكشف :**

يقول عبد الكريم الجيلي : « وكنت قد أسست الكتاب على الكشف الصريح ،
وأيدت مسأله بالخبر الصحيح (٤) ، وسميته : بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر

(١) انظر : الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص : ٢٠٢ - ٢٠٦ ، وذكر أنه نقله عن مخطوط
بميدرا باد . وانظر : مناقب أبي يزيد لأبي طيفور السهلجي ص : ١٠٣ وفيه قصة امرأة من أتباع أبي يزيد قد
حصل لها من العروج على نحو ما حدث لأبي يزيد . الكتاب ضمن مجموعة كتب حققها وقدم لها الدكتور :
عبد الرحمن بدوي تحت عنوان : شطحات الصوفية الجزء الأول : (أبو يزيد البسطامي) - مكتبة النهضة
المصرية ١٩٤٩ م القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

(٢) هو : عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، ابن سبط عبد القادر الجيلاني . من علماء
المتصوفة ، له كتب كثيرة ؛ منها الإنسان الكامل ، والمناظرة الإلهية ، وشرح مشكلات الفتوحات المكية
وغيرها . ولد سنة : ٧٦٧ هـ ، وتوفي سنة : ٨٣٢ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ١٧٥/٤ ، ١٧٦ .

(٣) انظر : ٦٥/٢ .

(٤) هكذا ! الكشف أولا ثم الخبر ، فالكشف مؤسس ، والخبر معضد .

والأوائل » .. ثم قال : « فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وألغازه ، ووعدني بعموم الانتفاع ، فقلت : طوعاً للأمر المطاع ... » ^(١) .

والإنسان الكامل عند هؤلاء هو محمد (ﷺ) وهو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع في ملابس ، ويظهر في كائنات فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ^(٢) .

ويقول ابن عربي في الفتوحات المكية : « واعلم أن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس هو عن روية وفكر ، وإنما هو عن نفث في روعي على يد ملك الإلهام » ^(٣) ويقول في موضع آخر : « فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يلقي الله عندنا من ذلك ، لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه .. » ^(٤) ويقول - أيضاً - : « فوالله ما كتبت فيه - أي الفتوحات المكية - حرفاً إلا عن إملاء الهي وإلقاء رباني ، أو نفث روحاني في روع كياني » ^(٥) ... ثم يذهب أكثر من هذا فيقول : « واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ، ولا عن نظر فكري ، وإنما الحق (تعالى) يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره ، وقد نذكر كلاماً بين كلامين ، لا تعلق له بما قبله ، ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله (تعالى) : ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة : ٢٣٨] بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة ، تتقدمها وتتأخر عنها » ^(٦) .

(١) الإنسان الكامل ص : ٤ (المخطية) .

(٢) الإنسان الكامل ٥٠/٢ ، وقارن بما في جامع الأصول للنقشبندی ص : ٩٠ .

(٣) ذكره عبد الوهاب الشعراني في كتابه : الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر وهو بهامش كتابه : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ٤/١ ، وعزاه إلى الباب السادس والستين وثلاثمائة من كتاب الفتوحات المكية ولم أعره عليه في الموضع المذكور ، وقد ذكر الشعراني أن لكتاب الفتوحات نسخاً مختلفة فلعل هذا السبب في عدم ضبط الإحالة . كتاب الكبريت واليواقيت : المطبعة الأزهرية المصرية - الطبعة الثالثة ١٣٣١ هـ مصر .

(٤) الفتوحات المكية ١٣٦/١ الباب العاشر .

(٥) الفتوحات المكية ٤٥٦/٣ الباب ٦٧٣ .

(٦) ذكره الشعراني في الكبريت الأحمر ٤/١ ، ٥ ، وعزاه إلى الباب التاسع والثمانين ، والباب الثامن =

وزعم ابن عربي أن وحي الأولياء قد يكون كتابة ، وأن ذلك يقع لكثير من الأولياء ، ذكر منهم جماعة ، منهم بقي بن مخلد ، وذكر أنه أضعف الجماعة في ذلك ، فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة ، وعلامة كون تلك الكتابة من عند الله أنها تقرأ من كل وجه ^(١) . وقد زعم الشعراني أن ابن عربي يطلعه الله (تعالى) على الفرق بين المكتوب في اللوح المحفوظ وغيره ، وبين كتابة المخلوقين ^(٢) .

المثال الرابع : ادعائهم عصمة الأولياء وعلومهم عن الخطأ والزلل :

كان من لازم ما تقدم ذكره ، أن يكون الأولياء معصومين عن الخطأ وهو ما يعبرون عنه بالحفظ ^(٣) :

يقول السهروردي : « ومن الخواطر ما هي رسل الله (تعالى) إلى العبد ، كما قال بعضهم : لي قلب إن عصيته عصيت الله » ^(٤) .

ويقول القشيري ^(٥) في الرسالة : « إن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصي والمخالفات » ^(٦) .

= والأربعين وثلاثمائة من الفتوحات ولم أعثر عليه بهذا النص ، لكنني وجدت في الباب ٣٤٨ ، ٢٠٠/٣ كلاما قريبا من ذلك ، يحتمل أن الشعراني استنتج تلك الألفاظ منه ، وقد يرجع عدم الوجدان إلى اختلاف النسخ .
(١) انظر : الفتوحات المكية ٦٣٢/٢ الباب ٢٨٥ .

(٢) انظر : اليواقيت والجواهر ٨٣/٢ ، ٨٤ ، والفتوحات المكية ٥٩/٣ ، ٦٠ الباب ٣١٥ .
(٣) انظر : كتاب مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني للشيخ محمد الخضر بن سيدي عبد الله الجكني الشنقيطي ص : ٣٠١ - دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٦ هـ مصر (بدون رقم الطبعة) .
(٤) عوارف المعارف ص : ٣٢٠ .

(٥) هو : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما .
صحب أبا علي الدقاق وغيره ، أخذ الفقه فأتقنه ، ثم الأصول على ابن فورك والأستاذ أبي إسحاق ، ونظر في كتب الباقلائي . ورجع في رفقته أبي محمد الجويني وأبي بكر البيهقي . ولد سنة : ٣٧٧ هـ وتوفي سنة : ٤٦٥ هـ .
انظر : طبقات الأولياء ص : ٢٥٧ وما بعدها ترجمة رقم : ٥٢ ، وتاريخ بغداد ٨٣/١١ ، ترجمة رقم : ٥٧٦٣ .

(٦) الرسالة القشيرية في علم التصوف لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ص : ١٦٠ عليها هوامش من شرح الشيخ زكريا الأنصاري - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ١٣٣٠ هـ مصر (بدون رقم الطبعة) .

ويقول الحكيم الترمذي ^(١) : « المحدث والمكلم إذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث النفس ، فكما أن النبوة محفوظة من إلقاء الشيطان ، كذلك محل المكاملة والمحادثة محفوظ من إلقاء النفس وفتنتها ... » ^(٢) .

ويذكر الشعراني ^(٣) أن الولي يحفظ من تلبيس الشيطان بعلامة بينه وبين الله يعرف بها الوحي الحق الإلهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني ^(٤) .

المثال الخامس : ما يزعمه الصوفية من المعارف التي تقع لهم بالكشف :

يذكر أبو حامد الغزالي أن للعالم أربع درجات في الوجود : وجود في اللوح المحفوظ ، ثم يتبعه الوجود الحقيقي ، ثم الوجود الخيالي أي الذي تقع صورته في الخيال ، ثم يتبعه الوجود العقلي يعني الذي تقع صورته في القلب .

ويذكر أنه كلما ارتفعت الحجب بين القلب وبين اللوح المحفوظ - وذلك يكون بالارتياض - رأى - أي القلب - الأشياء في اللوح المحفوظ ، وتفجر العلم منه إلى القلب ، فاستغنى عن الاقتباس بطريق الحواس ^(٥) .

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن - الحكيم الترمذي - لقي أبا تراب النخشي وهو من كبار مشايخ غراسان حدث عن : أبيه ، وسفيان بن وكيع وغيرهما . وحدث عنه : الحسن بن علي وبخى ابن منصور القاضي . قال أبو عبد الرحمن السلمي : « أخرجوا الحكيم من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر ، وذلك بسبب تصنيفه كتاب : « نغم الولاية » وكتاب : « علل الشريعة » ... » .

توفي سنة : ٣٢٠ هـ . انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص : ٢١٧ وما بعدها ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٣٦٢ ، والسير للذهبي ٤٣٩/١٣ وما بعدها ، ترجمة رقم : ٢١٦ .

(٢) عوارف المعارف ص : ٣٢٢ .

(٣) هو : أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي - نسبة إلى ابن الحنفية - الشعراني . ولد في قلقشنده بمصر . من تصانيفه : « الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية » ، « الدر المنير » ، وغيرهما . كان ينهى عن الحط على الفلاسفة وتقصيصهم ، وينفر من يذمهم ويقول : هؤلاء عقلاء . ولد سنة : ٨٩٨ هـ وتوفي بالقاهرة سنة : ٩٧٣ هـ . انظر : شذرات الذهب ٣٧٢/٨ وما بعدها ، حوادث سنة : ٩٧٣ هـ ، والأعلام للزركلي ٣٣١/٤ ، ٣٣٢ .

(٤) انظر : اليواقيت والجواهر للشعراني ٨٧/٢ .

(٥) انظر : إحياء علوم الدين ٢١/٣ .

وقد تقدم كلام الغزالي في كون القلب مستعداً لأن تنجلي فيه حقيقة الحق ومعرفة علوم اللوح المحفوظ ، وأن ذلك يكون تارة يقظة وتارة مناما ^(١) .

ويذكر الشعراني أن الأولياء يصلون إلى العلم بأحوال السموات وذلك بانجلاء قلوبهم ، كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار بحكم الإرث لرسول الله ﷺ (في ذلك) ^(٢) .

المثال السادس : الشريعة والحقيقة عند المتصوفة :

الحقيقة من أعظم غايات المتصوفة ، فعندها يشهدون القدر وقيمون العذر ، ويسقطون الأمر :

فالحقيقة - عندهم - هي أن ترى الله هو المتصرف في خلقه : يهدي ويضل ، يعز ويذل ، ويفوق ويخذل ، ويولي ويعزل ، فالخير والشر ، والنفع والضر ، والإيمان وكفر ، والفوز والخسران ، والجهل والعرفان ، والزيادة والنقصان بقضائه وقدره ، وحكمه ومشيبته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ^(٣) .

والشريعة ما ورد به التكليف من الأمر والنهي ، والإباحة والحظر .

وعند القوم : الشريعة بواسطة الرسل ، والحقيقة تقريب بلا واسطة ، وربما يشار بالشريعة إلى الواجبات والأمر والزجر ؛ وبالحقيقة إلى المكاشفات والمشاهدات ؛ فالشريعة وجود الأفعال والحقيقة شهود الأفعال ؛ والشريعة أن تعبد (تعالى) ، والحقيقة أن تشهده ... ^(٤) .

وقالوا : الحقيقة نتيجة الطريقة ، والطريقة نتيجة الشريعة ، أي : شريعة فطريقة ، فحقيقة ^(٥) .

(١) انظر : إحياء علوم الدين ١٨/٣ ، ١٩ .

(٢) انظر : اليواقيت ٨٨/٢ .

(٣) انظر : جامع الأصول للنقشبندی ص : ٤٢ .

(٤) انظر : جامع الأصول ص : ٤٢ .

(٥) انظر : جامع الأصول ص : ٤٣ .

فالسالك يلتزم الشريعة أولاً ، ثم ينتقل حكم الأوراد إلى الواردات ، فيستغني بالوارد عن الورد ، وبالحقيقة عن الرسوم ، وبالمعاني عن الصور ، فيخلص من رق التكليف المختص بالعلم ، ليقوم بالحقيقة التي يقتضيها الحكم ^(١) .

ولهذا قيل : إنك مع العالم في تعب ، ومع العارف في راحة ، لأن العارف يبسط لك العذر ، والعالم يضع عليك اللوم ، وقد قيل : من نظر إلى الناس بعين العلم مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم ^(٢) .

والرسول (ﷺ) - عند المتصوفة - هو صاحب الشريعة ، والخضر (العبد الصالح) هو صاحب الحقيقة ، وهو إمام الأولياء ، أصحاب المكاشفات ؛ منه يستفيدون علومهم . ولما كان الخضر أعلم من موسى ، وهو ذلك العبد الصالح ، فكذلك الأولياء من أمة محمد (ﷺ) أعلم من محمد (ﷺ) فالولي له علم الحقيقة ، والرسول له علم الشريعة ، وعلى ذلك فما يكون معصية في الشريعة ، قد يكون طاعة وقرية في الحقيقة الصوفية ^(٣) ، .. يوضح ذلك :

المثال السابع : أحوال الصوفية ومكاشفاتهم هي الميزان :

عرض أبو حامد الغزالي أحوال الناس في مسائل الاعتقاد ^(٤) فذكر أن الأشاعرة أولوا بعض الصفات ومنعوا في غيرها ، ثم زاد المعتزلة في تأويل الصفات حتى أولوا الرؤية ، والمعراج ، وعذاب القبر ، والميزان والصراط ، وجعله من أحكام الآخرة ، ثم زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة ، وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ، ولذات عقلية وروحانية ، وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس ، وهؤلاء هم أهل الإسراف ، وكان قد ذكر قبل ذلك جمود الحنابلة في منع التأويل ، ثم قال أبو حامد عقب ذلك كله : « وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض ، لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي ، لا بالسماع

(١) انظر : مدارج السالكين ١٦٦/٣ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ١٦٦/٣ .

(٣) انظر : الفكر الصوفي ص : ١٣٣ .

(٤) انظر : إحياء علوم الدين ١٠٣/١ ، ١٠٤ .

(الكتاب والسنة) ، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع (الكتاب والسنة) والألفاظ الواردة ؛ فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه ، وما خالف أولوه . فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف ^(١) .

وعليه ، فإنه إذا تعارض حال الولي مع مقال الشرع ، فحال الولي هو المقدم ، ولا يجوز الإنكار عليه ، بل يقر له بالتحقيق كما أقر موسى (صاحب الشريعة) إلى الخضر (صاحب الحقيقة) :

يقول أبو علي بن سينا : « إن للعارفين مقامات ودرجات يخصصون بها في حياتهم الدنيا ، دون غيرهم ... ولهم أمور خفية فيهم ، وأمور ظاهرة عنهم ، يستنكرها من ينكرها ، ويستكبرها من يعرفها ... » ^(٢) .

ويقول محمد بن علي السنوسي ^(٣) : « أهل علم اليقين المجدين في النسك والعبادة فاقدين الفتح ، وهؤلاء حسبهم لزوم أمر الشيخ والتزام آدابه في جميع شئونه معظما له ، مغنيا مراده في مراده كالميت في يد غاسله ، حاذرا أشد الحذر أن يزن أعمال شيخه وأحواله وإن كانت مخالفة للشرع ، وليستعن على ذلك باستحضار حال موسى والخضر (عليهما السلام) فإن الإنكار هو الكسر بدون انجبار ... » ^(٤) .

ويقول السنوسي في درجة أهل حق اليقين : « وهم الراسخون من أهل التمكن كفاهم عن طلب الأحكام ما آتاهم ربهم من العلوم الدافقة على سرائرهم المطابقة

(١) إحياء علوم الدين ١/١٠٤ .

(٢) الإشارات والتنبيهات ص : ١٩٨ .

(٣) هو : أبو عبد الله السنوسي الخطابي الإدريسي ، زعيم الطريقة السنوسية الأول ومؤسسها ، ولد في مستغمام من أعمال الجزائر ، وتعلم بفاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي ، وزار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة ، وبنى زاوية له بجبل أبي قيس ، ثم رحل إلى برقة وأقام في الجبل الأخضر وبنى الزاوية البيضاء ، ولما انتشرت طريقته ارتابت الحكومة العثمانية في أمره ، فانتقل إلى واحة جغوب فأقام بها إلى أن توفي سنة : ١٢٧٦ هـ ، وله نحو أربعين كتابا ورسالة منها : « الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية » ، وه إيقاظ الوستان » وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي ١٩٢/٧ .

(٤) كتاب إيقاظ الوستان في العمل بالحديث والقرآن لمحمد السنوسي ص : ١٠٥ ، ١٠٦ - المطبعة الثعالبية ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م - الجزائر (بدون رقم الطبعة) .

لعين ما شرعه على لسان رسوله : تنزلا لا نزولا يقتضي شرعا أو نبوة ، فكان بعضهم يقول : حدثني قلبي عن ربي ، وبعضهم يسأل عن الشيء ، فيقول حتى أسأل عنه جبريل ... فحكمهم بما كشفوا ، وعلمهم ما من بحر المواهب اغترفوا ، فطريقهم عن التقليد شاسعة ، ومناهج يقينهم واسعة ، وكيف يقلد من امتطى من اليقين داره ... وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

ومن يسمع الأخبار من غير واسط حرام عليه سماعها بالوسائط ^(١)

المثال الثامن : دعوى الصوفية رؤية النبي (ﷺ) يقظة ومناما والأخذ

عنه :

ذكر عبد الكريم الجيلي أن النبي (ﷺ) يظهر للعارف في صورته الحقيقية وفي صور شتى ، وأنه ظهر في صورة شيخه شرف الدين إسماعيل الجبرتي ^(٢) ، وأنه (ﷺ) ظهر في صورة الشبلي ^(٣) فقال الشبلي لتلميذه : أشهد أني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ... ^(٤) .

ومن يدعى رؤية النبي (ﷺ) يقظة أحمد التجاني ^(٥) ، وأنه (ﷺ) أمده بالورد الذي ادخره له ولم يعلمه أحدا من أصحابه ، وزعم أن النبي (ﷺ) نهاه عن التوجه بالأسماء الحسنی ، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح ^(٦) .

(١) إيقاظ الوسنان للسوسني ص : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) لم أجد من ترجم له .

(٣) هو : أبو بكر دلف بن محمد بن جحدر - وقيل : ابن جعفر . الشبلي الخراساني الأصل ، البغدادي المولد والمنشأ ، مالكي المذهب صاحب الجيد وطبقته . توفي سنة : ٣٣٤ هـ . انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٢٠٤ وما بعدها ترجمة رقم : ٤٠ وشذرات الذهب ٣٣٨/٢ حوادث سنة : ٣٣٤ هـ .

(٤) انظر : الإنسان الكامل ٥٠/٢ الباب الستين .

(٥) هو : أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني شيخ الطائفة التجانية بالمغرب ، كان فقيها مالكيا عالما بالأصول والفروع ملما بالأدب ، وبعض أصحابه كتب في سيرته منها : جواهر المعاني ولد سنة : ١١٥٠ هـ ، وتوفي سنة : ١٢٣٠ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٢٣٢/١ .

(٦) انظر : جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعل حراز بن العربي براده ١٠٩/١ ، ١١٩ ، وانظر : ١١٤/١ وما بعدها (وبهامشه : كتاب رماح حزب الرحيم على نحور =

وممنهم من يزعم أنه يتوجه إليه (ﷺ) بقلبه فيسأله ويحييه :

قال الشعرائي : « ومن القوم طائفة إذا لم يجدوا لذلك العلم دليلاً من سنة النبي (ﷺ) الثابتة في كتب الشريعة ، يتوجهون بقلوبهم إليه (ﷺ) ، فإذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك ، وعملوا بما قال لهم ، إلا أن مثل هذا خاص بأكابر الرجال . فإن قيل : فهل لصاحب هذا المقام أن يأمر الناس بما أمره رسول الله (ﷺ) أم لا ؟ فالجواب : لا ينبغي له ذلك ، لأنه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل ، ومن أمر الناس بشيء زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلف الناس شططاً ، اللهم إلا أن يختار أحد ذلك ، فلا حرج كما هو شأن مقلدي المذاهب المستنبطة من الكتاب والسنة » (١) .



= حزب الرقيم لعمر بن سعيد الفوقي (دار الجيل ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م بيروت) بدون رقم الطبعة) .
وانظر : مشتهى الخارف ص : ٥٢ ، ٦٥ ، والأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية لعبد الرحمن بن يوسف الأفرقي ص : ٢١ ، ٢٦ بتعليق وتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري طباعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤ هـ - الرياض (بدون رقم الطبعة) .

ونص صلاة الفاتح : « اللهم صل على سيدنا محمد محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » . انظر : التجانية : دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة - لعلي بن محمد الدخيل الله ص : ١١٦ - دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(١) تنبيه المخترين - أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر . لعبد الوهاب بن أحمد ابن علي - المعروف بالشعرائي - ص : ١٠ ، ١١ ، وفي ذيله الكشف والتبيين ... للغزالي (بدون معلومات) .

المبحث الثالث

موقف أهل السنة والجماعة من المعرفة الصوفية

تمهيد :

لقد بينت في المبحثين السابقين جوانب من علوم المتصوفة وكيف اعتمدوا الكشف مصدرا لهذه العلوم ، عنه يصدرزون وبه يتحاكمون ، وأنهم على اتصال مباشر مع الله (تعالى) الأمر الذي يجعل لعلومهم عصمة وحفظا لا يناها القدح ، ولا الاعتراض ، وأنهم - أيضا - قد استفادوا جوانب من علومهم من النبي (ﷺ) بعد موته ، وقد تم لهم ذلك يقظة لا مناما :

فالخاصل أن علوم المتصوفة - كما يزعم أصحابها - تستفاد من غير طريق الشرع ، ولا يجوز أن توزن به ، كيف وقد أخذوها من الله (تعالى) إما كفاحا ، أو إلهاما ، أو من الرسول (ﷺ) - بعد موته - يقظة ، فحالمهم مع الشرع كحال الخضر مع موسى ، هكذا يزعمون .

وفي هذا المبحث (الثالث) بيان موقف أهل السنة والجماعة من هذا المذهب الخطير ، والذي حاول أعداء الإسلام أن يبطلوا به أحكام الشرع ، ويدكوا حصونه ، وقد جعلت هذا الموقف في مقامات :

المقام الأول : الميزان الصحيح :

لا ريب - عند المؤمنين - أن الحق الذي لا يشوبه باطل : الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وبإزاء ذلك الإلهامات والمنامات والإسرائيليات والحكايات ونحو ذلك ، ففيها الحق والباطل ، ويعرف ذلك بعد عرضها على الوحي (الكتاب والسنة) فما زكاه منها قبل ، وإلا رد على صاحبه مهما كان القائل به ... (١) .

فالؤمن هو الذي يستغني بالرسالة ، ويكتفي بالنبي (ﷺ) فيتبعه اتباعا عاما مطلقا غير مشروط ، وأما غيره فيتبع بشرط موافقته للشرع ؛ ولهذا وجب

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٩ .

عند التنازع والاختلاف : الرد إلى الله ورسوله (الكتاب والسنة) ، وكذلك يجب رد الأحوال والأذواق والمكاشفات ونحوها إلى الكتاب والسنة ، ووزنها بميزان الشرع ، فمن لم يبن على هذا الأصل العظيم ، عمله وعلمه وسلوكه وجميع أمره ، فليس من الدين في شيء ^(١) ، قاله (تعالى) يقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، وقال (تعالى) : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ويقول : ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقد ذكر العلامة ابن القيم (رحمه الله) أن منشأ ضلال من ضل من المتصوفة جعلهم الذوق والوجد والحال ونحو ذلك حاكماً يتحاكمون إليه فيما يسوغ ويمتنع ، وفيما هو صحيح وفاسد ، فجعلوه محكاً للحق والباطل ، حتى نبذوا لذلك موجب العلم والنصوص ، فعظم وتفاقم الفساد والشر ، وطمست معالم الإيمان والسلوك المستقيم ، وانعكس السير ؛ فكان إلى الله ، فصيروه إلى النفوس ؛ فالمحجوبون عن أذواقهم ومواجيدهم يعبدون الله ، وهؤلاء (المدعون الكشف والذوق) يعبدون أنفسهم ... ^(٢) .

فالشريعة حاكم ، لا محكوم عليها ، ولو كان ما يقع من الخوارق والمكاشفات والأحوال ونحوها حاكماً عليها بتخصيص عام ، أو تقييد مطلق ، أو تأويل ظاهر ، أو نحو ذلك ، لكان غيرها حاكماً عليها ، وصارت هي محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق ^(٣) .

بل اتفق أولياء الله (تعالى) على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لا نغتر به حتى ننظر متابعتة لرسول الله (ﷺ) وموافقتة لأمره ونهيه ^(٤) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٦/١٩ ، ومدارج السالكين ٤٩٦/١ ، وقطر الولي على حديث الولي محمد علي الشوكاني ص : ٢٧٨ تحقيق : د / إبراهيم إبراهيم هلال - دار الكتب الحديثة مطبعة حسان - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

(٢) انظر : مدارج السالكين ٤٩٤/١ ، ٤٩٥ .

(٣) انظر : مشنبي الخارف ص : ٨١ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٤/١١ ، ومشنبي الخارف ص : ٢٦٧ .

وقال أبو حفص الحداد ^(١) : « من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال » ^(٢) .

والمقصود هنا بيان أن الشرع هو الحاكم والميزان والمزكي ، وأن كل الأقوال والاعتقادات والأحوال مردودة مرفوضة إلا ما قبله الشرع منها وزكاه ، ومن عكس انعكس قلبه وانعكس إيمانه ...

المقام الثاني : المتابعة الصحيحة للشرعة تقتضي إلهامات وأحوالا صادقة :

إن المؤمن إذا صحت معرفته بالله ورسوله ودينه ، وصدقت متابعته للشرع ظاهرا وباطنا ، يفتح الله عليه بما لا يفتح على غيره ، من إلهامات صحيحة ، وفراسات صائبة ، وأحوال صادقة :

قال (تعالى) : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا وَإِذَا لَأَنبَيْهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ٦٦ - ٦٨]
وقال (تعالى) : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ^(٣) .

وجاء في صفة الدجال : « مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرؤه كل مؤمن ؛ كاتب وغير كاتب » ^(٤) قال ابن تيمية (رحمه الله) : « فدل على أن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره ، ولا سيما في الفتن ، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله ... وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له ، وعرف حقائقها

(١) هو : عمرو بن سلمة النيسابوري ، كان عجا في الجود والسماحة ، انتمى إليه شاه الكرماني وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل ، ومن أقواله : « ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح » وسئل عن البدعة فقال : « التعدي في الأحكام ، والتهاون بالسنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاقتداء والاتباع » توفي سنة : ٢٧٠ هـ وقيل سنة : ٢٦٧ هـ ، وقيل : ٢٦٥ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٥٠/٢ حوادث سنة ٢٦٥ ، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص : ١١٥ وما بعدها .

(٢) شذرات الذهب ١٥٠/٢ ومشتبه الخارف ص : ٢٦٧ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٥/١٣ .

(٤) صحيح مسلم ٢٢٤٩/٤ كتاب الفتن وأشرط الساعة - باب ذكر الدجال وصفته وما معه .

الحديث على الرقم : ٢٩٣٤ .

من بواطلها ، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف .. » (١) .

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : « اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة » (٢) .

وقال أبو عثمان النيسابوري (٣) : « من أَمَرَ السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أَمَرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ؛ لأن الله (تعالى) يقول في كلامه القديم : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] » (٤) .

وقال شاه الكرمانى (٥) : « من غض بصره عن المحارم ، وأمسك نفسه عن الشبهات ، وعَمَّرَ باطنه بدوام المراقبة ، وظاهره باتباع السنة ، وعود نفسه أكل الحلال لم تخطيء له فراسة » (٦) .

المقام الثالث : خرق العادة لا يدل على الولاية :

قد يظهر شيء - مما يظن أنه كرامة - على يد أهل الرياضة ، وترك الاستكثار من الطعام والشراب ، والملازمين للسهر والخلوات ، وذلك على ترتيب معلوم ، وقانون معروف لديهم .. فيحصل للواحد منهم نوع صفاء من الكدورات البشرية ،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٥/٢٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٣/١٠ ، ٤٧٤ .

(٣) هو سعيد بن سلام المغربي نزيل نيسابور شيخ الصوفية سافر وحج وجاور مدة ، ولقي مشايخ مصر والشام . قال السلمي : « لم نر مثله في علو الحال وصون الوقت » من أقواله : « علوم الدقائق علوم الشياطين ، وأسلم الطرق من الاغترار لزوم الشريعة » توفي سنة : ٣٧٣ هـ . انظر : السير للذهبي ٣٢٠/١٦ ، ٣٢١ ترجمة رقم : ٢٢٨ وطبقات الصوفية للسلمي ص : ٤٧٩ وما بعدها ، وتاريخ بغداد ١١٢/٩ ، ١١٣ ترجمة رقم : ٤٧٢٠ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٨٠/١ باب أدب الطلب ، وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٠/١١ ، وقطر الولي ص : ٢٥٢ .

(٥) هو : أبو الفوارس شاه بن شجاع ، من أولاد الملوك ، صحب أبا تراب النخشي وأبا عبيد اليسري ، له المثلة التي سماها : مرآة الحكماء . مات قبل سنة : ٣٠٠ هـ . انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص : ١٩٢ وما بعدها ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٦) طبقات الأولياء ص : ٣٦١ ، ومشتبه الخارف ص : ٢٦٨ ، وقواعد التحديث للقاسمي ص : ١٤٩ .

حتى يدرك ما لا يدركه غيره ، فيخير بموت فلان الغائب ، أو يقدمه في وقت كذا ، ونحو ذلك ، وليس في هذا ما يدل على أنه كرامة ، أو أنه ولي لله ، بل يتفق ذلك لكثير من المرتاضين ، من كفره الهند وغيرهم ^(١) .

بل قد يحصل على لسان بعض المجانين شيء من ذلك ، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة ، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسات ، مخالط للقاذورات ، فيغتر به من جهل حاله ، فينسبه إلى أولياء الله المقربين ، وهو في الحقيقة معذور قد رفع عنه قلم التكليف ، فليس هو وليا لله ولا عدوا له ^(٢) .

وقال ابن سينا : « إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا أو حركة تخرج عن وسع مثله ؛ فلا تتلقه بكل ذلك الاستنكار ، فلقد تجد إلى سببه سبيلا في اعتبارك مذاهب الطبيعة » ^(٣) .

وقال - أيضا - « إذا بلغك أن عارفا حدث عن غيب فأصاب متقدما يبشرى أو نذير ، فصددق ، ولا يتعسر عليك الإيمان به ، فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسبابا معلومة » ^(٤) .

فهذا مما يؤكد أن تلك الخوارق قد ينالها الكافر بأسباب طبيعية ، لا تدل على ولاية ولا كرامة .

وقد قسم أهل العلم الفراسة إلى ثلاثة أقسام ^(٥) ، وذكرها منها الفراسة الرياضية ، وأنها تحصل بالجوع والسهر والتخلي ، وأنها مشتركة بين المؤمن والكافر ، لا تدل على ولاية ، ولا تكشف عن حق نافع ، ولا عن طريق مستقيم .

(١) انظر : مدارج السالكين ٤٧/١ ، ٤٨ ، وقطر الولي ص : ٢٥٣ ، والتكليف بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي الجاني ٢/٢٣٨ ، ٢٣٩ بتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني - طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض .

(٢) انظر : قطر الولي ص : ٢٥٤ . وقد شاهدت من أمثال هؤلاء في بلادي وهو مضيق للصلوات ، تارك للواجبات ، رث الثياب ، ملازم للنجاسات ومع ذلك يدعي الولاية أو تدعى له !! .

(٣) الإشارات والتنبيهات ص : ٢٠٨ .

(٤) الإشارات والتنبيهات ص : ٢٠٩ .

(٥) انظر : شرح الطحاوية ص : ٥٠٠ .

فإذا كانت هذه الخوارق تقع من المسلم ومن الكافر ، وتعدد أسبابها ، وتختلف مصادرها : فقد تكون من الله ، أو من نفس الإنسان ، أو من الشيطان ، لم يكن في وقوعها من شخص ما دليل على ولايته وصلاحه ، كما أنه لا يضر المسلم عدمها ، فمن لم تنكشف له شيء من الغيبات ، أو لم تسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دنياه وآخرته ^(١) .

لكن الدين إذا صح علما وعملا فإنه يوجب خرق العادة - كما مر - إذا احتاج إلى ذلك صاحبه ، كما قال (تعالى) : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] ^(٢) .

المقام الرابع : أفضل كرامة : متابعة النبي (ﷺ) ظاهرا وباطنا :

تبين في المقام الثالث أن مجرد خرق العادة بكشف ونحوه لا يدل على صلاح الرجل وولايته ، بل خرق العادة يحصل لأولياء الله ، كما يحصل لأعدائه .. وهنا نريد أن نقرر أن أعظم كرامة يجب على السالك السعي إلى تحصيلها هي كمال المتابعة للنبي (ﷺ) ظاهرا وباطنا ، فالعبد العارف هو الذي تتحد إرادته بإرادة الله الشرعية ، بحيث لا يريد إلا ما يريده الله منه ، رضا به ، والتزاما له ، ودعاء إليه ، فلا يحب إلا ما يحبه الله (تعالى) ، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله (تعالى) ... ^(٣) .

فأفضل الكشف وأجله أن يكشف للسالك عن طريق الشريعة ليستقيم عليها ، وعن عيوب نفسه ليصلحها ، وعن ذنوبه ليتوب منها ، فما أكرم الله الصادقين بكرامة أعظم من هذا الكشف ^(٤) .

فالمكاشفة ليست شرطا في تحقيق الولاية والإيمان الصادق ، بل الاستقامة من أعظم شرائط الولاية والإيمان ، قال (تعالى) : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ *

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٣/١١ ، وشرح الطحاوية ص : ٤٩٨ .

(٢) انظر : شرح الطحاوية ص : ٤٩٩ .

(٣) وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٧/١١ .

(٤) انظر : مدارج السالكين ٢٢٨/٣ .

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس : ٦٢ ، ٦٣] فلم يذكر لهم شيئا أحسن من الوصف بالإيمان والتقوى .

قال أبو علي الجوزجاني ^(١) : « كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ، وريك يطلب منك الاستقامة » ^(٢) .

وقال أبو العباس بن عطاء ^(٣) : « من ألزم نفسه آداب الله نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب (عليه الصلاة والسلام) في أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه » ^(٤) .

ويقول الشعراني : « أكمل الإلهام أن يلهم الرجل اتباع الشرع ، والنظر في الكتب الإلهية ، ويقف عند حدودها وأوامرها ... » ^(٥) .

(١) هو الحسن بن علي من كبار مشايخ خراسان ، له تصانيف . تكلم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات . من أقواله : « الطرق إليه - يعني إلى الله - كثيرة ، وأصح الطرق وأعمرها وأبعدا عن الشبه اتباع السنة قولاً وفعلًا وعزماً وعقداً ونية . لأن الله يقول : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] . وقيل له : كيف الطريق إلى اتباع السنة ؟ فأجاب بقوله : « بجانب البدع ، واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريق الاعتناء بمن سبقك . قال (تعالى) : ﴿ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل : ١٢٣] . لم أقف على تاريخ وفاته لكنه صاحب الحكيم الترمذي وكانت وفاة الأخير سنة : ٣٢٠ هـ .

انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص : ٢٤٦ - ٢٤٨ ، والطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني ١٠٥/١ - دار الطباعة الميرية المصرية ١٢٧٦ هـ بولاق (بدون رقم الطبعة) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٠/١١ ، وشرح الطحاوية ص : ٤٩٦ .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي صاحب الجند وغيره ، وكان الخزاز يعظم شأنه ، حدث عن يوسف القطان والمفضل بن زيد وغيرهما ، وقد كان موافقا للحلاج في بعض اعتقاده ، فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب البليغ على شذقيه ، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخره ، ثم مات بعدها بسبعة أيام . توفي سنة : ٣٠٩ هـ . انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٤٤/١١ .

حوادث سنة : ٣٠٩ ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٥٩ - ٦١ ترجمة رقم : ١٤ .

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٥٩ ، ٦٠ ، ومشتبه الخارف ص : ١٦٨ .

(٥) مشتبه الخارف ص : ٢٧٠ .

ثم إن الخارق - المكاشفة - قد يقع للمؤمن لنقصان درجته وضعف يقينه ، أما من كوشف بصدق اليقين - يقين المعرفة الشرعية - ورفع عن قلبه حجاب الشبهة والشهوة ، أغناه ذلك عن معاناة الخوارق ، بل الحكمة لا تقتضي حصولها لمن هذا حاله ، وإنما تحصل للأول حاجته إليها ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فسيبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي كل الكرامة ، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع ، فما يبالي ، ولا ينقص بذلك ، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة » ^(٢) .

وقال تلميذه ابن القيم (رحمه الله) : « الكشف الصحيح أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، معاناة لقلبه ، ويجرد إرادة القلب له ، فيدور معه وجودا وعدمًا ، هذا هو التحقيق الصحيح ، وما خالفه فغرور قبيح » ^(٣) .

المقام الخامس : مرتبة الوحي أعظم وأشرف من مرتبة الكشف والإلهام ونحوهما :

عدد ابن القيم (رحمه الله) مراتب الهداية ، وأوصلها إلى عشر مراتب ، ذكر في مقدمتها : التكليم ، والوحي ، وإرسال الملك ، وجعل هذه الثلاث خاصة بالأنبياء لا يشركهم فيها أحد من الأولياء . ثم ذكر في المرتبة الرابعة : مرتبة التحديث ، وفي المرتبة التاسعة : الإلهام ، والرؤية في المرتبة العاشرة ... ^(٤) .

فهذا يبين أن مرتبة الوحي وعلم الشريعة - التي مصدرها الوحي - أفضل وأشرف من مرتبة التحديث والإلهام وغيرها من مصادر العلم ، ويتضح ذلك بوجوه ^(٥) :
الأول : أن علم الشريعة خبرا وطلبا لا ينال إلا من جهة الوحي الذي طريقه

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢١/١١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢١/١١ .

(٣) مدارج السالكين ٢٢٦/٣ .

(٤) انظر : مدارج السالكين ٣٧/١ وما بعدها .

(٥) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٢٧/١١ وما بعدها .

الرسول (ﷺ) ، وأما العلم بالمكاشفات ونحوها فأسبابه كثيرة ، ومعلوم أن ما اختص به الرسول وورثته أفضل مما يشركهم فيه بقية الناس .

الثاني : أن الشريعة لا يعمل بها إلا المؤمنون الصالحون الذين هم أهل الجنة وأحباب الله وصفوته وأوليأؤه ، ولا يأمر بها إلا هم ، وأما المكاشفات ونحوها فقد تقع من كافر ومنافق وفاجر ، فما كان من العلم مختصا بالصالحين فهو أفضل مما يشترك فيه المصلحون والمفسدون .

الثالث : العلم بالشريعة والعمل به ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، ويدفع عنه مضرة الدنيا والآخرة من غير حاجة معه إلى الكشف ونحوه ، وأما العلم بالكشف وغيره إن لم يقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ؛ أما في الآخرة فلعدم الدين ؛ وأما في الدنيا فلأن الإنسان يعرض نفسه ، ودينه ، وجسمه ، وقلبه ، وعقله ، وأهله وماله لمخاطرات ، لا يضمن حسن العاقبة معها ، فكم منهم من ذهب عقله وماله ، وأشقى نفسه من غير حصول مطلوبه .

الرابع : إن الدين إذا صح علما وعملا فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه ، كما قال (تعالى) : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] وليس العكس ، أعني أن خرق العادة لا يدل على صحة الدين علما وعملا .

الخامس : أن المقصود من الوحي والشرع مراعاة حق العبودية وإقامتها وقد أمر بذلك الشارع ، ومقصود المتصوفة من الكشف ونحوه مشاهدة الربوبية ، ولم يأمر بها الشارع ، ومن المعلوم أن مراعاة ما أمر به الشارع أولى من مراعاة ما لم يأمر به .

المقام السادس : إلهام الأنبياء ليس كإلهام غيرهم :

ما يحصل للأنبياء مما يلقيه الله (تعالى) في قلوبهم من إلهام وكشف ونحوهما ، يخالف حكمه حكم ما يحصل لغيرهم من عامة المؤمنين ، وذلك لكون الأنبياء معصومين ، بخلاف غيرهم :

قال صاحب مراقي السعود (١) :

« وينبذ الإلهام بالعراء أعني به إلهام الأولياء
وقد رآه بعض من تصوفا وعصمة النبي توجب اقتفا »

ولهذا فإن الأنبياء يجب تصديقهم في كل ما يخبرون به ، وطاعتهم في كل ما يأمرهم به ، وغيرهم بخلاف ذلك ، بل لابد من عرض أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم على الكتاب والسنة ، فيقبل منها الموافق للشرع ، ويرد المخالف له ، وإن كان صاحبه من أولياء الله ، فيكون مغفورا له خطؤه ، إذا اتقى الله ما استطاع (٢) .

قال الإمام الشاطبي (رحمه الله) : « لابد من التفريق بين الرسول وبين آحاد أمته في الحكم بالرؤيا والكشف ؛ لأن مع الرسول العصمة ، والمعجزة الدالة على صدقه ، وليس ذلك لأحد من أمته ، بل يجوز عليهم الغلط والنسيان والخطأ ، ويجوز أن تكون رؤياهم حلما ، وكشفهم غير حقيقي . وإن اعتبر صدقه ، فالخطأ والوهم وارد ، وما كان هذا شأنه لا يصح أن يقطع به حكم » (٣) .

المقام السابع : الذوق والوجد يرجع إلى حب الإنسان واعتقاده :

كل إنسان له نفس متحركة في طلب محابها ولذاتها ، ولكل إنسان اعتقادات وإرادات ، ونفسه تطلب تذوقها ، فما يشاهده الإنسان في نفسه وقلبه ، وما يتخيله - وقد يراه شخصا أمامه ، وقد يسمع صوته في نفسه أو في سمعه - يكون نتيجة تلك الاعتقادات ، ولهذا كان كل إنسان يذوق ويجد معتقداته وإراداته ؛ كل بحسبه : فصاحب وحدة الوجود يذوق ويجد ما يناسبه ، والنصراني - كذلك - يذوق ويجد ما يناسبه ، وهكذا كل صاحب نحلة وملة ... يذوق ويجد ما يناسب نحلته وملته (٤) .

(١) ص : ٢٨٨ من شرح مراقي السعود لمحمد الأمين الشنقيطي ، وأضواء البيان ١٥٩/٤ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٨/١١ .

(٣) انظر : الموافقات ٨٣/٤ ، ٨٤ .

(٤) انظر : مدارج السالكين ٤٩٥/١ ، ٤٩٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٧٣/١٣ ، والتكثير

للمعلمي ٢٤٢/٢ .

ومن أهل السلوك من يقول : إنه يخاطب في باطنه على لسان الشاهد ، فيجد في نفسه مخاطبة ، وذلك لأنه يتمثل ما يحبه في نفسه ، وربما كان الشيطان يتمثل في صورة ذلك المحبوب ، فيخاطبه بأشياء يزعم أنها من جهة المحبوب ، وقد يخاطبه الشيطان بأشياء حسنة رشوة منه له ، ولا يخاطبه بما يعرف أنه باطل ، لئلا ينفر منه ، بل بما يرى أنه حق ^(١) . وما كان هذا حاله من العلوم فكيف يجعل مصدرا للعلم والهداية ، أو يعارض به ما جاءت به الأنبياء !؟

المقام الثامن : الإلهام دليل خاص :

إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة ، فلم ير فيها ترجيحاً ، ثم غلب على قلبه إرادة معين ، معتقداً أنه الأقرب إلى مرضاة الله (تعالى) ، والأليق بكليات الشرع ، كان هذا ترجيحاً شرعياً في حقه وقد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة ، والأحاديث الضعيفة ، والظواهر والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف ^(٢) .

وكثير من أهل الإيمان والصدق يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام ، وأن هذا الرجل كافر أو فاسق ، من غير دليل ظاهر ، بل بما يلقي الله في قلبه ؛ فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المتقين ^(٣) . لكن هذا يعد أمراً خاصاً لا يتعدى المكاشف أو الملهم ، بل يحكم به في خاصة نفسه ، ولا يلزم به غيره لعدم قدرته على إقامة الدليل على صحة كشفه أو إلهامه ^(٤) .

ولهذا قال غير واحد : الإلهام ليس بحجة على الغير ، ولا يثبت به حكم شرعي ^(٥) . وقال العطار في حاشيته على المحلى عند قوله : « إنه حجة في حقه » قال :

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١١/١٠ ، ٦١٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٢/١٠ ، ٤٧٣ ، ٤٢/٢٠ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧/٢٠ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٧٧/١٠ ، ٦٥/١١ ، والعقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن

حبنكة الميداني ص : ٤٩ - الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م (بدون اسم المطبعة وبلدها) .

(٥) مشنّى الحارث ص : ٢٧٠ .

« أي في حق الملهم دون غيره ، بذلك صرح الشيخ شهاب الدين السهروردي ،
ومال إليه التفتازاني في بعض مصنفاته » ^(١) .

شبهة وجوابها :

ولا يفهم من هذا أن الإلهام حجة في حق صاحبه يستغني به عن النظر في
الدليل الشرعي ، فضلا عن معارضته به ، كما يفهمه بعض الجهلة مستدلين على
ذلك بمثل حديث وابصة وفيه : « استفت قلبك وإن أفنك الناس وأفنوك » ^(٢)
وحديث : « دع ما يريك إلى ما لا يريك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب
ريبة » ^(٣) وحديث : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع
عليه الناس » ^(٤) فزعموا أن في هذه الأحاديث وأمثالها الرجوع في الأحكام إلى
ما يقع في القلب ويعرض بالخاطر ، وأن الإقدام والإحجام معلق بحالة القلب من
طمأنينة وريبة .. ^(٥) .

الجواب : (٦)

كل مسألة من المسائل الشرعية المراد الحكم عليها تفتقر إلى نظرين : نظر في
دليل الحكم ، ونظر في مناطه :

أما النظر في دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة وما يرجع

(١) حاشية العطار ٣٩٨/٢ .

(٢) انظر : مسند الإمام أحمد ٢٢٧/٤ ، ٢٢٨ وفيه أكثر من رواية منها : قوله (ﷺ) : « ... استفت قلبك ، واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما اطمانت إليه النفس ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفنك الناس وأفنوك » . وانظر : سنن الدارمي ٢٤٥/٢ ، ٢٤٦ .

(٣) ذكره البخاري معلقا عن حسان بن أبي سنان ، من غير قوله : « فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » ٢٩١/٤ كتاب البيوع - باب تفسير المشبهات - ورواه الترمذي في سننه كاملا عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) ٢٠٥/٧ . كتاب صفة القيامة - باب أعقلها وتوكل - حديث رقم : ٢٥٢٠ ، وقال أبو عيسى : « وهذا حديث حسن صحيح » .

(٤) صحيح مسلم ١٩٨٠/٤ كتاب البر والصلة ... باب تفسير البر والإثم حديث رقم : ٢٥٥٣ .

(٥) انظر : مشنئ الخارف ص : ٨٣ ، ٨٤ ، والاعتصام ١٥٣/٢ - ١٥٤ .

(٦) انظر : الاعتصام للشاطبي ١٦٠/٢ وما بعدها ، وانظر : أضواء البيان ١٦١/٤ ، ١٦٢ .

إليهما من إجماع أو قياس أو غيرها ، ولا يعتبر في ذلك طمأنينة النفس ، ولا نفي
الريبة عن القلب إلا من جهة اعتقاد كون هذا الدليل دليلاً أو غير دليل ، ولا يخالف
في هذا الأمر إلا أهل البدع من المتكلمة الذين يحسنون ويقبحون بمحض العقل ،
والمتصوفة الذين يقبلون ويعرضون بمحض الكشف والإلهام .

وعليه فكل من أنكر كون الإلهام أو الكشف أو الفراسة أو نحو ذلك دليلاً
فإنما مراده هذا الوجه ، وهو أن يكون دليلاً بإزاء الكتاب والسنة ، يستغني به عنهما ،
أو يعارضهما به .

أما النظر الثاني - مناط الحكم - : فلا يشترط أن يكون المناط ثابتاً بدليل
شرعي ، بل قد يثبت بدليل غير شرعي ، أو بغير دليل أصلاً ، ولذا لا يشترط فيه
بلوغ حد العلم فضلاً عن درجة الاجتهاد :

فالعامي يسأل العالم عن الفعل الذي ليس من جنس الصلاة ، هل يبطل
الصلاة أم لا ؟ فيقول العالم : إذا كان كثيراً فمبطل لها ، وإلا فلا ، وهنا لا يحتاج
العامي إلى العالم في تحديد القدر المبطل ، بل العاقل يفرق بين اليسير والكثير ، وهذا
ما يقع بالنفس ثم يبنى عليه الحكم : بالبطلان أو غيره ، وليس ما يقع بالنفس من
الكتاب ولا من السنة ؛ لأنه ليس دليلاً على الحكم وإنما هو مناطه ، فإذا تحقق له
المناط بأي وجه كان فهو المطلوب ، وعليه يقع الحكم بدليله الشرعي . يوضحه :

لحم الشاة واحد ، هذا يعتقد أنها مذكاة فيحل له أكله ، وذاك يعتقد أنها ميتة
فيحرم عليه ، فاختلف الحكمان لاختلاف المناطين ، والمناط تحقق بحسب ما وقع في
قلب كل منهما ، وما اطمأنت إليه نفسه ، لا بحسب الأمر في نفسه . ولو كان
ما يقع في القلب يشترط أن يدل عليه دليل لم يصح هذا المثال ، ولكان محالاً ...

ولو فرضنا لحماً أشكل على مالكه تحقيق مناطه ، لم ينصرف إلى إحدى
الجهتين ، فهنا يقع الريب والإشكال والشك والشبهة ، وهذا المناط محتاج إلى دليل
شرعي يبين حكمه ، وهو تلك الأحاديث المتقدمة التي استدلت بها أولئك الجهلة .

فترك المشتبه فيه ، فيه سكون النفس وطمأنينة القلب ، كما أن في الإقدام عليه
حصول الشك والريبة والاضطراب ، هذا عند المؤمن الصادق أما غيره فنفسه أماراة
بالسوء ، وصدوره منشرح بالكفر ، وقلبه يورده المهالك ، والمعصوم من عصمه الله ..

المقام التاسع : اعتماد الكشف ونحوه بمعزل عن الشرع من أصول الإلحاد :

يقول أصحاب السياسات الجائرة : إذا تعارض الشرع والمصلحة قدمنا المصلحة ..

ويقول أصحاب المقاييس العقلية الواهية : إذا تعارض النقل والعقل قدمنا العقل ...

وكذلك يقول أصحاب الذوق والكشف : إذا تعارض ظاهر الشرع والذوق والكشف ، قدمنا الذوق والكشف ... (١) .

وهذا من أصول الإلحاد أن يعتقد أن الشرع يتعارض ومصالح الناس ، أو مع العقل الصحيح ، أو مع الكشف الصادق ، ومن أعظم ذلك أن يبطل الشرع ويقدم عليه غيره .

فمن ادعى أن لأحد الأولياء طريقا إلى الله (تعالى) لا يحتاج فيه إلى محمد (ﷺ) فهو كافر ملحد ، فإذا قال : أنا محتاج إلى محمد (ﷺ) في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى ، الذين قالوا : إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فإن أهل الكتاب فرقوا بين الرسل في الإيمان ، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض ، فكانوا لهذا كفارا ، لكن هذا الملحد زعم أن محمدا (ﷺ) بعث بعلم الظاهر (الشريعة) دون علم الباطن (الحقيقة) ، والباطن هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة دون حقائق الإيمان ، وهو لا يأخذ أشرف القسمين عن الرسول (ﷺ) ، بل ادعى عليه أنه إنما جاء بأدنى القسمين شرفا ، فهو - أي هذا الملحد - أكفر وشر ممن يقول : أو من ببعض وأكفر ببعض ، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين شرفا ...

(١) انظر : شرح الطحاوية ص : ١٦٥ . وقد تقدم كلام الغزالي في هذا الأمر ، انظر : ص : ٦٥١

ولهذا نجد هؤلاء الملاحدة يفضلون الولاية على النبوة ، حتى قال قائلهم :

« مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي » ^(١)

فالواجب على جميع أولياء الله (تعالى) الاعتصام بالكتاب والسنة ، فإنه ليس فيهم من يلقي إليه في قلبه ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة ، وهذا مما اتفق عليه جميع أولياء الله ، ومن خالف فيه فليس منهم في شيء ، بل إما أن يكون كافرا مارقا ، أو مفرطا في الجهل ^(٢) .

ووصف الشهاب الخفاجي ^(٣) هذه الدعوى بأنها زندقة وكفر وإنكار لما علم من الدين بالضرورة ، وأن صاحبها يقتل ولا يستتاب ^(٤) .

ومن صرح بتكفير صاحب هذه المقالة ، أبو العباس ^(٥) شيخ القرطبي صاحب التفسير ، ونسبه إلى الكفر والزندقة ، وحكم بقتله دون استتابه ؛ إذ أنه إنكار لما علم من الشرائع ، وإثبات أنبياء بعد نبينا محمد (ﷺ) ، الذي جعله الله خاتم أنبيائه ورسله ، فلا نبي بعده ولا رسول ^(٦) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٢٢٥ ، ٢٢٦ ، والإنسان الكامل ١/٨٩ ، وانظر ص : ٣٧٢ من هذا البحث (الهامش) .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٤٨ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/١٥٩ .

(٣) هو : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري ، قاضي القضاة ، وصاحب التصانيف في الأدب واللغة ، ولد ونشأ بمصر ورحل إلى بلاد الروم وولي قضاء سلاتيك ، ثم قضاء مصر ثم عزل فرحل إلى الشام ، ثم عاد إلى بلاد الروم ، فنفي إلى مصر ، وولي قضاء يعيش منه إلى أن توفي سنة : ١٠٦٩ هـ من كتبه : « شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل » ، « طراز المجالس » . انظر : الأعلام للزركلي ٢٢٧/٢٢٨ ، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحيي ١/٣٣١ وما بعدها - دار صادر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

(٤) انظر : مشتبه الخراف ص : ٢٥٩ .

(٥) هو : أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، كان مدرسا بالأسكندرية من كتبه : « المفهم في شرح صحيح مسلم » ، « مختصر الصحيحين » - مولده بقرطبة سنة : ٥٧٨ هـ ، ووفاته بالأسكندرية سنة : ٦٥٦ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٣/٢١٣ حوادث سنة : ٦٥٦ هـ ، والأعلام للزركلي ١/١٧٩ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٤٠ ، ٤١ .

المقام العاشر : الحقيقة والشرعة :

كثير من أهل التصوف يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة ، وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع طريقتهم ، ومنهم من يظن في نفسه أنه صار أفضل من الأنبياء ، ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء ، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء ... (١) .

ولم يحصل هذا إلا بسبب تلك الرياضة الشيطانية ، والطريقة الإليسية ، بعد أن حجبوا أنفسهم عن مجالس العلم ، ومذاكرة القرآن الكريم ، ومداينة السنة النبوية ، بل جعلوا ذلك من شرائط الطريق ، فأوجب لهم هذا الجفاء تلك المقالة الشنيعة .

والعلم الذي يشمرون إليه ، ويلهثون وراءه هو الذي يسمونه بعلم الحقيقة ، وهو مشاهدة القدر ، ويدعون أنه العلم الذي عارض به الخضر شريعة موسى ، حتى أنكر عليه موسى ، ثم أقر له بعد أن عرف أن ما عند الخضر هو العلم اللدني ، وهو علم الحقيقة ، الذي هو مشاهدة القدر .

وعليه فقد يكون مع الولي من العلم المستفاد بالمكاشفة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول (ﷺ) في عموم أحواله أو في بعضها (٢) .

والاحتجاج على جواز الخروج على الشريعة بقصه الخضر وموسى ، أو غيرها باطل من وجوه :

الأول : أن المطلوب شرعا هو مشاهدة الشريعة لا مشاهدة القدر ، إلا من حيث الإيمان بشمول القدرة والمشيئة الإلهية ، أما القدر فهو سر الله (تعالى) في خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن هؤلاء المتهاوئين .

(١) انظر : فصوص الحكم لابن عربي ٦٢/١ - ٦٤ ، وشرح الطحاوية ص : ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، والرد على المنطقيين ص : ٥١٦ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٣٢/١١ .

الثاني : أن مشاهدة القدر تؤدي إلى إسقاط التكليف من الأمر والنهي ، فلا يفرق المشاهد للقدر بين مأمور ومحظور ، سواء كان فرضا أو نفلا ؛ فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ، بل تستوي عنده محاب الله (تعالى) ومكروهاته ، وهذا من جنس قول المشركين : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] وقد قال (تعالى) : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥ ، ٣٦] إذ لابد من التفريق بين كلمات الله الكونية القدرية التي لا يتجاوزها بر ولا فاجر ، وبين كلماته الأمرية الشرعية وفيها محبته وطاعته ورضاه ، وهي خاصة أنبيائه وأوليائه المؤمنين ^(١) .

الثالث : معلوم بالاضطرار أن دين الرسول (ﷺ) عام لجميع الخلق : الإنس والجن ، باق إلى يوم القيامة ، لا يسع أحدا من الخلق إلا متابعتة ، وملازمة شرعته ، بل الأنبياء لو كانوا أحياء بعد بعثته (ﷺ) ما وسعهم إلا اتباعه ، وقد أخذ الله عليهم هذا الميثاق كما في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالَ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] ^(٢) .

وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : « ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه » ^(٣) .

فهل تجد للخضر أو لغيره استثناء من متابعة محمد (ﷺ) ؟!

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٤٢٠ ، والرد على المنطقيين ص : ٥٢٠ ، واقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٦/٢ ، ٨٤٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٣٧٧ ، ٣٧٨ (طبعة إحياء الكتاب العربية) ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره ١/٣٧٨ (طبعة دار إحياء الكتب العربية) ، وانظر : تفسير الطبري ٣/٣٣٢ .

وها هو سيد المخاطبين والمحدثين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يمسك بصحيفة من التوراة ، فينكر عليه الرسول (ﷺ) ويقول : « أمتوهكون يا ابن الخطاب ؟! لقد جئكم بها بيضاء نقية ، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » (١) . وفيه مسألتان :

الأولى : وجوب متابعة موسى (عليه السلام) لمحمد (ﷺ) إن هو أدركه .

الثانية : إنكاره (ﷺ) على من التفت إلى غير القرآن ، ولو كان كتابا من عند الله كالتوراة - مثلا - فكيف بالمكاشفات والمنامات ونحوها ! وأكثرها من تغيير الشيطان بآبى آدم .

وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أن عيسى (عليه السلام) حين ينزل من السماء فإنه يكون متبعا لشرعة محمد (ﷺ) (٢) ، كما في حديث : « كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » وقد فسره ابن أبي ذئب - أحد رواة - بقوله : « فأمكم بكتاب ربكم (تبارك وتعالى) وسنة نبيكم (ﷺ) » (٣) .

الرابع : أن الشريعة التي كان عليها الخضر لم تكن في حقيقتها مخالفة للشرعة التي عليها موسى ، وإنما كان يخفى على موسى أسباب تلك الأفعال التي فعلها الخضر ، ولذلك لما علمها لم ينكر عليه ثانية (٤) .

الخامس : على فرض أن ما فعله الخضر كان مخالفا لما عليه موسى من العلم ، فإن اختلاف الشرائع بين الأنبياء في وقت واحد كان أمرا سائغا قبل بعثته (ﷺ) ؛ ولهذا لما قال موسى للخضر : « أنا موسى ، قال له الخضر : موسى بني إسرائيل ؟ قال :

(١) تقدم تخريجه ص : ٤٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٢٤/١١ ، وشرح الطحاوية ص : ٥١٣ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٧/١ كتاب الإيمان - باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشرعة نبينا محمد (ﷺ) حديث رقم : ١٥٥ ، وانظر : الأحاديث التي قبله ، وراجع في ذلك كتاب : التصريح بما تواتر في نزول المسيح الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي بترتيب الشيخ محمد شفيع ، وتحقيق : د/ عبد الفتاح أبو غدة ص : ٢٣١ الحديث رقم : ٥٥ وغيره من الأحاديث .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٢٦/١١ ، ٢٦٤ ، والفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق

ص : ١٣٠ .

نعم . ثم قال الخضر : « يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » ^(١) وعلى هذا ، فشريعة موسى لم تكن لازمة للخضر أو لجميع الناس في زمانه ، أما بعد بعثته (ﷺ) فلا يسع أحدا لا الخضر ولا غيره الخروج على شريعته ، فليس لأحد أن يقول لمحمد (ﷺ) : إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا : بل من سوغ ذلك واعتقده فهو كافر باتفاق المسلمين ^(٢) .

السادس : وأيضا - على فرض أن في القصة مخالفة الباطن للظاهر فهذا بالنسبة إلى شريعتين : شريعة الخضر وشريعة موسى ، أما الأمر بالنسبة إلى الخضر فكان ما فعله هو الظاهر في شريعته ، فلم يخالف ظاهر ما فعله باطن ما أمر به ، فليس إذا ثمة باطن خالف ظاهرا ^(٣) .

السابع : أن الخضر قال : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] أي إنما فعلته عن أمر الله (جل وعلا) ، وأمر الله إنما يعرف بالوحي ، إذ لا سبيل غيره ^(٤) .

المقام الحادي عشر : لا عصمة للمكاشفات والمحاطبات ونحوها من الأحوال :

ذكروا أن ما يقع من الخطاب والمحادثة ونحوهما ، مصدره أحد ثلاثة ^(٥) :
الأول : وهو أعلاها - أن يخاطبه الملك خطابا جزئيا ؛ فإنه يقع لغير الأنبياء ، كما وقع لعمران بن حصين (رضي الله عنه) ^(٦) وهذا الخطاب نوعان :

(١) صحيح البخاري ٤٠٩/٨ ، فتح الباري ، كتاب التفسير - باب « وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح ... » حديث رقم : ٤٧٢٥ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦٣/١١ ، ٢٦٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، وشرح الطحاوية ص : ٥١٣ .

(٣) انظر : هامش مصرع التصوف لعبد الرحمن الوكيل ص : ٢١ ، ٢٢ هامش رقم : ١ (مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ...) تأليف العلامة برهان الدين البقاعي - مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٣ م - ١٣٧٢ هـ - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

(٤) انظر : أضواء البيان ١٥٨/٤ ، والفكر الصوفي ص : ١٣٢ .

(٥) انظر : مدارج السالكين ٤٥/١ - ٤٨ .

(٦) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر ١٢٠٨/٣ ترجمة رقم : ١٩٦٩ .

(أ) أن يخاطبه بخطاب يسمعه بأذنه ، وهو نادر بالنسبة لعموم المؤمنين .

(ب) أن يلقي في قلبه ما يخاطب به الملك روحه .

الثاني : أن يخاطبه جان - وهو ما يسمى بالمخاطبات - وقد يكون الجان مؤمنا صالحا ، وقد يكون فاسقا ، كالفاسق من بني آدم ، وقد يكون شيطانا ماردا ، وهذا الخطاب أيضا نوعان :

(أ) أن يخاطبه بخطاب يسمعه بأذنه .

(ب) أن يلقي في قلبه إلقاء ، ومنه وعد الشيطان وتمنيه ، قال (تعالى) : ﴿ يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : ١٢٠] .

فالإخبار بموت غائب أو قدومه ونحو ذلك قد يكون من قبل الجن ، وقد يكون من الإنعام الصحيح ، لكن لا يقطع به قبل وقوعه ، أي وقوع مدلوله ^(١) .

الثالث : خطاب حالي يكون بدؤه من النفس وعوده إليها ، فيتوهم صاحبه أنه من الخارج ، وإنما هو من نفسه ، وهذا كثيرا ما يعرض للسالك فيغلط فيه ، ويعتقد أنه خطاب من الله ، وهو من نفسه ، وسبب هذا الغلط أن اللطيفة المدركة من الإنسان إذا صفت بالرياضة وتخلصت عن الشواغل الكثيفة ، صار الحكم لها بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن ، فتتصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني التي تصرف إلى المنطق والخطاب القلبي الروحي ، فتتشكل في أصوات مسموعة ، وصور مرئية ، فيسمعها المرتاض ويراها ، وإنما يقع ذلك في نفسه لا في الخارج ، ويخلف أنه رأى وسمع ، لكن رأى وسمع في الخارج أم في نفسه ؟ ، ويتفق ضعف التمييز وقلة العلم واستيلاء تلك المعاني على الروح ، فيظن أنه سمع ورأى في الخارج ، وهو لم يخرج عن نفسه ^(٢) .

(١) انظر : التنكيل للمعلمي ٢/٢٣٨ ، وتعليق الألباني عليه ٢/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) وانظر : درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٥٢ .

أكثر المتصوفة يعترفون أن الخطاب والخطاير ونحوهما قد يكون من الله ، وقد يكون من النفس ، وقد يكون من الشيطان ^(١) ، فإن للملك قوة وكذا للنفس وللشيطان ، فما كان من الملك فهو حق ، وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل ، وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة ، فلم يفرقوا بين أولياء الله وبين أعدائه ، بل صاروا يظنون فيمن هو من جنس المشركين أنه من أولياء الله المتقين ^(٢) .

فالذين لهم مكاشفات ومخاطبات قد يسمعون ويرون ماله وجود في الخارج - إذا كان التمثيل من الشيطان - وقد لا يكون له وجود إلا في النفس - إذا كان التمثيل في النفس - وما كان من تمثيل الشيطان قد يسمي نفسه بأسماء كمن يقول : أنا محمد أو أنا جبريل ، أو أنا أبو بكر ، أو أنا الشيخ فلان أو فلان ممن يحسن الظن بهم ، فمن يرى هذه الأشخاص ويظن أنها حقيقة ، فهو صادق في رؤياه ، لكنه غلط في ظنه أنها حقيقة بل هي من تمثيل الشيطان وتضليله ^(٣) .

فمن أين لهذا المخاطب أن يدعي أن خطابه هذا رحامي أو ملكي ؟! بأي برهان ، وبأي دليل ؟! والشيطان يقذف في النفس وحيه ، ويلقي في السمع خطابه ، ويشكل للنظر صورا ، فيقول المغرور المخدوع : قيل لي ، وخوطبت ، وشاهدت ، وقد صدق ، لكن الشأن في القائل له ، والمخاطب إياه ، والمشخص أمامه ^(٤) .

ولهذا قال أبو مظفر السمعاني ^(٥) - في هذا الأمر - : « وكل شيء احتمل

(١) انظر : عوارف المعارف ص : ٩٠ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦١٣/١٠ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٧١/١٣ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٢٨٧/١١ - ٢٨٩ .

(٤) انظر : مدارج السالكين ٤٧/١ .

(٥) هو : منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي ولد سنة : ٤٢٦ هـ . سمع من أبي غانم أحمد الكراعي وأبي علي الشافعي وغيرهما . وروى عنه : أولاده ، وعمر بن محمد السرخسي وغيرهم . برع في مذهب أبي حنيفة على والده أبي منصور . ثم تحول إلى المذهب الشافعي سنة : ٤٦٨ هـ كان وحيد عصره - في وقته - فضلا وطريقة وزهدا وورعا ، انتصر لأهل الحديث والسنة ، وكان شوكا في أعين المخالفين ، وحجة لأهل السنة . توفي سنة : ٤٨٩ هـ . انظر : السير للذهبي ١١٤/١٩ وما بعدها ترجمة رقم : ٦٢ ، والبداية والنهاية ١٥٣/١٢ ، ١٥٤ حوادث سنة : ٤٨٩ هـ .

أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه حق » ^(١) وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي :
« وغير المعصوم لا ثقة بخواطره ، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان » ^(٢) .

وقد يدعى بعض المتصوفة في الفرق بين الخطاب الرحماني والشرطي : أن
الرحماني يستقر ولا يضطرب ، أم الشرطي فيضطرب ولا يستقر ^(٣) . وغاية ما يفيد
هذا الفرق الظن ، علماً بأن من الناس من يشرح بالكفر صدره ، ويضيق صدره
ويتحرج عن الإيمان والحق .

وأيضاً - فإن أهل المخاطبات الصادقة ، يصيرون تارة ويخطئون أخرى - كأهل
النظر والاستدلال - كما وقع ذلك لسيد المخاطبين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ^(٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « ليس من شرط ولي الله أن
يكون معصوماً لا يغلط ، ولا يخطئ ... ويجوز أن يظن - الولي - في بعض الخوارق
أنها من كرامات أولياء الله (تعالى) وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته
ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله (تعالى) ... » ^(٥) .

فكيف يسوغ الاعتماد على مثل هذه الاحتمالات والتوهمات في تحقيق المطالب

الدينية ؟!

اعتراض وجوابه :

ذكر الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في شرح حديث من عادى لي ولياً ^(٦) ...
أن بعض الجهلة من أهل النحل والرياضة تمسكوا به فقالوا : القلب إذا كان محفوظاً
مع الله (تعالى) كانت خواطره معصومة من الخطأ .

(١) فتح الباري ٣٨٨/١٢ .

(٢) أضواء البيان ١٥٩/٤ .

(٣) انظر : فتح الباري ٣٨٨/١٢ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٥/١١ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠١/١١ ، ٢٠٢ .

(٦) صحيح البخاري ٣٤٠/١١ ، ٣٤١ ، فتح الباري ، كتاب الرقاق - باب التواضع حديث

فقال الحافظ : « وتعب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا : لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة ، والعصمة إنما هي للأنبياء ، ومن عداهم قد يخطئ . فقد كان عمر (رضي الله عنه) رأس المهتمين ، ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه .

فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول (عليه الصلاة والسلام) فقد ارتكب أعظم الخطأ ^(١) ، وأما من بالغ منهم فقال : حدثني قلبي عن ربي فإنه أشد خطأ ^(٢) ، فإنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان . والله المستعان » ^(٣) .

المقام الثاني عشر : المكاشف الحق من يزن مكاشفاته بالكتاب والسنة :

كل من كان - في هذه الأمة - من أهل المكاشفات والمخادئات والإلهامات فهو دون عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقد ثبت بالأحاديث الصحاح أنه محدث هذه الأمة ^(٤) ، فأبي محمد ومخاطب فرض في أمة محمد (ﷺ) فعمر أفضل منه ، ومع هذا فقد كان عمر يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول (ﷺ) وينشد لذلك الرجال والنساء والأعراب ، فإذا أخبروه عن رسول الله (ﷺ) بشيء لم يلتفت بعد ذلك إلى محادثاته ومخاطباته ، بل يقول : لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره ، ولم يؤثر عنه أنه كان يقول : حدثني قلبي عن ربي ، بل المشهور عنه أنه كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه يراجعهم ويراجعونهم ، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ، ويحتجون عليه ، ويرجعون جميعاً إليهما ، ويردون ما اختلفوا فيه إليهما ^(٥) .

(١) بل هو الكفر الصريح .

(٢) انظر : فتح الباري ٣٤٥/١١ ، وقطر الولي ص : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ٤٢/٧ ، فتح الباري « كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب ... حديث رقم : ٣٦٨٩ ، وصحيح مسلم ١٨٦٤/٤ كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عمر - حديث رقم : ٢٣٩٨ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠٦/١١ ، ومدارج السالكين ٤٩٦/١ ، وقطر الولي

ص : ٢٥٠ .

وقد كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يبين لعمر أشياء خفيت عليه ، فيرجع إلى بيان الصديق وإرشاده ، كما جرى مثل ذلك يوم الحديبية ، حتى قال عمر : « فعملت لذلك أعمالا » ^(١) . وكذلك يوم مات رسول الله (ﷺ) أنكر عمر أولا ثم رجع إلى تقرير أبي بكر ^(٢) ، وكذلك في قتال مانعي الزكاة أنكره ثم تاب إلى الحق الذي كان عليه الصديق ^(٣) .

ولذلك كان الصديق أفضل وأكمل موافقة لله ورسوله من المخاطب ، إذ الصديق لا يتلقى إلا من مشكاة النبوة وهي معصومة ، أما المخاطب المحدث فيتلقى تارة عن قلبه وتارة عن النبوة ، فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم فيه يجب متابعتة عليه ، أما ما ألهم به في قلبه فيعرض على ما جاءت به النبوة - سيرة عمر - فإن وافق فهو حق ، وإن خالف فهو باطل يجب رده ^(٤) .

وعليه ، فحق على كل ولي - وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام ، وأرفع مكان - أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة ، تابعا لهما ، وازنا أفعاله وأقواله وجميع أحواله بميزان هذه الشريعة المطهرة ، وافقا على الحد الذي رسم فيها ، غير زائغ عنها في شيء من أموره ^(٥) ...

أمثلة من أقوال المحققين وأحوالهم :

١ - قال أبو سليمان الداراني ^(٦) : « إنه لتقع في قلبي النكته من نكت القوم

(١) صحيح البخاري ٣٣٢/٥ فتح الباري ، كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد ... حديث رقم : ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ١٤٥/٨ فتح الباري ، كتاب المغازي - باب مرض النبي (ﷺ) ووفاته - حديث رقم : ٤٤٥٤ ، وانظر : فتح الباري ١٤٥/٨ ، ١٤٦ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ٢٧٥/١٢ فتح الباري ، كتاب استتابة المرتدين ... باب قتل من ألقى قبول الفرائض ... حديث رقم : ٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧٧/٢٤ .

(٥) انظر : قطر الولي ص : ٢٥٠ .

(٦) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، من أهل داريا إلى جنب دمشق ، كان عابدا زاهدا ، ورد بغداد وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى دمشق فأقام بها حتى توفي سنة : ٢١٥ هـ وقيل : ٢٠٥ هـ . انظر : =

- فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة » ^(١) .
- ٢ - وقال أبو عمرو بن نجيد : « كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل » ^(٢) .
- ٣ - وقال سهل التستري ^(٣) : « يا معشر المريدين لا تفارقوا السواد على البياض فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق » ^(٤) يعني القرآن والحديث .
- ٤ - وقال أبو القاسم الجنيد : « من لم يحفظ القرآن ولم يكتب السنة لا يقتدى به في هذا العلم ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة ، والطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول (عليه الصلاة والسلام) » ^(٥) .
- ٥ - وقال أبو بكر الرقاق ^(٦) - وهو من أقران الجنيد « كنت مارا في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مبين لعلم الشريعة ، فهتف بي هاتف : كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر » ^(٧) .

= شذرات الذهب ١٣/٢ حوادث سنة : ٢٠٥ هـ ، وتاريخ بغداد ٢٤٨/١٠ - ٢٥٠ ترجمة رقم ٥٣٦٧ وطبقات الصوفية للسلمي ص : ٧٥ وما بعدها .

(١) طبقات السلمي ص : ٧٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٠/١١ ، وقطر الولي ص : ٢٥١ ، ومشتبى الخارف ص : ٩٠ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٠/١١ ، وقطر الولي ص : ٢٥٢ .

(٣) هو : أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى - التستري ، أحد أئمة القوم وعلمائهم المتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وعبوب الأفعال . من كلامه : « أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله (تعالى) ، والافتداء بسنة رسوله (ﷺ) ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » توفي سنة : ٢٨٣ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٨٢/٢ - ١٨٤ حوادث سنة : ٢٨٣ هـ ، وطبقات الصوفية للسلمي ص : ٢٠٦ وما بعدها .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٣٤٩/٥ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١٠/١١ ، وأضواء البيان ١٦٢/٤ ، وقطر الولي ص : ٢٥٢ .

(٦) هو : أحمد بن نصر ، ويعرف بالزقاق الكبير تميزا له عن تلميذه محمد بن عبد الله - أبي بكر الرقاق الصغير ، والرقاق نسبة إلى بيع الرق وعمله . توفي سنة : ٢٩٠ هـ وقيل : ٢٩١ هـ . انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٩١ ، ٩٢ ترجمة رقم : ٢١ وحسن المحاضرة للسيوطي ٥١٢/١ .

(٧) حسن المحاضرة ٥١٢/١ ، ومشتبى الخارف ص : ٢٦٦ .

٦ - وحكى القاضي عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي ^(١) أنه كان ليلة بمحراه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقه ؛ فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ، ثم بدا له وجه كالقمر ، وقال له : تأمل من وجهي يا أبا ميسرة ، فأنا ربك الأعلى ، فبصق في وجهه ، وقال : اذهب يالعين ، عليك لعنة الله ... ^(٢) .

٧ - وعطش الشيخ عبد القادر الجيلاني عطشا شديدا فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت مطرا شبه الرذاذ حتى شرب ، ثم نودي من قبل السحابة : أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات ، فقال : اذهب يالعين ، فاضمحللت السحابة ، ثم قيل له : بما عرفت أنه إبليس ؟ فقال : بقوله : قد أحللت لك المحرمات ^(٣) .

المقام الثالث عشر : رؤية النبي (ﷺ) يقظة ومناما :

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال : « سمعت النبي (ﷺ) يقول : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي » ^(٤) وفي رواية عن أنس (رضي الله عنه) قال : « قال النبي (ﷺ) : من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » ^(٥) وفي رواية عن أبي قتادة (رضي الله عنه) : « قال النبي (ﷺ) : من رآني فقد رأى الحق » ^(٦) وزاد أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) « ... فإن الشيطان لا يتكونني » ^(٧) .

(١) هو : أحمد بن بزار ويكنى بأبي جعفر . من الفقهاء العباد المتبتلين روى عن أحمد بن أبي سليمان ، وفرات بن محمد ، وحدث عنه : أحمد الدراوردي ، والحسن بن سعيد الخراط . وكان مجانيا لأهل الأهواء توفي سنة : ٣٣٧ هـ . انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ٣/٣٥٨ وما بعدها تحقيق : د/أحمد بكير محمود دار مكتبة الحياة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م بيروت (بدون رقم الطبعة) .

(٢) انظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٣/٣٥٩ ، والمواقفات للشاطبي ٢/٢٧٥ .

(٣) انظر : شذرات الذهب ٤/٢٠٠ ، والمواقفات ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ومشتهى الخارف ص : ٦٥ .

(٤) صحيح البخاري ١٢/٣٨٣ فتح الباري ، كتاب التعبير - باب من رأى النبي (ﷺ) في المنام

حديث رقم : ٦٩٩٣ .

(٥) المرجع السابق حديث رقم : ٦٩٩٤ .

(٦) المرجع السابق حديث رقم : ٦٩٩٥ .

(٧) المرجع السابق حديث رقم : ٦٩٩٧ .

وقد اختلف الناس في هذه الأحاديث ونحوها في أمرين :

الأمر الأول : هل كل من ادعى أنه رأى النبي (ﷺ) تكون رؤياه حقا ؟

الأمر الثاني : في المراد بقوله في الحديث : « فسيراني في اليقظة » .

أما الأمر الأول : وهو رؤيته (ﷺ) مناما : ففيه مذهبان :

المذهب الأول : (وهو الصحيح) أن رؤيته (ﷺ) في النوم لا تكون حقا إلا إذا وافقت صفته التي كان عليها في الدنيا ، فمن رآه عليها فقد رأى الحق ، وإلا فهي أضغاث أحلام ، ومن تلاعب الشيطان بآبِن آدم ^(١) ، ولا يرد على هذا المذهب قوله (ﷺ) : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » لأن الشيطان يتمثل في صورة أخرى يخيل للرأي أنها صورة النبي (ﷺ) لما كان الرأي جاهلا بصفته التي كان عليها (ﷺ) ؛ ولهذا قال البخاري (رحمه الله) - عقب حديث أبي هريرة المتقدم - : « قال ابن سيرين : إذا رآه في صورته » ^(٢) .

وروى الحافظ ابن حجر بسند صحيح عن ابن سيرين أنه كان إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي (ﷺ) قال : « صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لا يعرفها . قال : لم تره » ^(٣) .

وأخرج الحاكم في مستدركه من طريق عاصم بن كليب أن أباه رأى النبي (ﷺ) في المنام ؛ فقال لابن عباس : « قد رأيته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فذكرت الحسن بن علي ، فشبهته به ، فقال ابن عباس : إنه كان يشبهه » ^(٤) .

فهذا هو المعيار الحق الذي تعتبر به كل رؤيا يزعم صاحبها أنه رأى النبي (ﷺ) .

(١) انظر : فتح الباري ٣٨٦/١٢ ، والفروق لشهاب الدين أبي العباس الصنهاجي المعروف بالقراقي ٢٤٤/٤ ، ٢٤٥ - دار المعرفة - دار إحياء الكتب العربية ١٣٤٧ هـ مصر (بدون رقم الطبعة) .

(٢) صحيح البخاري ٢٨٣/١٢ فتح الباري « كتاب التعبير - باب من رأى النبي (ﷺ) في المنام على الحديث رقم : ٦٩٩٣ .

(٣) فتح الباري ٣٨٤/١٢ .

(٤) المستدرک ٣٩٣/٤ كتاب تعبير الرؤيا . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السقاة » ووافقه الذهبي .

المذهب الثاني : أن رؤية النبي (ﷺ) في المنام حق بكل حال ، سواء رآه الرائي على صفته التي كان عليها ، أو على غيرها ، إذ اختلاف الصفات قد يكون من باب البشارة أو النذارة ، كأن يراه وقد ملأ داره ، دلالة على امتلائها بالخير أو نحو ذلك .

وقد استندوا في ذلك إلى قوله في الحديث : « فإن الشيطان لا يتمثل بي » ^(١) وقد مر الجواب على هذا الاستدلال عند ذكر المذهب الأول .

وأما الأمر الثاني : ففي المراد بالرؤيا اليقظية الواردة في الأحاديث : وقد اختلفوا فيها على مذهبين :

المذهب الأول : (وهو الصحيح) أنه لا تصح رؤيته (ﷺ) يقظة بعد موته ، واختلفوا في توجيه الأحاديث على أقوال :

القول الأول : أن النائم سبى تلك الرؤيا في اليقظة ، وصحتها وخروجها على الحق ، قاله ابن بطلال ^(١) .

القول الثاني : أن الحديث خرج مخرج التشبيه ، ودليله رواية مسلم : « لكأنما رأي في اليقظة » ^(٣) .

القول الثالث : أنه يراه في المرأة التي كانت له (ﷺ) إن أمكنه ذلك ، وهو قول لابن أبي جمرة ، وقال الحافظ ابن حجر : « وهذا من أبعد المحامل » ^(٤) .

القول الرابع : أنه بشرى لمن آمن به في حياته (ﷺ) ولم يره لكونه غائبا عنه ، أن يراه في اليقظة قبل موته ، قاله ابن التين والقزاز والمازري ^(٥) .

(١) انظر : فتح الباري ٣٨٤/١٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للسفطاني ٢٩٣/٥ (وبهامشه زاد المعاد لابن القيم) - دار المعرفة الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م بيروت .

(٢) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ ، ومشتبه الخارف ص : ٥٤ .

(٣) صحيح مسلم ١٧٧٥/٤ كتاب الرؤيا - باب قول النبي (ﷺ) « من رآني في المنام فقد رآني بلي الحديث رقم : ٢٢٦٦ ، وانظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ ، وشرح المواهب ٢٨٩/٥ .

(٤) فتح الباري ٣٨٥/١٢ .

(٥) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ .

القول الخامس : أنه سيراه في الآخرة ، وتعقبه ابن بطال وابن العربي بأن رؤيته (ﷺ) في الآخرة تكون لجميع المؤمنين : من رآه في النوم ، ومن لم يره ، فلا مزية لمن رآه على غيره ^(١) .

وأجاب القاضي عياض باحتمال أن تكون رؤياه في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف بها ؛ موجبة لتكرمة في الآخرة لمن رآه فيراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك ... ^(٢) .

القول السادس : ذكر الشيخ محمد الخضر الشنقيطي وجهها آخر ورجحه وحسنه ، وذكر أن الدمياني سبقه إليه وهو : أن من رأى النبي (ﷺ) في المنام فهو بشارة له بالموت مسلماً ^(٣) .

أما المذهب الثاني في المراد بالرؤيا اليقظة :

فهو أن الرأي للنبي (ﷺ) في المنام سيراه في اليقظة حقيقة ويخاطبه ، وذكروا أن جماعة من الصالحين رأوه في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك ^(٤) .

وهذا المذهب باطل من وجوه :

الأول : لم يستند هذا المذهب إلى دليل من الشرع سوى الاحتمال في هذه الأحاديث ؛ ولهذا لم يذكر السيوطي - وهو من المنتصرين لهذا المذهب - في رسالته : « تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك » ^(٥) ، لم يذكر سوى الاحتمال في تلك الأحاديث ، فلم يرو في ذلك حديثاً صحيحاً ولا ضعيفاً ، ولا مرفوعاً ولا موقوفاً ،

(١) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ .

(٢) انظر : مشنئ الخارف ص : ٥٤ ، وفتح الباري ٣٨٥/١٢ .

(٣) انظر : مشنئ الخارف ص : ٥٤ .

(٤) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ ، ومشنئ الخارف ص : ٥٤ ، وشرح الزرقاني على المواهب

اللدنية ٢٩٥/٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٥) وهي ضمن الحاوي للفتاوي للسيوطي ٢٥٥/٢ - ٢٦٩ دار الكتب العلمية الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م بيروت ، وانظر : مشنئ الخارف ص : ٥٣ .

ولا مرسلا ، ولا غير ذلك ؛ مع سعة اطلاعه وطول باعه في الحديث ، وشدة انتصاره لهذا المذهب ، ولم يذكر عن أحد من الصحابة أو التابعين أنه وقعت له هذه الرؤية اليقظة ، وقال صاحب المواهب اللدنية ^(١) : « وأما رؤيته (ﷺ) في اليقظة بعد موته (عليه الصلاة والسلام) ، فقال شيخنا - يعني السخاوي - لم يصل إلينا ذلك عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم ، وقد اشتد حزن فاطمة عليه (ﷺ) حتى ماتت كمدا بعده بستة أشهر على الصحيح ، وبيتها مجاور لضريحه الشريف ، ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه ... » .

قال الشيخ محمد الخضر الشنقيطي : « وهذا يؤس من أن يكون في رؤيته (ﷺ) بعد موته يقظة حديث » ^(٢) .

الثاني : يلزم على هذا المذهب أن كل من رآه (ﷺ) في المنام أن يراه في اليقظة ، وهذا باطل بديهية ؛ وذلك لكثرة الرائيين له في المنام من غير أن يدعي واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، ولا خطر ذلك على قلبه . وخبر الصادق لا يتخلف !! ^(٣)

الثالث : مخالفة هذا المذهب لقضايا العقول ، وذلك بأن يراه رائيان في زمان واحد ، في مكانين مختلفين ، وعلى فرض تتابع الرؤى يلزم عليه أن يكون خارجا من قبره يمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبونه ، فيخلو القبر من جسده الشريف ؛ فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب ، ولهذا قال القرطبي : « وهذا قول يدرك فسادَه بأوائل العقول » ^(٤) .

الرابع : يلزم على هذا المذهب ، أن كل من رآه (ﷺ) يقظة يكون صحابيا ، فتدوم الصحبة في الناس إلى يوم القيامة ، وهذا معلوم بطلانه ^(٥) .

(١) ٢٩٥/٥ (بشرح الزرقاني) .

(٢) مشنئى الخارف ص : ٥٣ .

(٣) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ ، ومشنئى الخارف ص : ٥٥ .

(٤) انظر : فتح الباري ٣٨٤/١٢ .

(٥) انظر : فتح الباري ٣٨٥/١٢ .

الخامس: أن هذه الدار دار فناء والنبي (ﷺ) في دار البقاء ، فلا تمكن رؤيته إلا لمن اتحد معه في الدار ، وذلك لا يحصل إلا بالموت الحقيقي ^(١) .

السادس : أما ما يروى عن بعض المشايخ من أنهم رأوه يقظة فقد يكون من باب التجوز في العبارة ، فيظن السامع أنه أراد الرؤية اليقظية ، كما حكى عن أبي العباس المرسى ^(٢) أنه قال : « لو حجب عني النبي (ﷺ) طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين » ^(٣) ومراده حجاب الغفلة والنسيان ، وانقطاع المراقبة والاستحضار لهدية (ﷺ) في الأعمال والأقوال ^(٤) ، وعلى نحو من هذا يمكن حمل كلام من ثبتت ولايته من المشايخ .

وأیضا - قد تقع الرؤية لبعض المشايخ في غيبة حس ، وغموض طرف ، لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة ، فيظنها رؤية يقظية وهي منامية ^(٥) .

فالمقصود في هذا المقام بيان أن رؤية النبي (ﷺ) في المنام جائزة إذا وقعت على نفس الصفة التي كان عليها (ﷺ) ، فإن خالفها فهي أضغاث أحلام سببها تلاعب الشياطين ببني آدم .

أما رؤيته (ﷺ) في اليقظة بعد موته فغير جائزة ولا ممكنة ، ولا دليل يدل عليها من الشرع أو العقل ، بل الشرع والعقل يمنعان من وقوعها ، وعلى هذا فمدعيها إما كذاب ضال أو جاهل مغفل .

(١) انظر : مشتهى الخارف ص : ٥٧ .

(٢) هو أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي المرسى . نزيل الأسكندرية صاحب الشاذلي ، وصحبه الشيخ باقوت - ولد سنة : ٦١٦ هـ وتوفي سنة : ٦٨٦ هـ . انظر : طبقات الأولياء لابن الملقن ص : ٤١٨ - ٤٢٠ ترجمة رقم : ١١٨ وحسن المحاضرة للسيوطي ٥٢٣/١ .

(٣) انظر : حسن المحاضرة ٥٢٣/١ ، وتنوير الحلك ٢٦٠/٢ (ضمن الحاوي للفتاوي) .

(٤) انظر : شرح الزرقاني على المواهب ٢٩٨/٥ ، ومشتهى الخارف ص : ٥٨ .

(٥) انظر : مشتهى الخارف ص : ٦٠ ، ٥٦ .

المقام الرابع عشر : حكم العمل بالرؤيا :

أخرج مسلم وغيره ^(١) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال : « والرؤيا ثلاثة ، فرؤيا الصالحة ^(٢) بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ... » .

فالرؤيا في هذا الحديث جنس تدخل تحته ثلاثة أنواع ، والتمييز بينها مشكل ، ومع ذلك فالغالب أن تكون الرؤيا على خلاف الظاهر ، فتحتاج إلى تعبير ، حتى عند الأنبياء ^(٣) ، لكن تعبير الأنبياء صادق قاطع ، لأنهم معصومون ومؤيدون بالوحي .

فالرؤيا كالكشف والإلهام ؛ منها : الرحامي والنفساني والشرطي فلا عصمة فيها مع هذا الاحتمال ، فهؤلاء المدعون رؤية النبي (ﷺ) ، أو بعض الملائكة أو غيرهم ، من أين لهم أن رؤياهم صادقة ، بل أكثرهم يأتي بأشياء تخالف ما عليه الشريعة ، ويزعم أنه تلقاها من الرؤيا ، وما علم أن ذلك من الشيطان ، ولهذا يقول علماء التعبير : إن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما ، من معارفه وغيرهم ، فيشير له إلى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به ، فيوقع اللبس على الراي بذلك ^(٤) .

وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي المخالفين للشرع ، فيظن الراي أنهما من قبل النبي (ﷺ) ولا يكون كذلك ^(٥) .

وعليه فلا عصمة فيما يراه النائم ، بل لابد من عرضه على الشرع فإن وافقه فالحكم بما استقر ، لأن الأحكام ليست موقوفة على ما يرى في المنامات ، وإن خالف

(١) صحيح مسلم ١٧٧٣/٤ كتاب الرؤيا حديث رقم : ٢٢٦٣ ، وسنن الترمذي ٤٥/٧ كتاب الرؤيا - باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة - حديث رقم : ٢٢٧١ ، قال أبو عيسى : « وهذا حديث حسن صحيح » .

(٢) رواية الترمذي : فالرؤيا الصالحة .

(٣) انظر : التكميل للمعلمي ٢٤٢/٢ .

(٤-٥) انظر : الاعتصام ٢٦٣/١ .

رد مهما كان حال الرائي أو المرئي ، وبحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان ، وأنها كاذبة وأضغاث أحلام ^(١) .

لكن يبقى أن يقال : ما فائدة الرؤيا الموافقة للشرعية ، إذا كان الحكم بما استقر عليه الشرع ؟!

الجواب : فائدتها التنبيه والبشرى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : « سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : لم يبق من النبوة إلا المبشرات . قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة » ^(٢) .

فإن الرجل الصالح قد يرى في النوم ما يؤنسه أو يزعجه فيكون ذلك دافعا له إلى فعل مطلوب أو ترك محظور . قال الشيخ عبد الرحمن المعلمي (رحمه الله) : « .. اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة ، وإنما هي تبشير وتنبيه ، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة ... » ^(٣) .

وعلى ذلك ، فمن يرى في النوم قائلا يقول : إن فلانا سرق فاقطعه ، أو عالم فاسأله واعمل بما يقول لك ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل بهذه الرؤيا حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، وإلا كان عاملا بغير الشرعية ^(٤) .

ومن طرائف ما يحكى في هذا الباب ، أن شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال : علي بالسيف والنطع ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ، قال : رأيت في منامي كأنك تطأ بساطي ، وأنت معرض عني ، فقصصت رؤياي على من عبرها . فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمر معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك برؤيا إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، ولا أن معبرك بيوسف الصديق (عليه السلام) ، فبالأحلام الكاذبة تضرب أعناق المؤمنين ! فاستحى المهدي ، وقال : اخرج عني ، ثم صرفه وأبعده ^(٥) .

(١) انظر : مدارج السالكين ٥١/١ .

(٢) صحيح البخاري ٣٧٥/١٢ فتح الباري : كتاب التعبير - باب المبشرات - حديث رقم : ٦٩٩٠ .

(٣) انظر : التنكيل ٢٤٢/٢ .

(٤) انظر : الاعتصام ٢٦١/١ .

(٥) انظر : الاعتصام ٢٦١/١ ، ٢٦٢ .

اعتراض : ^(١) قد يقول قائل ثبت في الحديث الصحيح أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة ^(٢) ، وعليه فلا ينبغي إهمالها :

الجواب من وجوه :

الأول : إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست تعدل كمال الوحي ، بل هي جزء من أجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، وإنما في بعض الوجوه وقد صرفت الرؤيا إلى البشارة والندارة ، وهذا كاف إن شاء الله .

الثاني : من شرط الرؤيا أن تكون صالحة ، ومن الرجل الصالح ، وحصول هذه الشروط مما ينظر فيه ^(٣) ، فقد تتوفر وقد تتخلف ، فكيف يأمن الإنسان أن تكون رؤياه صالحة ، أو هو من الصالحين ، هذا لا يعرف إلا بموافقة الشرع ، فتبين أن التعويل على الشرع .

الثالث : الرؤيا تنقسم - كما تقدم - إلى الحلم وهو من الشيطان ، وإلى حديث النفس ، وإلى الرؤيا الصادقة وهي من الله ، فمتى تتعين الصادقة والصالحة حتى يحكم بها ، ويترك غيرها ؟ وكيف يترك المتيقن - وهو الشرع - ويعمل بهذه الظنون والاحتمالات .

الرابع : يلزم من العمل بالرؤيا تجديد وحي بعده (ﷺ) وهو باطل بالإجماع .

فالمقصود في هذا المقام بيان أن ما يراه النائم يتردد بين احتمالات ثلاثة - تقدم ذكرها - وأنه لم تضمن لنا العصمة فيها ، وعليه ، فلا يجوز الحكم بمقتضاها على أمر من الأمور ، إذ أنها ليست دليلاً من أدلة الشرع ، ولا مصدراً من مصادر المعرفة ، بل لا بد من عرضها على الشرع لمعرفة كونها صادقة أم لا ، والحكم يكون بما استقر عليه الشرع ، وتقتصر فائدة الرؤيا الصادقة الصالحة على البشارة والندارة كما دلت عليه النصوص .

(١) انظر : الاعتصام ٢٦١/١ .

(٢) رواه مسلم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله (ﷺ) رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، صحيح مسلم ١٧٧٤/٤ كتاب الرؤيا حديث رقم : ٢٢٦٤ .

(٣) انظر : فتح الباري ٣٦٢/١٢ .

الفصل الخامس

قواعد في الرد على المخالفين ، ودحض شبهاتهم

في هذا الفصل (الأخير) أذكر بعض القواعد التي تعين في الرد على المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ، ودحض ما يورده المخالف من شبهات :

وهذه القواعد (العشر) تضاف إلى قواعد الاستدلال العشر والتي اشتمل عليها الباب الثاني ، فتلك في بيان منهج أهل السنة في الاستدلال على مذهبهم في الاعتقاد ، وهذه في بيان منهج أهل السنة في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم ؛ وبهذا تكتمل صورة المنهج عند أهل السنة والجماعة .

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

القاعدة الأولى

إن كنت ناقلًا فالصحة ، أو مدعيًا فالدليل

كل دعوى لابد من إقامة الدليل عليها ، وإلا كانت مجرد دعوى خلية عن البرهان ، والدليل إما أن يكون نقليا أو عقليا ، والمطلوب في النقل تحرير صحته ، وفي العقلي إظهار صراحته وبيان حجته :

قال (تعالى) : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١]
فهذا عام في كل دعوى ، لابد من تصديقها بالدليل .

وقال (تعالى) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْثَرَةً مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف : ٤] فطالبهم أولا بالطريق العقلي ، وثانيا بالطريق السمعي ^(١) . قال ابن تيمية : « فالكتاب هو الكتاب - أي جنس الكتب المنزلة من عند الله - والأثارة كما قال من قال من السلف : هي الرواية والإسناد . وقالوا : هي الخط أيضا ، إذ الرواية والإسناد يكتب بالخط ، وذلك لأن الأثارة من الأثر ، فالعلم الذي يقوله من يقبل قوله يؤثر بالإسناد ويقيد ذلك بالخط ، فيكون ذلك كله من آثاره » ^(٢) .

ومن هنا قال علماء أدب البحث والمناظرة :

« إن كنت ناقلًا فالصحة ، أو مدعيًا فالدليل » ^(٣)

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣٩٥/٧ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥٧/١ ، ٥٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢٥٨/٧ ، ٢٥٩ (طبعة

الشعب) .

(٣) انظر : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة لعبد الرحمن حسن جنيكة الميداني ص :

٣٦٧ ، ٣٨١ - دار القلم الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م دمشق - بيروت .

ولهذا تجد كثيرا من أهل البدع يستدل على بدعته ، بنقل ضعيف أو موضوع ، أو دلالة ضعيفة ، أو بعقل فاسد :

فالشيعية الرافضة يكثر عندهم الاستدلال بالنقول الموضوعة والضعيفة ، وكذلك الدلالة الضعيفة ، ويشاركهم في ذلك طوائف من المتصوفة .

أما أهل الفلسفة والكلام فيكثر عندهم الاستدلال بالأقيسة العقلية الفاسدة ، أو الاحتمالات والتجوزيات ^(١) .

القاعدة الثانية : موافقة النصوص لفظا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ :

وذلك أن متابعة الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى أكمل وأتم من متابعتهما في المعنى دون اللفظ ؛ فالرسول (ﷺ) علم البراء بن عازب كلمات يقولهن إذا أخذ مضجعه ، وفيها « ... آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت » قال البراء : « فرددتهم لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت . قال - أي النبي (ﷺ) - : « قل آمنت بنبيك الذي أرسلت » ^(٢) تحقيقا لكمال الموافقة ، في اللفظ والمعنى .

ولهذا منع جمع من العلماء نقل حديث الرسول (ﷺ) بالمعنى ، ومن أجازاه اشترط أن يكون الناقل عاقلا عالما بما يحيل المعنى من اللفظ ، مدركا لأساليب العرب حتى يستبين الفروق ^(٣) .

فالناس في موافقة الكتاب والسنة أقسام :

الأول : من يوافقهما لفظا ومعنى ، وهذا أسعد الناس بالحق .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/١٢ ، ٢٩ ، وتحريم النظر لابن قدامة ص : ٣٠ ، ٣١ ، وشرف أصحاب الحديث للبغدادى ص : ٥٥ برقم : ١١٠ ، ص ٧٨ برقم : ١٦٧ .

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ كتاب الذكر والدعاء ... باب ما يقول عند النوم ... حديث رقم : ٢٧١٠ .

(٣) انظر : الرسالة للشافعي ص : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

الثاني : من يوافقهما في المعنى دون اللفظ ، كمن يتكلم في المعاني الشرعية الصحيحة بألفاظ غير شرعية ، وهذا كالألفاظ المجملة والتي تحمل حقا وباطلا ، كمن يتكلم في نفي الجهة عن الله (تعالى) قاصدا نفي الجهة المخلوقة ، أو ينفي الحيز والمكان المخلوقين وغير ذلك من الألفاظ التي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة ^(١) ، بل تحمل معاني صحيحة وأخرى فاسدة ، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقا للمعنى الصحيح ، قبل مراده ، ومنع من التكلم باللفظ المجمل ، وعُلم الألفاظ الشرعية في ذلك . وكذلك يدخل فيهم من نفي ظاهر نصوص الصفات قاصدا نفي المعنى الظاهر المختص بالمخلوق ، فنفيه صحيح ، لكن ظاهر النصوص لم يدل على باطل ، حتى يستوجب هذا النفي ، وإنما نفي هذا ما توهمه أنه ظاهر النص ، وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر .

الثالث : من يوافق الكتاب والسنة في اللفظ دون المعنى ، وهؤلاء كطوائف الباطنية وغيرهم ممن يعبرون عن عقائدهم الفاسدة بألفاظ شرعية ، فالصلاة عندهم كشف أسرارهم ، والصيام كتمانها ، والحج القصد إلى شيوخهم ، ونحو ذلك ^(٢) .

الرابع : من يخالف الكتاب والسنة لفظا ومعنى ، وهؤلاء أشقى الطوائف ، وهم من الكفرة والملاحدة ونحوهم .

القاعدة الثالثة : لا ينبغي بتر الدليل ، والاستدلال بجزئه :

وهذا هو شأن أهل الابتداع حتى يجدوا من الكلمات الشرعية ما يسوغ لهم بدعتهم ويجعلها تروج عند ضعفاء المسلمين :

قال محمد بن كعب القرظي (رحمه الله تعالى) في الرد على القدرية : .. وإنهم أئمتوا آية من كتاب الله (عز وجل) ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها ، يأخذون بآخرها ويتركون أولها ، والذي نفسي بيده لإبليس أعلم بالله (عز وجل) ،

(١) ومن ذلك بعض اصطلاحات المتصوفة كالقناء والشهود والغيبة ونحو ذلك . فهي تحمل معاني صحيحة وأخرى فاسدة .

(٢) انظر : الإنحزام لأفئدة الباطنية الطغام للعلوي ص : ٧١ وما بعدها .

يعلم من أغواه ^(١) ، وهم يزعمون أنهم يغوون أنفسهم ويرشدونها ^(٢) .

ولما احتج غيلان الدمشقي أمام عمر بن عبد العزيز على مقاتله في القدر بقوله (تعالى) : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢ ، ٣] قال له عمر : « أقرأ آخر السورة : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان : ٣٠ ، ٣١] ثم قال عمر : وما تقول يا غيلان ، قال : أقول : قد كنت أعمى فبصرتني ، وأصم فأسمعتني ، وضالا فهديتني ... » فتاب ، ثم رجع إلى مقاتله في عهد هشام بن عبد الملك ؛ فصلبه (٣) .

القاعدة الرابعة : الحق يقبل من أي جهة جاء :

الحق يقبل لكونه موافقا للدليل ، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه ، وهذا كان أهل السنة يقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق ، ويردون ما عندها من الباطل ، بغض النظر عن الموالي منها أو المعادي :

قال (تعالى) : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢١٣] وفي دعاء النبي (ﷺ) : « ... اهْدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » ^(٤) قال ابن القيم (رحمه الله) : « فمن هداه الله (سبحانه) إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه ، فهو ممن هدى الله لما اختلف فيه من الحق » ^(٥) .

(١) إشارة إلى قوله (تعالى) : ﴿ قَالَ رَبِّ بِنَا أَعُوذُ بِالْأَرْضِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْأَعْيُنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الحجر : ٣٩]

(٢) الشريعة للأجرى ص : ٢٢٢ .

(٣) الشريعة للأجرى ص : ٢٢٨ .

(٤) صحيح مسلم ٥٣٤/١ كتاب صلاة المسافرين - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه حديث

رقم : ۷۷۰

(٥) الصواعق المرسله ٥١٦/٢ .

وقال (تعالى) : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى اَنْ لَا تُعَدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ... ﴾ [المائدة : ٨] ومن العدل فيهم قبول ما عندهم من الحق .

وهكذا أدبنا القرآن الكريم حين ساق كلام بلقيس - وقت كفرها - ثم وافقها عليه ، قال (تعالى) - حكاية عنها - : « اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْا اَعِزَّةَ اَهْلِهَا اُذَلَّةً » قال الله (تعالى) : ﴿ وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ ﴾ [النمل : ٣٤] .

ولما دل الشيطان أبا هريرة (رضي الله عنه) إلى آية الكرسي لتكون له حرزا من الشيطان ، وذلك مقابل فكه من الأسر ، قال له النبي (ﷺ) : « صدقك وهو كذوب » ^(١) .

وكان معاذ بن جبل (رضي الله عنه) يقول : اقبلوا الحق من كل من جاء به ، وإن كان كافرا - أو قال فاجرا - واحذروا زعفة الحكيم ، قالوا : كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال : إن على الحق نورا » ^(٢) .

ولهذا قال شيخ اسلام ابن تيمية - مبينا منهجه في التعامل مع المخالفين له من أهل الكلام وغيرهم - : « وليس كل من ذكرنا شيئا من قوله - من المتكلمين وغيرهم - يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره ، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به » ^(٣) .

القاعدة الخامسة : الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف رجاله :

الحق ما وافق الدليل من غير التفات إلى كثرة المقبلين ، أو قلة المعارضين ، فالحق لا يوزن بالرجال ، وإنما يوزن الرجال بالحق ، وبمجرد نفور النافرين ، أو محبة

(١) انظر : صحيح البخاري ٤/٤٨٧ • فتح الباري • كتاب الوكالة - باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازته ... حديث رقم : ٢٣١١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠١/٥ ، ١٠٢ ، وانظر : سنن أبي داود ١٧/٥ ، ١٨ ، كتاب السنة - باب لزوم السنة حديث رقم : ٤٦١١ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠١/٥ .

الموافقين لا يدل على صحة قول أو فساد ، بل كل قول يحتاج له خلا قول النبي (ﷺ) فإنه يحتاج به : (١)

ومن المعلوم أنه لا يوجد أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ، يعتمد مخالفة النبي (ﷺ) في شيء من سنته ، لا دقيق ولا جليل ، بل هم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب متابعتها ، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويرد ، إلا الرسول (ﷺ) (٢) ، وذلك لأجل ثبوت العصمة للشارع وحده ، أما غيره فيعترضه من نقص العلم والفهم ما يستوجب عرض قوله على الشرع طلباً للإجازة والتركية .

القاعدة السادسة : حكم كلام غير الشارع :

ما يقوله سائر الناس من الكلام في المطالب الشرعية لابد من عرضه على الكتاب والسنة ، فإن وافق الكتاب والسنة فهو حق يقبل وإن خالفهما فهو باطل يرد ، وإن احتمل الجهتين :

فإما أن يعرف مراد المتكلم فيحكم له أو عليه بحسب المراد ، وإما أن لا يعرف مراده ، فينظر في سيرته - سيرة المتكلم - فإن كانت حسنة حمل كلامه على الوجه الحسن ؛ ﴿ وَالَّذِي نَبَّأَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ [الأعراف : ٥٨] وإن كانت سيرته سيئة حمل كلامه على الوجه السيء ﴿ وَالَّذِي نَبَّأَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

أما إذا عرف مراده لكن لم يعرف : هل جاء الشرع بتصديقه أو بتكذيبه ؛ فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم ، والعلم ما قام عليه الدليل ، والنافع منه ما جاء به الرسول (ﷺ) (٣) .

(١) انظر : نقض المنطق ص : ١٥٤ ، والقواعد المثلى للعثيمين ص : ٨٦

(٢) انظر : رفع الملام ص : ٤ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧/٣٥٥ ، وشرح الطحاوية ص : ١٦١ .

واعتصاما بهذه القاعدة شرح ابن القيم (رحمه الله) كتاب منازل السائرين للشيخ الهروي في كتابه القيم : مدارج السالكين ، فقبل من كلام الشيخ ما أسنده الدليل ، ورد منه ما خالفه الدليل ، وحمل على أحسن المحامل ما احتمل وجوها ، إحسانا للظن بشيخ الإسلام الهروي (١) .

القاعدة السابعة : السكوت عما سكنت الله عنه ورسوله :

كل مسألة من مسائل الشريعة - ولا سيما مسائل الاعتقاد - لا يحكم فيها ، نفيًا أو إثباتًا إلا بدليل ، فما ورد الدليل بإثباته أثبتناه ، وما ورد بنفيه نفينا ، وما لم يرد بإثباته ولا بنفيه دليل توقفنا ، ولم نحكم فيه بشيء ؛ لا إثباتًا ولا نفيًا ، ولا يعني هذا أن المسألة خالية عن الدليل ، بل قد يكون عليها دليل ، لكن لا نعلمه ، فالواجب علينا التوقف : إما مطلقًا أو لحين وجدان الدليل :

قال (تعالى) : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] قال قتادة : « لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم ، فإن الله سائلك عن ذلك كله » (٢) .

وقال (ﷺ) : « إن الله (عز وجل) فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحرم حرمان فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء من غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها » (٣) .

قال ابن تيمية : « الأقسام ثلاثة : ما علم ثبوته أثبت ، وما علم انتفاؤه نفي ، وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سكنت عنه ، هذا هو الواجب ، والسكوت عن الشيء غير المحزم بنفيه أو ثبوته » (٤) .

(١) انظر : مقدمة مدارج السالكين لمحمد حامد الفقي ص : ت - ث .

(٢) تفسير ابن كثير ٧٢/٥ (طبعة الشعب) .

(٣) رواه الدارقطني في سننه ١٨٤/٤ الرضاع حديث رقم : ٤٢ (سنن الدارقطني لعلي بن عمر الدارقطني - وبذيله : التعليق المغني ... لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي) عالم الكتب بيروت - مكتبة المتنبي القاهرة - (بدون رقم الطبعة وتاريخها) وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٠٦/٢ ، وصححه (طبعة دار احياء الكتب العربية) .

(٤) مجموعة تفسير ابن تيمية ص : ٣٥١ ، ٣٥٢ .

القاعدة الثامنة : الامتناع عن مناظرة أهل السفسطة :

إذا وضع الحق وبان لم يبق للمعارضة العلمية ولا العملية محل ، فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة ، بينة بنفسها ، ضرورية ، وجعلها الخصم كان سوفسطائيا ؛ فلا ينبغي مناظرته بعد ذلك ، قال (تعالى) : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] وقال (تعالى) : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ .. ﴾ [الأنفال : ٦] فكل من جادل في الحق بعد وضوحه وبيانه فقد غلط شرعا وعقلا ^(١) . قال المزني (رحمه الله) : « وحق المناظرة أن يراد بها الله (عز وجل) ، وأن يقبل منها ما يتبين » ^(٢) .

ولهذا كان من الأسئلة ما ليس له جواب غير السكوت والانتفاء كما قال النبي (ﷺ) : « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » ^(٣) فإن كل نظر لأبد له من ضرورة يستند إليها ، فإذا احتاجت الضرورة إلى استدلال ونظر ، أدى ذلك إلى التسلسل وهو باطل .

القاعدة التاسعة : الباطل لا يرد بالباطل ، بل بالحق :

السلف والأئمة يذمون ما كان من الكلام والعقليات باطلا ، وإن قصد به نصر الكتاب والسنة ، فيذمون من قابل بدعة ببذعة ، وفاسدا بفاسد ^(٤) . فالباطل يرد بالحق المحض ، والبدعة ترد بالسنة الصحيحة :

قال الخلال : « أخبرنا أبو بكر المروزي ، قال : كتب إلى عبد الوهاب في أمر حسين بن خلف البختري العكبري ، وقال : إنه قد تنزه عن ميراث أبيه ، فقال

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٧٤/٧ ، والقواعد الحسان للسعدي ص : ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) جامع بيان العلم ١٣٢/٢ .

(٣) صحيح البخاري ٣٣٦/٦ فتح الباري ، كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده -

حديث رقم : ٣٢٧٦ .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٦٥/٧ .

رجل قدرى : إن الله لم يجبر العباد على المعاصي ، فرد عليه أحمد بن رجاء فقال : إن الله جبر العباد ، أراد بذلك إثبات القدر . فوضع أحمد بن علي كتابا يحتج فيه ، فأدخلته على أبي عبد الله ، فأخبرته بالقصة ، فقال : ويضع كتابا ؟ وأنكر أبو عبد الله عليهما جميعا : على ابن رجاء حين قال : جبر العباد ، وعلى القدرى الذي قال : لم يجبر العباد ، وأنكر على أحمد بن علي وضعه الكتاب واحتجابه ، وأمر بهجرانه بوضعه الكتاب ، وقال لي : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد ، فقلت لأبي عبد الله : فما الجواب في هذه المسألة ؟ قال : ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ٨] ^(١) .

وهذا الفخر الرازي يرد على النصاري قولهم في إلهية عيسى بأن الإله لا يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا ^(٢) ، ومعلوم أن هذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في كلام سلف الأمة وأئمتها ، بل هي ألفاظ محدثة مبتدعة ، فيكون قد رد باطلهم بنحوه .

وفي باب الصفات رقى المعتزلة ونحوهم - للرد على المشبهة - سلم النفي والتعطيل ، قال ابن قتيبة (رحمه الله) : « وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق ، فأبطلوا الصفات ، مثل : الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك ... » ^(٣) .

وأراد بعض مثبتة القدر الرد على نفاته ، فأنكروا فعل العبد واختياره . والشيعنة أرادوا الإنكار على الخوارج الذين كفروا عليا (رضي الله عنه) فوقعوا في سائر الصحابة - عدا آل البيت - تكفيرا وتفسيقا ، وقالوا : لا ولاء إلا ببراء .

(١) السنة للخلال ص : ٥٥٢ برقم : ٩٢٥ ، والأعلام المذكورون في القصة - خلا عبد الوهاب - لم أجد من ترجم لهم .

(٢) انظر : مناظرة في الرد على النصارى للرازي ص : ٢٢ .

تحقيق : د / عبد المجيد النجار - دار الغرب الإسلامي ١٩٨٦ م بيروت .

(٣) اختلاف اللفظ ص : ٢٣ .

وهكذا ، فمن لم يعتصم بالكتاب والسنة في مناظراته لم يسلم من مثل هذه البدع .

القاعدة العاشرة : عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم :

كثير من المتناظرين قد يجعل عمدته في نفي وجود أمر ما ، عدم علمه بالدليل على وجوده ، والأصل أن عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم ، وعدم الوجدان ليس نفيًا للوجود ، فكما أن الإثبات يحتاج إلى دليل فكذلك النفي يحتاج إلى دليل ، وإلا فما لم يعلم وجوده بدليل معين ، قد يكون معلوما بأدلة أخرى ، فمثلا : عدم الدليل العقلي على وجود أمر ما ، لا يعني عدم وجوده ، لأنه قد يكون ثابتا بالدليل السمعي ، أو غيره .

فالدليل يجب فيه الطرد لا العكس ، بمعنى أنه يلزم من وجوده الوجود ، ولا يلزم من عدمه العدم ، أي عدم المدلول عليه ، قال (تعالى) : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] فهذا نعي على كل من كذب بما قصر عنه علمه .

فمن نفى كثيرا من الغيبات كالصفات والقدر والملائكة والجن وأحوال البرزخ والمعاد ، لعدم قيام دليل الحس والمشاهدة ، أو دليل العقل - كما يزعم - كان غالطا ، لأنه أخبر عن نفسه ، ولا يمنع أن يكون غيره قد قام عنده دليل العقل ، أو دليل السمع ، أو دليل المشاهدة كما وقع ذلك للرسول (ﷺ) في مشاهدة الجن والملائكة وأحوال البرزخ والمعاد (١) .

وقد رد الفخر الرازي على النصارى دعواهم إلهية عيسى (عليه السلام) لظهور الخوارق على يديه ، بأن عدم ظهور هذه الخوارق في حق غيره لا يلزم منه عدم إلهية ذلك الغير ، بل غاية ما هناك أنه لم يوجد هذا الدليل المعين ، وعليه ،

(١) انظر : مجموعه تفسير ابن تيمية ص : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، والرد على المنطقين ص : ١٠٠ ، ورفع

فيجوز - كما هو لازم قولهم - حلول الله (تعالى) في كل مخلوق من مخلوقاته ، إذ لا دليل على اختصاص عيسى (عليه السلام) بذلك ، لأنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ^(١) .

ويستثنى من هذه القاعدة ما إذا كان وجود المدلول مستلزما لوجود الدليل ، وقد علم عدم الدليل ، فيقع العلم بعدم المدلول المستلزم لدليله ، لأن عدم اللازم دليل على عدم الملزوم ، مثاله :

قد ثبت توافر الدواعي على نقل كتاب الله (تعالى) ودينه ، فإنه لا يجوز على الأمة كتمان ما يحتاج الناس إلى نقله ، فلما لم ينقل ما يحتاجون إليه في أمر دينهم نقلًا عامًا ، علمنا يقينا عدم ذلك ، نحو سورة زائدة ، أو صلاة سادسة ونحو ذلك ^(٢) .

القاعدة الحادية عشر : في لازم المذهب :

أولاً : ينبغي أن يعلم أن اللازم من قول الله (تعالى) وقول رسوله (ﷺ) إذا صح أن يكون لازماً فهو حق ، يُثَبَّت ويُحَكَّم به ؛ لأن كلام الله ورسوله حق ، ولازم الحق حق ؛ ولأن الله (تعالى) عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله ، فيكون مراداً ^(٣) .

وكذلك قول الإنسان إما أن يكون موافقاً للكتاب والسنة فيكون حقاً ، ولازمه حقاً ، وإما أن يكون مخالفاً للكتاب والسنة فيكون باطلاً ولازمه باطلاً ^(٤) .

ثانياً : اللازم من قول العالم له ثلاث حالات ^(٥) :

(١) انظر : مناظرة في الرد على النصارى ص : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) انظر : رفع الملام ص : ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) انظر : القواعد المثلى للعلمين ص : ١١ ، ١٢ .

(٤) انظر : القواعد النورانية لابن تيمية ص : ١٢٨ . تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م القاهرة .

(٥) انظر : القواعد النورانية ص : ١٢٨ ، ١٢٩ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/٢١٧ ، ٣٥/٢٨٨ ، وطريق المهجرتين لابن القيم ص : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والقواعد المثلى للعلمين ص : ١٢ ، ١٣ .

الحالة الأولى : أن يذكر له لازم قوله فيلتزمه ، مثل أن يقال لمن يشيت وزن الأعمال في الآخرة ، يلزمك القول بجواز وزن الأعراض . فيقول المثبت : نعم التزم به ، لأن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا ، والله (تعالى) على كل شيء قدير ، ثم إنه قد وجد في زماننا هذا موازين للحرارة والبرودة والإضاءة ونحو ذلك من الأعراض . وهذا اللازم يجوز إضافته إليه إذ علم منه أنه لا يمنعه .

الحالة الثانية : أن يذكر له لازم قوله ، فيمنع التلازم بينه وبين قوله ، مثل أن يقول نافي الصفات لمن يشيتها ، يلزمك أن يكون الله (تعالى) مشابها للخلق في صفاته ، فيقول المثبت : لا يلزم ذلك ؛ لأننا عندما أضفنا الصفات إلى الخالق (سبحانه) قطعنا توهم الاشتراك والمشاركة ، كما أنك أيها النافي للصفات ، تثبت ذاتا لله (تعالى) وتمنع أن يكون الله مشابها للخلق في ذاته ، فقل ذلك أيضا في الصفات إذ لا فرق بينهما .

وهذا اللازم لا يجوز إضافته إليه بعد أن بين هو وجه امتناع التلازم بين قوله وبين ما أضيف إليه .

الحالة الثالثة : أن يكون اللازم مسكوتا عنه فلا يذكر بالتزام ولا منع ، فهذا حكمه أن لا ينسب إليه ، لأنه إذا ذكر له اللازم : فقد يلتزمه ، وقد يمنعه التلازم ، وقد يتبين له وجه الحق فيرجع عن اللازم والملزوم جميعا . ولأجل هذه الاحتمالات فلا ينبغي إضافة اللازم إليه ولا سيما أن الإنسان بشر وتعثره حالات نفسية وخارجية توجب له الدهول عن اللازم ؛ فقد يغفل ، أو يسهو ، أو يتغلق فكره ، أو يقول القول في مضائق المناظرات من غير تدبر في لوازمه ، ونحو ذلك .

قال ابن تيمية (رحمه الله) : « ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم تكفير كل من قال عن الاستواء أو غيره من الصفات إنه مجاز ليس بحقيقة ؛ فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة » (١) .

لكن قد تذكر اللوازم الباطلة - لا سيما عند المناظرة - لإظهار شناعة المذهب الباطل (الملزوم) ، لأن العاقل إذا بُه إلى ما يلزم قوله من اللوازم الفاسدة ، فقد ينتبه ويرجع عن قوله .

وأهل البدع - لاضطرابهم وتناقضهم - قد يفر الواحد منهم من اللازم الحق ليقع في اللازم الباطل ، وهو يظن في ذلك السلامة : كالقدري يفر من لازم كون الله يضل من يشاء ، فيقع في لازم كونه يقع في ملكه ما لا يشاء ، وكذلك منكر الصفات يفر من التشبيه - بزعمه - فيقع في التعطيل ، والذي قد يقوده إلى التعطيل الكامل فلا يعرف إلها موجودا معبودا !!

القاعدة الثانية عشرة : الاستدلال بالدليل المتفق عليه على المسألة المتنازع فيها :

الخصمان إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا ، فإن لم يتفقا على شيء ، لم تقع بمناظرتهما فائدة ، وإذا كانت الدعوى لأبد لها من دليل ، وكان الدليل عند الخصم متنازعا فيه ، ليس عنده بدليل ، صار الإتيان به عبثا ، لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصودا ، إذ مقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه ، فلا بد من الرجوع إلى دليل يعرفه الخصم السائل ، معرفة الخصم المستدل :

ولهذا كان الرجوع عند المسلمين إلى الكتاب والسنة ، لاتفاقهم عليهما ، وكان المرجوع إليه عند التنازع مع غير المسلمين ما يسلم به الكفار ، كما قال (تعالى) - في محاجة الكفار - : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ * وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٩٠] (١) .

(١) انظر : الموافقات ٣٣٥/٤ .

القاعدة الثالثة عشرة : الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات :

وهي خاصة العقل الصحيح وصفة الفطرة السليمة ، وعليها قامت أحكام الشرع ، فالشيء يعطى حكم نظيره ، وينفى عنه حكم مخالفه ، ولا يجوز العكس بحال : وهو أن يفرق بين متماثلين أو يجمع بين مختلفين :

قال الله (تعالى) في ذم اليهود : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة : ٨٥] وذلك أنهم أغفلوا حكم التوراة في سفك الدماء وإخراج أنفسهم من ديارهم ، وأقاموه - أي حكم التوراة - في مفاداة الأسري (١) وكان الواجب عليهم إقامته في شأنهم كله .

وقال (تعالى) في شأنهم - أيضا - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة : ٩١] فكفروا برسالة محمد (ﷺ) مع ما فيها من التصديق لما معهم من التوراة والإنجيل ، والجميع يخرج من مشكاة واحدة ؛ فكان الكفر ببعض ذلك كفرا بالجميع وجحدا له (٢) .

هذا في جانب التفريق بين المتماثلات ، أما في جانب الجمع بين المختلفات ، فقد قاس اليهود الرب (جلا جلاله) على المخلوق الضعيف القاصر ، فوصفوه (سبحانه) بصفات المخلوقين ، فقالوا : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة : ٦٤] وقالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] وقالوا : ﴿ عَزِيزُ أَيْنُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٠] وفيه إثبات الصاحبة والولد وهي من صفات المخلوقات ، ويشركهم في ذلك النصارى القائلون : ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

فكل من فرق بين متماثلين أو جمع بين مختلفين من مبتدعة المسلمين يكون فيه شبه من اليهود والنصارى ، وهم إمامه وسلفه في ذلك :

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ١٤٣/٤ ، ١٤٤ ، وتفسير ابن كثير ١٧٣/١ ، ١٧٤ (طبعة الشعب) .

(٢) وانظر : تفسير ابن كثير ١٨٠/١ (طبعة الشعب) .

فنفاة الصفات : بعضها أو جميعها ، أو الصفات دون الأسماء ، أو الصفات والأسماء جميعا ، فرقوا بين المتأثرات إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر نفيا وإثباتا ، وكذلك القول في الصفات كالقول في الأسماء ، وكذلك القول في الصفات والأسماء فرع عن القول في الذات ^(١) .

وهم - أيضا - قد جمعوا بين المختلفات ، لأنهم لم يعتقدوا التعطيل إلا بعد أن قامت عندهم شبهة التشبيه ، ولهذا كان كل معطل مشبها .

ونفاة القدر فرقوا بين المتشابهات والمتأثرات من وجه ؛ حيث اعتمدوا النصوص التي تثبت قدرة العبد ومشيتته ، وأنكروا النصوص التي تثبت قدرة الخالق ومشيتته وخلقته وسابق علمه ، وجمعوا بين المختلفات من وجه ؛ حيث قايسوا المخلوق بالخالق وجعلوهما سواء فيما يجوز ويجب ويمتنع . قال ابن قتيبة (رحمه الله) : « ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر الله الذي هو سره بأرائهم وحملوه على مقاييسهم ؛ أرثهم أنفسهم قياسا على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق ، أن يجعلوا ذلك حكما بين الله وبين العبد ، فقالوا بالتخلية والإهمال ، وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء ، وقادرين على ما لا يريد كأنهم لم يسمعوها بإجماع الناس على : ما يشاء الله كان وما لا يشاء لا يكون » ^(٢) .

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة فرقوا بين نصوص الوعيد فآمنوا بها ، وبين نصوص الوعد فكفروا بها ، والجميع يخرج من مشكاة واحدة ، وفي المقابل المرجئة آمنوا بنصوص الوعد وكفروا بنصوص الوعيد .

والشيعة فرقوا بين الصحابة (رضوان الله عليهم) ، فتولوا آل البيت منهم وعادوا غيرهم ، والواجب موالاتهم جميعا . وجمعوا بين الرسول (ﷺ) وبين غيره في إثبات العصمة ، حيث ساقوها في أئمتهم ، والواجب التفريق في ذلك بين الرسل وغيرهم من الناس .

(١) راجع في ذلك : الرسالة التدمرية ص : ٢١ وما بعدها .

(٢) اختلاف اللفظ ص : ١٢ ، ١٣ .

ومن خالف هذه القاعدة - أيضا - من فرق بين الكتاب والسنة فاعتمد الكتاب دون السنة ، وكذلك من فرق بين نصوص الأحكام فاعتمدها ، وبين نصوص العقائد فأعرض عنها بتأويل أو تفويض ، أو تكذيب إن كانت أحاديث آحاد ، وكذلك من فرق بين السنة المتواترة وسنة الآحاد في باب العقائد أو الأحكام .

فكل هؤلاء واقعون في التناقض والاضطراب ، والواجب عليهم الجمع بين المتأثرات ، والتفريق بين المختلفات حتى يسلموا مما هم فيه .

القاعدة الرابعة عشرة : المعارضة الصحيحة هي التي يمكن طردها :

قال (تعالى) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

فلما سوى الملحد نفسه بالله (تعالى) في ادعاء الإحياء والإماتة طالبه إبراهيم بطرد المساواة ، وهي أن من حقوق الربوبية التصرف في الكون ، وفي كواكبه وأجرامه ، ومن ذلك أن الله (تعالى) يسير الشمس من المشرق إلى المغرب ، فإن كنت صادقا في ادعاء المساواة لله (تعالى) في الإحياء والإماتة ، فأعكس حركة هذه الشمس ، واجعلها تسير من المغرب إلى المشرق ، ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وكذلك يقال - مثلا - لنفاة بعض الصفات بقصد التنزيه ، اطرادوا حجتكم وانفوا سائر الصفات ، بل وسائر الأسماء ، حتى صفة الوجود ؛ لأن المخلوق يتصف بها ، فمن طرد منهم لم يبق عنده إله يعبد ، ولا رب يُصلي له ويسجد ، ومن فرق بقي في التناقض ، والسعيد من أثبت الصفات جميعا مع نفي التشبيه والمماثلة بين الخالق والمخلوق في شيء منها .

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٦٣/١ (طبعة الشعب) ، ومختصر الصواعق ١٠٩/١ .

القاعدة الخامسة عشرة : في مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص :

إذا تكلم المخالف باصطلاحه الخاص الذي اصطلاحه مخالفاً به ما عليه الشرع من الألفاظ ؛ فقد يعبر عن المعاني التي أثبتتها الشرع بعبارات أخرى ليست فيه ، أو أنها فيه لكن جاءت بمعان أخرى ، بل قد يكون معناها المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن منتفياً باطلاً نفاه الشرع والعقل ^(١) : كلفظ التوحيد عند الطوائف المنحرفة :

فالتوحيد عند الفلاسفة يعنون به إثبات الوجود المطلق ، مجرداً عن الماهية والصفة .
وعند الاتحادية وأصحاب وحدة الوجود : أن الرب (تعالى) هو عين كل موجود .

وعند الجهمية : التوحيد هو إنكار صفة العلو لله (تعالى) والكلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي ثبتت بالسمع ودل عليها العقل .
وعند القدرية : إنكار قدر الله وعموم مشيئته في الكائنات وقدرته عليها .
ويدخل في ذلك - أيضاً - نحو التكلم بالألفاظ المجملة كلفظ الجهة ، والحيز والمكان ، والجسم وغير ذلك .

فيبقى المخاطب لهم والراد عليهم متردداً بين أمور :

الأول : أن يخاطبهم بغير اصطلاحهم ، بل بالألفاظ والمعاني الشرعية ، فحينئذ قد يقولون : إنا لا نفهم ما قيل لنا ، أو أن المخاطب لنا والراد علينا لم يفهم قولنا ومرادنا ، ويلبسون على الناس ، بأن الذي عنيناه بكلامنا حق معلوم بالعقل أو بالدوق ، وأنه موافق للشرع .

الثاني : أن يخاطبهم بلغتهم واصطلاحهم - وقد يكون ذلك مخالفاً لألفاظ القرآن في الظاهر - فحينئذ قد ينسبون المخاطب لهم إلى أنه أطلق تلك الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً ، وأوهموا الجهال باصطلاحهم الخاص .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٢٢٣/١ .

الثالث : أن يمتنع عن موافقتهم في التكلم بها نفيا وإثباتا ، بل يستفصل عن مرادهم : فإن أرادوا بهذه الألفاظ حقا قبل ، وإن أرادوا باطلا رد ، وهنا قد ينسبونه إلى العجز والانقطاع : ^(١)

فحينئذ تختلف المصلحة ؛ فيختار المخاطب لهم ، الأسلوب الأمثل في مخاطبتهم والرد عليهم ، وذلك بحسب ما يقتضيه المقام ^(٢) :

فإن كانوا في مقام دعوة الناس إلى قولهم وإلزامهم به أمكن أن يقال لهم : لا يجب على أحد أن يجيب داعيا إلا إلى ما دعا إليه رسول الله (ﷺ) ، فما لم يثبت أن الرسول دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه ، ولا له دعوة الناس إلى ذلك .

ومثل هذا فعله شيوخ السنة بين يدي ولاية الأمور في مناظراتهم لرؤوس المعتزلة والجهمية ^(٣) .

أما إن كان المخالف معارضا للشرع بما يذكره ، أو كان غير ملتزم بالشرعية : فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من الكلام على المعاني التي يدعونها : إما بألفاظهم ، وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم ، وإن أمكن نقل معانيهم إلى العبارة الشرعية كان حسنا ، وإن لم يمكن مخاطبتهم إلا بلغتهم ، فيبان ضلالهم ، ودفع صياهم عن الإسلام بلغتهم ، أولى من الإمساك عن ذلك لأجل مجرد اللفظ :

قال شيخ الإسلام (رحمه الله) : « وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك ، وكانت المعاني صحيحة ، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم ، فإن هذا جائز حسن للحاجة ... » ^(٤) .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٢٣ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٢٩ وما بعدها .

(٣) انظر مثالا لذلك : الاعتصام : ١/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، والشرعية ص : ٦٢ - ٦٤ ، وقد تقدم ذكره

في هذا البحث ص : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٤٣ .

فمخاطبة أهل الاصطلاح بلغتهم واصطلاحهم يفيد من وجوه :

الأول : أنهم يفهمون الحجة .

الثاني : أن ذلك أبلغ في الرد عليهم ، وكسرهم .

الثالث : بيان تمكن أهل الحق من معاني مسائلهم وعرضها بأي أسلوب يقتضيه الموقف .

وقد استعمل شيخ الإسلام هذا الأسلوب في كثير من مصنفاته التي فيها الرد على أهل البدع والفلسفة ، مثل كتاب درء التعارض ، والرد على المنطقيين ، وكذلك رأيت الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله) يستخدم المنطق في الرد على من يؤمنون به ، وذلك في تفسيره أضواء البيان ^(١) .

القاعدة السادسة عشرة : التوقف عند الإيهام ، والاستفصال عند الإجمال :

إذا أورد المنازع لفظا مجملا يحتمل حقا وباطلا ، لم يكن لنا إثبات اللفظ أو نفيه ، بل الواجب التوقف ، وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق ، ولا لقصور أو تقصير في بيان الحق ، ولكن لأن اللفظ مجمل ، والعبارة موهمة مشتملة على الحق والباطل ، ففي إثباتها إثبات الحق والباطل ، وفي نفيها نفي الحق والباطل ، فالواجب الامتناع عن كلا الإطلاقين ، ثم الاستفسار عن مراد صاحبها بها فإن أراد بها حقا قبل ، وإن أراد بها باطلا رد ^(٢) .

وبعد اختيار المعنى الصحيح المراد من العبارة الموهمة ، يمنع من إطلاقها ويركب للمعنى لفظه الشرعي ، حتى ينتفي عنه الإيهام والإجمال :

مثال ذلك : لفظ الجهة لله (تعالى) ^(٣) :

فلو سأل سائل : هل تثبتون لله (تعالى) الجهة ؟

(١) انظر : مثلاً - أضواء البيان ١٤٨/٤ - ١٥٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٧٦/١ ، ومجموع تفسير ابن تيمية ص : ٣٥٢ .

(٣) انظر : القواعد المثل للعثيمين ص : ٣١ .

الجواب : لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، لا إثباتا ولا نفيا وهو لفظ مجمل محتمل ، ويغني عنه ما ثبت في الكتاب والسنة من أن الله (تعالى) في السماء . أما الجهة فقد يراد بها جهة سفلى ، أو جهة علو تحيط بالله (تعالى) ، أو جهة علو لا تحيط به :

أما المعنى الأول فباطل ، لمنافاته العلو لله (تعالى) الثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة .
والثاني باطل - أيضا - لأن الله (تعالى) أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته .

وأما المعنى الثالث : فحق يجب إثباته وقبوله ، لأن الله (تعالى) هو العلى الأعلى ، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته .
يقول طاش كبرى زاده في أصول المناظرة ^(١) :

« وليجتنب فيها عن الإطناب ثم عن الإيجاز والخطاب
إلى رفيع القدر والمهابة وعن كلام شابه الغرابة
ومجمل من غير أن يفصلا كذا تعرض لما لا مدخلا »
ولهذا يوجد كثيرا في كلام السلف النهي عن إطلاق النفي أو الإثبات في مثل هذه المواطن :

قال الإمام أحمد (رحمه الله) : « إذا سأل الجهمي فقال : أخبرونا عن القرآن ، هو الله أو غير الله ؟ قيل له : وإن الله (جل ثناؤه) لم يقل في القرآن : إن القرآن أنا ولم يقل : غيري ، وقال : هو كلامي ، فسميناه باسم سماه الله به ، فقلنا : كلام الله ، فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم غيره كان من الضالين » ^(٢) .

(١) علم البحث والمناظرة ، رسالة للعلامة أبي الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى المشهور بطاش كبرى زاده ص : ٤٢ بتحقيق : أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري - مطبعة الجبلاوي - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ، مصر .
(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص : ٧٣ (ضمن عقائد السلف للنشار) .

وفي كتاب السنة للخلال ^(١) : سئل الزبيدي والأوزاعي عن الجبر ، فقال الزبيدي : « أمر الله أعظم ، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ويقدر ، ويخلق ويحبيل عبده على ما أحبه » .

وقال الأوزاعي : « ما أعرف للجبر أصلا من القرآن ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والحبيل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) » .

قال ابن تيمية : « فهذان الجوابان اللذان ذكرهما هذان الإمامان في عصر تابعي التابعين من أحسن الأجوبة ... وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدي لأن الزبيدي نفى الجبر ، والأوزاعي منع إطلاقه ، إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحا ، فنفية قد يقتضي نفى الحق والباطل » ^(٢) وكذلك إثباته قد يقتضي إثبات الحق والباطل ، والصواب الإعراض عنه ، أو التفصيل في الجواب .

ومثال آخر لمنهج السلف في هذه المسألة ، ما أورده الإمام الذهبي في كتاب العلو ^(٣) من كلام أبي بكر محمد بن الحسن الحصري القيرواني الذي ساق أقوال جماعة من العلماء في مسألة الاستواء ، ثم قال : « وهذا هو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ولا كون فيه ولا مماسة » .

قال الذهبي معلقا على ذلك : « سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل ، فلو ورد شيء بذلك نطقنا به ، وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف » ^(٤) .

القاعدة السابعة عشرة : طالب الحق يستفيد من رد أهل البدع ، بعضهم على بعض :

قال ابن القيم (رحمه الله) ^(٥) : « من المعلوم أن كل مبطل أنكر على خصمه

(١) ص : ٥٥٥ برقم : ٩٣٢ ، وقد نقل ابن تيمية هذا النص في درء التعارض ٦٦/١ ، والفناوى

٤٣٠/٥ ، ٤٣١ ، ١٠٤/٨ ، ١٠٥ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٦٧/١ - ٦٩ .

(٣) ص : ١٥٨ .

(٤) الصواعق المرسلة ٤٥٢/٢ ، ٤٥٣ .

شيئاً من الباطل قد شاركه في بعضه أو في نظيره فإنه لا يتمكن من دحض حجته وكسر باطله ؛ لأن خصمه تسلط عليه بمثل ما سلط هو به عليه وهذا شأن أهل الأهواء مع بعضهم بعضاً ، ولهذا كان عامة ما يأتون به أبداً يناقض بعضهم بعضاً ، ويكسر أقوال بعضهم ببعض ، وفي هذا منفعة جليلة لطالب الحق ، فإنه يكفي بإبطال كل فرقة لقول الفرقة الأخرى .. » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « والمناظرة تارة تكون بين الحق والباطل ، وتارة بين القولين الباطلين لتبيين بطلانهما ، أو بطلان أحدهما ، أو كون أحدهما أشد بطلاناً من الآخر ، فإن هذا يتتبع به كثيراً في أقوال أهل الكلام والفلسفة وأمثالهم ، ممن يقول أحدهم القول الفاسد وينكر على منازعه ما هو أقرب منه إلى الصواب ، فيبين أن قول منازعه أحق بالصحة إن كان قوله صحيحاً ، وأن قوله أحق بالفساد إن كان قول منازعه فاسداً ، لتقطع بذلك حجة الباطل ، فإن هذا أمر مهم ، إذ كان المبطلون يعارضون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم ، فإن بيان فسادها أحد ركني الحق وأحد المطلوبين ، فإن هؤلاء لو تركوا نصوص الأنبياء لهدت وكفت ، ولكن صالوا عليها صول المحاربين لله ولرسوله ، فإذا دفع صياهم وبين ضلالهم كان ذلك من أعظم الجهاد في سبيل الله » ^(١) .

مثال ذلك ^(٢) :

إذا استدل متأول الصفات على منكر المعاد وحشر الأجساد بنصوص الوحي ، أبداً لها منكر المعاد تأويلات تخالف ظاهرها ، وقال للمستدل بها : تأولت أنا هذه النصوص (نصوص المعاد) كما تأولت أنت نصوص الصفات ، ولا سيما أنها أكثر وأصرح ، فإذا تطرق التأويل إليها ، فهو إلى ما دونها أقرب تطرقاً . ولا نجاة من هذا التناقض إلا بالإيمان بجميع النصوص ، وإجرائها على ظاهرها ، ومنع التأويل ^(٣) .

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٠٦/٤ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٣١٤/١٢ .

(٢) انظر : الصواعق المرسله ٤٥٣/٢ ، ٤٥٤ .

(٣) ولهذا كان تأويل بعض نصوص الصفات فتحاً لباب التأويل (التحريف) على مصراعيه أمام كل ملحد وزنديق ، ولا يسده إلا منع التأويل .

القاعدة الثامنة عشرة : القطعية والظنية من الأمور النسبية الإضافية :

كون العلم - أو الدليل - بديها أو نظريا ، قطعيا أو ظنيا ، هو من الأمور النسبية الإضافية التي تختلف باختلاف المدرك المستدل فقد يكون قطعيا عند زيد ، ما لا يعرفه غيره إلا بالنظر ، ومن اعتقد أن القطع والظن صفة لازمة للدليل بحيث يشترك في ذلك جميع الناس فقد غلط وخالف الواقع والحس ..^(١)

وعليه ، فمن أنكر بعض الأحاديث بحجة أنها ظنية ، فهذا إخبار منه عن حاله ، إذ لم يحصل له من الطرق ما يفيد العلم والقطع ، ولا يلزم من ذلك النفي النفي العام ، حتى يكون غيره من أهل الحديث والسنة لم يحصل له العلم والقطع بمدلول تلك الأحاديث :

فيقال للمنكر : اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ، واحرص عليه وتبعه واجمعه ، واعرف أحوال نقلته وسيرتهم ، واجعل ذلك غاية طلبك ونهاية قصدك حتى يحصل لك من العلم اليقيني ما حصل لغيرك ، أما مع إعراضك عنه وعن طلبه ، فلو قلت : إنه لا يفيدك ظنا فضلا عن اليقين ، كنت صادقا في الإخبار عن نفسك ، وعن حظك ونصييك منها^(٢) .

وما يذكره كثير من أهل الكلام من وجوب القطع في المسائل الخيرية والتي قد يسمونها مسائل الأصول ، وقد يوجبون القطع فيها على كل أحد ، فهذا الإطلاق والتعميم ليس بصحيح ، بل هو خطأ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، بل ما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ذلك ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٨] ، وقوله (تعالى) : ﴿ فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ ﴾ [عمد : ١٩] وأما ما تنازع فيه الناس من المسائل الدقيقة والتي قد تكون مشتبهة عند كثير منهم ، لا يقدر الواحد منهم

(١) انظر : الرد على المنطقيين ص : ١٣ ، ومختصر الصواعق المرسلة ٤٣٢/٢ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٤٣٢/٢ ، ٤٣٣ .

فيها على دليل يفيد اليقين ، لا شرعي ولا غيره ، لم يجب على مثل هذا في ذلك ما لا يقدر عليه ، وليس عليه أن يترك ما يقدر عليه من اعتقاد قول غالب على ظنه ، لعجزه عن تمام اليقين ، بل ذلك هو الذي يقدر عليه ، ولا سيما إذا كان موافقا للحق ، فالاعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ، ويسقط به الفرض ، إذا لم يقدر على أكثر منه .

ثم إن هؤلاء المتكلمين من أبعد الناس عما أوجبوه ، بل تجدهم يحتاجون بما هو أقرب إلى الأغلوطات منه إلى الظنيات فضلا عن القطعيات ، بل تجد الواحد منهم كثيرا ما يقطع بصحة حجة في موضع ، ويقطع بطلانها في موضع آخر ، بل منهم من عامة كلامه كذلك ^(١) .

القاعدة التاسعة عشرة : الاصطلاحات الحادثة لا تغير من الحقائق شيئا :

قد يستخدم المبتدعة بعض الألفاظ الحسنة يصفون بها ما هم عليه من العقائد الفاسدة ، رجاء قبولها عند ضعفاء الناس وشيوخها بينهم ، ويستخدمون في حق منازعهم من أهل السنة الألفاظ الذميمة والألقاب الشنيعة تنفيرا منهم ، وتحقيرا لعلومهم ^(٢) :

فأهل الكلام يسمون ما عندهم من الكلام عقليات وقطعيات ويقينيات ويسمون ما عند غيرهم من العلوم : ظواهر وظنيات .

ومحرفو الكلم عن مواضعه يسمون تحريفهم تأويلا ليرجى ويقبل ، وقد عرفنا أن التأويل في استعمال القرآن هو العاقبة التي يؤول إليها الأمر ، وفي عرف السلف : تفسير الكلام وشرح معناه .

والمعطلة للصفات ، يسمون نفي الصفات تنزيها وتقديسا وتوحيدا ويسمون إثباتها : تجسيما وتشبيها وحشوا ، ويلقبون مثبتها : بالمجسمة والمشبهة والحشوية .

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٥٢/١ ، ٥٣ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق ٨٧/١ - ٨٩ ، والغنية لعبد القادر الجيلاني ٧١/١ .

والمتصوفة يسمون خيالاتهم الشيطانية : حقائق ومعارف يقينية ، وقد يسمونها توحيدا ، ويسمون ما عند أهل السنة : ظواهر ورسوما وعوائق وحجبا . وكل هذه الاصطلاحات لا ينبغي أن تغير من الحقائق شيئا .

القاعدة العشرون : الحيدة عن الجواب ضرب من الانقطاع :

الحيدة : جواب السائل بغير ما سأل عنه ، كأن يقول لك قائل : من أين جئت ؟ فنقول له : حضرت الآن . فهذا ليس جوابه : ومثال الحيدة في كتاب الله (تعالى) في قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه : قال (تعالى) : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَةً ۚ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْفَعُوكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ ﴾ [الشعراء : ٧٠ - ٧٣] فصاروا بين أمرين : أن يقولوا بالإيجاب ، وليس لهم حجة على ذلك إلا مجرد الدعوى ، أو يقولوا بالنفي فتظهر حجة إبراهيم عليهم ، فلما أدركوا أن أيا من الأمرين لا يصلح جوابا يخلصهم ، حادوا عن الجواب ف﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٤] وهذا ليس جواب إبراهيم (عليه السلام) ، وإنما حيدة وانقطاع ^(١) .

ومن أمثلة حيدة أهل البدع ما أجاب به بشر المريسي عبد العزيز المكي حين سأله : هل لله علم ؟ فقال بشر : الله لا يجهل ^(٢) ، لأنه أدرك إن هو أجاب بالإثبات فقد أبطل حجته في كون القرآن مخلوقا ، لأنه لا يستطيع أن يقول : علم الله مخلوق ، والقرآن من علم الله .

وإن أجاب بالنفي كان ذلك منه تكذيبا صريحا بنصوص التنزيل فحاد عن الجواب لثلا يلزمه أحد الوجهين . فشهد المأمون عليه بالانقطاع .

★ ★ ★

(١) انظر : الحيدة ص : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر : الحيدة ص : ٣١ - ٣٦ .

الخاتمة

وتتضمن مطلبين :

- الأول : حكم من خالف منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد .
- الثاني : نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد ، ونتائج المخالفة لذلك .

المطلب الأول

حكم من خالف منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد

لقد بين النبي (ﷺ) أن هذه الأمة ستفترق - أسوة باليهود والنصارى - إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن جميعها في النار ، خلا واحدة هي الناجية ، وهي الجماعة ، وهي الفرقة المنصورة ^(١) ، وأن سب نجاتها هو التزامها بما كان عليه النبي (ﷺ) وأصحابه من أمور الديانة : علما وعملا .

وقد أفتى أهل العلم بأن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أصحاب الحديث ، حتى قال الإمام أحمد (رحمه الله) : « إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم » ^(٢) . وروي نحوه عن يزيد بن هارون ، وأحمد بن ستان ، وعلي بن المديني ، والإمام البخاري (رحمه الله) ^(٣) .

وأهل الحديث والسنة : هم الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله (ﷺ) ؛ فهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ، وأعظمهم تميزا بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها ، وهم - أيضا - أعظم الناس اتباعا لها : تصديقا وعملا وحبا ، وموالاة لمن والاه ، ومعاداة لمن عاداه ، الذين يردون المقالات المحملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة ؛ فلا ينصبون مقالة - عن رأي أو ذوق - ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم ، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول (ﷺ) ، بل يجعلون ما بعث به من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه .

(١) انظر أحاديث الافتراق والطائفة المنصورة في ص : ٣٥ ، ٣٦ من هذا البحث .

(٢) رواه عنه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص : ٢٥ برقم : ٤٢ ، ص : ٢٧

برقم : ٤٨ .

(٣) انظر : شرف أصحاب الحديث ص : ٢٦ برقم : ٤٦ ، ورقم : ٤٧ ، وص : ٢٧ برقم : ٤٨ ،

ورقم : ٤٩ ، ورقم : ٥٠ ، ورقم : ٥١ .

وما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأحكام ،
ومسائل المعاد وحشر الأجساد وغير ذلك ، يردونه إلى الله ورسوله ، فما كان من
معانيها موافقا للكتاب والسنة أثبتوه ، وما كان منها مخالفا للكتاب والسنة أبطلوه ،
ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ؛ فإن اتباع الظن جهل ، واتباع هوى النفس بغير
هدى من الله ظلم ^(١) .

وعليه ، فما عدا طائفة أهل الحديث هم أهل أهواء وبدع وتفرق ، محكوم على
جهلهم بمخالفة الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق :
قال أبو عمر بن عبد البر (رحمه الله) : « أجمع أهل الفقه والآثار من جميع
الأمصار أن أهل الكلام : أهل بدع وزيف ، ولا يعدون عند الجميع - في جميع
الأمصار - في طبقات العلماء ، وإنما العلماء : أهل الأثر والتفقه فيه ، ويتفاضلون
فيه بالإتقان والميز والفهم » ^(٢) .

وقال هارون الرشيد (رحمه الله) : « طلبت أربعة فوجدتها في أربعة : طلبت
الكفر فوجدته في الجهمية ، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة ، وطلبت
الكذب فوجدته عند الرافضة ، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث » ^(٣) .

وقال رجل للحسن بن زياد اللؤلؤي في زفر بن هذيل : « أكان ينظر في الكلام ؟
فقال : سبحان الله ! ما أحقك ! ما أدركت مشيختنا : زفر ، وأبا يوسف ، وأبا حنيفة ،
ومن جالسنا وأخذنا عنهم يهملهم غير الفقه والافتداء بمن تقدمهم » ^(٤) .

وقال الإمام مالك (رحمه الله) : « لا تجوز الإجازات في شيء من كتب الأهواء
والبدع والتنجيم ، وذكر كتبنا ، ثم قال : وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي
كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم ، وتفسخ الإجازة في ذلك » ^(٥) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) جامع بيان العلم ١١٧/٢ .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص : ٥٥ برقم : ١١٠ .

(٤) جامع بيان العلم ١١٧/٢ .

(٥) جامع بيان العلم ١١٧/٢ .

وقال ابن خويز منداد - من أئمة المالكية - : « أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع : أشعريا كان ، أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدا ، ويهجر ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها » (١) .

وقال يونس بن عبد الأعلى : « سمعت الشافعي - يوم ناظره حفص الفرد - قال لي : يا أبا موسى لأن يلقي الله (عز وجل) العبد بكل ذنب ما خلا الشرك ، خير من أن يلقيه بشيء من الكلام ، لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه » (٢) .

وأيضا - قال الشافعي (رحمه الله) : « حكمني في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ؛ فينادى عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام » (٣) .

وقال الإمام أحمد (رحمه الله) : « إنه لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل » (٤) .

وقال أبو محمد بن حزم (رحمه الله) : « ... فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله (ﷺ) ، ولا أن يأبى عما وجد فيهما ، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق ، وأما من فعله مستحلا للخروج عن أمرهما ، وموجبا لطاعة أحد دونهما فهو كافر لاشك عندنا في ذلك » (٥) .

(١) جامع بيان العلم ١١٧/٢ .

(٢) جامع بيان العلم ١١٦/٢ .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص : ٧٨ برقم : ١٦٨ ، وتحريم النظر ص : ١٧ .

(٤) جامع بيان العلم ١١٦/٢ ، وتحريم النظر ص : ١٧ .

(٥) الإحكام ١١٠/١ .

وقال (رحمه الله) - في موضع آخر - عقب قوله (تعالى) : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء : ٦١] قال : « فليتنق الله - الذي إليه المعاد - امرؤ على نفسه ، ولتوجل نفسه عند قراءة هذه الآية ، وليشتد إشفاقه من أن يكون مختاراً للدخول تحت هذه الصفة المذكورة المذمومة الموبقة الموجبة للنار ، فإن من ناظر خصمه في مسألة من مسائل الديانة وأحكامها التي أمرنا بالتفقه فيها ، فدعاه خصمه إلى ما أنزل الله (تعالى) وإلى كلام الرسول فصدّه عنهما ، ودعاه إلى قياس ، أو إلى قول فلان وفلان ، فليعلم أن الله (عز وجل) قد سماه منافقاً . نعوذ بالله من هذه المنزلة المهلكة » (١) .

حكم الاثنيتين وسبعين فرقة :

اختلف الناس في تكفير أصحاب الفرق العظمى : الخوارج والشيعة والمرجئة والجهمية ، والذي يقوى في النظر ، وبحسب الأثر عدم القطع بتكفيرهم ، ويدل عليه عمل السلف الصالح فيهم (٢) :

فمعاملة علي (رضي الله عنه) للخوارج مشهورة ، حيث امتنع عن تكفيرهم ، وقتلهم مقاتلة البغاة ، لا الكفار (٣) .

وكذلك لما ظهر معبد الجهنني وغيره من أهل القدر والتجهم لم يكن من السلف الصالح لهم إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران (٤) ، ولو خرجوا إلى كفر محض لأقاموا عليهم الحد المقام على المرتدين .

(١) الإحكام ١١٣/١ .

(٢) انظر : الاعتصام ١٨٥/٢ - ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، وانظر : مسألة في تكفير أهل البدع أم هم كأهل الكيائر (ضمن ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبح عيسى ابن سهل الأندلسي) ص : ٣٣ ، ٣٤ تحقيق : د / محمد عبد الوهاب خلاف - المركز العربي الدولي للإعلام المطبعة العربية الحديثة - الطبعة الأولى ١٩٨١ م - مصر ، وإيثار الحق ص : ٤١٦ .

(٣) انظر : إيثار الحق ص : ٤٢٩ .

(٤) كقول طائوس : « احذروا معبد الجهنني فإنه قدرني » كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٠٨ ، وكان الحسن ينهى عن مجالسته ويقول : « لا تجالسوه فإنه ضال مضل » كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ١/١٠٩ .

وأيضاً - فإن قوله (ﷺ) : « كلها في النار إلا واحدة » فيه إنفاذ الوعيد ، ويبقى الخلود وعدمه مسكوتاً عنه ؛ لأن الوعيد بالنار قد يتعلق بعصاة المؤمنين .
وأيضاً - فإن ظاهر الحديث « ستفترق أمتي ... » يقتضي أن هذه الفرق من الأمة ، وإلا فلو خرجوا إلى الكفر لم يعدوا منها البتة .

وقد أخرج عبد الله بن المبارك الجهمية من الفرق الثنتين وسبعين وقال : « أولئك ليسوا من أمة محمد (ﷺ) » ^(١) وكان يقول : « إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية » ^(٢) . قال ابن تيمية : « وهذا الذي قاله اتبعه عليه طوائف من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم ... » ^(٣) .

وقال آخرون من أصحاب الامام أحمد وغيرهم : بل الجهمية داخلون في الاثنتين وسبعين فرقة ^(٤) .

فمن أخرج الجهمية لم يكفر الفرق الاثنتين وسبعين ، بل يجعلهم من أهل الوعيد بمنزلة الفساق والعصاة ، ومن أدخل الجهمية فهم على قولين ^(٥) :

الأول : تكفير الاثنتين وسبعين فرقة ، وهو قول بعض المتأخرين المنتسبين إلى الأئمة أو المتكلمين . أما السلف والأئمة فلم يتنازعوا في عدم تكفير المرجئة والشيعة المفضلة - الذين يقدمون علياً على الخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم جميعاً) - ونحو ذلك .

الثاني : عدم تكفير أحد من الفرق الاثنتين وسبعين إلحاقاً لأهل البدع بأهل المعاصي ، فكما لا يكفر أحد بذنب ، كذلك لا يكفر أحد ببدعة .

والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير الجهمية المحضة ، المنكرين للصفات ، وحقيقة قولهم أن الله لا يتكلم ، ولا يرى ، ولا يباين خلقه ، ولا علم له

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٥٠ ، وانظر : السنة لعبد الله بن أحمد ٦/١ .

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد ٧/١ ، وانظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٥٠ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٥٠ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٥١ .

(٥) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٥١ ، ٣٥٢ .

ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا حياة ، وأن القرآن مخلوق ...

وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع عند أحمد وغيره ، وأما القدرية النافون الكتابة والعلم فكفروهم ، ولم يكفروا من أثبت العلم ولم يثبت خلق الأفعال ^(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ^(٢) : « فصل الخطاب بذكر أصليين :

أحدهما : أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقا ، فإن الله منذ بعث محمدا (ﷺ) وأنزل عليه القرآن ، وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف : مؤمن به ، وكافر به مظهر الكفر ، ومنافق مستخف بالكفر ...

وإذا كان كذلك فأهل البدع فيهم المنافق الزنديق فهذا كافر ، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية ، فإن رؤسائهم كانوا منافقين زنادقة ، وأول من ابتدع الرفض كان منافقا ، وكذلك التجهم فإن أصله زندقة ونفاق ؛ ولهذا كان الزنادقة المنافقون من القرامطة الباطنية المتفلسفة وأمثالهم يميلون إلى الرافضة والجهمية لقربهم منهم .

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا ، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة ، فهذا ليس بكافر ولا منافق ، ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا ، وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطؤه ، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه ، فهذا أحد الأصلين .

والأصل الثاني : أن المقالة تكون كفرا : كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم ، ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب وكذا لا يكفر به جاحده ، كمن هو حديث عهد

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٣٥٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٣٥٢ - ٣٥٥ .

بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام ، فهذا لا يحكم بكفره بمجرد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول ، ومقالات الجهمية هي من هذا النوع ، فإنها جحد لما هو الرب (تعالى) عليه ، ولما أنزل الله على رسوله .

وتغلظ مقالاتهم من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب والسنة والإجماع كثيرة جدا ومشهورة وإنما يردونها بالتحريف .

الثاني : أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع ، وإن كان منهم من لا يعلم أن قولهم مستلزم تعطيل الصانع . فكما أن أصل الإيمان الإقرار بالله ، فأصل الكفر الإنكار لله .

الثالث : أنهم يخالفون ما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة كلها ، لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم ، لما يوردونه من الشبهات . ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنا وظاهرا ؛ وإنما التبس عليهم واشتبه هذا ، كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة ، فهؤلاء ليسوا كفارا قطعاً ، بل قد يكون منهم الفاسق والعاصي ، وقد يكون منهم المخطيء المغفور له ، وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه .

البدعة نوعان :

لا شك أن كل بدعة ضلالة ، ومجاورة لحدود الله ، واثام للشرعية بالنقص والقصور ، وهي من هذه الجهة كبيرة وأي كبيرة ، بل هي كفر بالله ورسالاته .

لكن إذا أضيفت البدع بعضها إلى بعض ، تفاوتت رتبها ، فبعضها يقدر في أصل الإيمان وهي البدع المكفرة ، وآخر يقدر في كماله الواجب أو المستحب ، وهي ما يكون من البدع في مرتبة الكبيرة أو الصغيرة ^(١) :

(١) انظر : فتح المغيث للسخاوي ٣٣٤/١ ومسألة في تكفير أهل البدع لأبي الأصبغ ص : ٣٥ ،

٣٦ ، وإشار الحق ص : ٤١٥ ، ٤١٦ ، ومعارض القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد حكيم ٥٠٣/٢ - ٥٠٥ - دار الفتح الإسلامي الإسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

فالبدعة المكفرة تكون بإنكار أمر مجمع عليه متواتر من الشرع معلوم من الدين بالضرورة : من جحود مفروض ، أو فرض ما لم يفرض ، أو تحليل محرم ، أو تحريم حلال ، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات ، ويدخل في ذلك اعتقاد الإلهية في بعض البشر كما فعلت النصارى مع عيسى (عليه السلام) ، وغالية الشيعة مع علي (رضي الله عنه) ، وغالية المتصوفة مع بعض الشيوخ ، ويدخل في ذلك - أيضا - نفي الأسماء والصفات عن الله (تعالى) لأنه تكذيب للنصوص المتواترة المعلومة من الدين بالضرورة ولما يستلزمه من تشبيه الله (تعالى) بالمعدومات ، ويدخل في ذلك - أيضا - قول من يقول : العقل أو الذوق أو السياسة حجة مقطوعة بها ، وتعارض بها الشريعة ، وقول من يقول : أنا لا أحتاج - في أمور الديانة - إلى محمد (ﷺ) ، أو أنا معه كالحضر مع موسى لا تلزمني شريعته أو نحو ذلك من المقالات الكفرية ^(١) .

أما البدعة غير المكفرة فهي كل بدعة لم تقدح في أصل الإيمان ، ولم تبطل ما تواتر من الشرع وكان معلوما من الدين بالضرورة . لكنها ضلال وزيف عن الحق وعدول عن السنة ، وهي في ذلك على درجات :

منها : قول بعض الرافضة : إن عليا إمام ، من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، والأئمة من ولده يقومون مقامه في ذلك .

ومنها : تأخير الصلوات عن أوقاتها والمداومة على ذلك .

ولهذا قال ابن تيمية (رحمه الله) : « وما ينبغي - أيضا - أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام على درجات : منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة » ^(٢) .

(١) انظر : مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٢/١ ، ٢٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٤٨ .

التفريق بين الكفر وقائله :

وهذا من الأصول العظيمة التي امتاز بها أهل السنة والجماعة عن سائر الفرق ، أنهم يفرقون بين المقالة وصاحبها ، فالمقالة قد تكون كفراً أو فسقاً وصاحبها ليس بكافر ولا فاسق ، كما أنها قد تكون إيماناً وتوحيداً وصاحبها ليس بمؤمن ولا موحد .

ولكي توافق مقالة الكفر صاحبها ، ويوصف بها ، لابد من تحقيق شرائط وانتفاء موانع :

أما الشروط ، فمنها ^(١) :

- ١ - أن يكون صريح قوله الكفر ، عن اختيار وتسليم .
- ٢ - أن يكون لازم قوله الكفر ، وعرض عليه فالتزمه ، أما إذا لم يلتزمه ، بل رده وأنكره فليس بكافر .
- ٣ - أن تقوم الحجة عليه وتبينها ؛ لقوله (تعالى) : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] . وقوله : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ... ﴾ [النساء : ١١٥] .

وأما الموانع ، فمنها ^(٢) :

- ١ - أن يكون حديث عهد بالإسلام .
- ٢ - أن يكون قد نشأ ببادية بعيدة ، ويدخل معه من لم يجد إلا علماء الابتداع يستفتيهم ويقتدي بهم .
- ٣ - أن يكون مغيب العقل بجنون ونحوه .
- ٤ - أن لا تبلغه نصوص الكتاب والسنة ، أو بلغته ولم تثبت عنده - إن كانت سنة - أو لم يتمكن من فهمها .
- ٥ - بلغته وثبتت - عنده - وفهمها ، لكن قام عنده معارض - من رأي

(١) انظر : فتح المغيث للسخاوي ٣٣٤/١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥٠١/١٢ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٩/٣ ، ٢٣١ ، ٣٤٥/٢٣ ، ٣٤٦ ، ٢١٧/٧ ، ٢١٨ ، وطريق الهجرتين لابن القيم ص : ٤١٢ ، ٤١٣ .

أو ذوق - أوجب تأويلها ، وإن كان مخطئا . ويدخل معه المجتهد المخطيء ، فإن الله يغفر له خطأه ويشبهه على اجتهاده إن كان حسن النية .

وعليه ، فلا يجوز الحكم على معين بالكفر إلا بعد تحقيق شروطه وانتفاء موانعه ، وما أثر عن بعض السلف من إطلاق التكفير واللعن فهذا يبقى على إطلاقه وعمومه ، ولا يتعين في حق إنسان إلا بدليل : قال ابن تيمية (رحمه الله) : « فإن الإمام أحمد - مثلا - قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ، ونفي الصفات ، وامتنحوه وسائر علماء وقته ، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس ، والقتل والعزل عن الولايات ، وقطع الأرزاق ، ورد الشهادة ، وترك تخليصهم من أيدي العدو ، بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية ؛ من الولاة والقضاة وغيرهم : يكفرون كل من لم يكن جهميا موافقا لهم على نفي الصفات ، مثل القول بخلق القرآن ، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر ... »

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ، ممن ضربه وحبسه ، واستغفر لهم ، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم ، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية ، الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق ، وإن الله لا يرى في الآخرة ... » ^(١) .

فالمخالف للكتاب والسنة إما أن يكون مجتهدا مخطئا ، أو جاهلا معذورا ، أو متعديا ظلما كأن يرتكب كبيرة ، أو منافقا زنديقا كأن يطن الكفر ويظهر الإسلام ، أو مشركا ضالا وهو المصرح بالكفر . وكل يعامل بحسبه .

ومع ذلك فلا ينبغي أن يفهم أن من قام في حقه ما يمنع لحوق الوعيد به ، أو عمله هذا - مخالفته للسنة - جائز أو مشروع ، فضلا عن الوجوب أو الاستحباب .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٤٨٨ ، ٤٨٩ ، وانظر : ٣٤٨/٢٣ ، ٣٤٩ .

العذر بالجهل (١) :

لابد من التفريق بين جاهل تمكن من العلم ومعرفة الحق ثم أعرض عنه ، وآخر لم يتمكن من ذلك بوجه :

فالمتمكن المعرض مفرط تارك للواجب عليه ، لا عذر له عند الله ، وأما العاجز عن السؤال والعلم لا يتمكن منه بوجه ، فهم قسمان :

الأول : مريد للهدى ، مؤثر له ، محب له ، لكنه غير قادر عليه وعلى طلبه ، وذلك لعدم وجود من يرشده ، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة .

الثاني : معرض لا إرادة له ، لكنه لا يحدث نفسه بغير ما هو عليه .

فالأول يقول : يا رب لو أعلم لك ديناً خيراً مما أنا عليه لدنت به وتركت ما أنا عليه . ولكن لا أعرف سوى ما أنا عليه ، ولا أقدر على غيره ، فهو غاية جهدي ، ونهاية معرفتي .

والثاني راض بما هو عليه ، لا يؤثر غيره عليه ، ولا تطلب نفسه سواء ، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته . فهذا لا يجب أن يلحق بالأول لما بينهما من الفرق :

فالأول كمن طلب الدين في الفترة ولم يظفر به ، فعدل عنه - بعد است فراغ الوسع في طلبه - عجزاً وجهلاً .

والثاني كمن لم يطلبه ، بل مات على شركه ، وإن كان لو طلبه لعجز عنه ، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض .

(١) انظر : طريق المهجرتين لأبن القيم ص : ٤١٢ ، ٤١٣ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٢٢ ، واقتضاء الصراط المستقيم ٥٨٠/٢ .

والمقصود في هذا المطلب بيان أن مخالفة منهج أهل السنة في الاعتقاد ، قد تكون كفرا صريحا ، وقد تكون دون ذلك ، والمخالف قد يكون كافرا معلنا كفره ، وقد يكون منافقا مبطنا كفره ، وقد يكون معتديا ظلما ، أو جاهلا معذورا ، أو مجتهدا مخطئا . قال ابن تيمية (رحمه الله) : « ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا ، فإن المنازع قد يكون مخطئا يغفر الله خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ... بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا ، وقد لا يكون ناجيا » (١) .

المطلب الثاني

نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد ،
ونائج المخالفة لذلك :

وقد جمعت في ذلك عشرين نتيجة ، أذكرها على النحو التالي :

النتيجة الأولى : تحقيق كمال الدين ، وتمام النعمة ، وقيام الحجة :

الالتزام بهذا المنهج فيه اعتراف حقيقي بأن الله (تعالى) أكمل الدين ، وأتم النعمة ، وأن الرسول (ﷺ) بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وكشف الغمة ، وأقام الحجة ، وأوضح المحجة ، وأن الصحابة (رضوان الله عليهم) الذين هم حواريو الرسول (ﷺ) ، وورثته في العلم والإيمان ، وحفظة الله (تعالى) في عبادته ، أقاموا الدين علما وعملا ، وبلغوه لفظا ومعنى . وهذا وإن كان واضحا في كل مسائل الديانة إلا أنه في مسائل الاعتقاد أشد وضوحا ، وأعظم رسوخا ، إذ معرفة الاعتقاد « أصل الدين » ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقادا وقولا ؟!

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٩/٣ .

ومن المحال - أيضا - أن يكون النبي (ﷺ) قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة ، وقال : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » ^(١) ... محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه في قلوبهم ، في ربهم ومعبودهم رب العالمين ، الذي معرفته ، غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ، وزبدة الرسالة الإلهية ، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه : فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصرها في هذا الباب : زائد فيه أو ناقصين عنه ... » ^(٢) .

النتيجة الثانية : بيان ثبوت العصمة للشارع :

الالتزام بهذا المنهج يفيد إثبات العصمة للشارع الحكيم ، بحيث لا يجوز الاستدراك عليه ، وذلك بعد أن تقرر بالأدلة والبراهين اليقينية أن ليس في الشرع ما يخالف مقتضيات العقول الصحيحة ، كما أنه ليس في العقل الصحيح ما يخالف نصا صحيحا صريحا من نصوص الكتاب والسنة . بل كل ما يظن أنه يخالف الشرع من العقل فيمكن إثبات فساده بعقل صحيح صريح يبين أن تلك المخالفة مجرد ظن وتوهم .

وعليه ، فيجب النظر إلى الشريعة بعين الكمال لا بعين النقصان واعتبارها اعتبارا كلياً في العقائد والعبادات والمعاملات ، وعدم الخروج عنها البتة ؛ لأن الخروج عنها تبه وضلال ورمي في عمية كيف وقد ثبت كمالها وتمامها فالزائد والمنقص في جهتها هو المبتدع بإطلاق ، المنحرف عن جادة الصواب إلى بنات الطرق ، وهذا هو الذي أغفله المبتدعون فدخل عليهم بسببه الاستدراك على الشرع ^(٣) .

(١) تقدم تخرجه ص : (٢٥٥ ، ٣٧٩ ، ٤٢٦) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٥ ، ٧ .

(٣) انظر : الاعتصام للشاطبي ٣١٠/٢ ، ٣١١ .

النتيجة الثالثة : التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة :

الالتزام بهذا المنهج يفيد التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة ، والاستدلال بها مجتمعة - ما لم يكن بين بعضها تناسخ - لأنها خرجت من مشكاة واحدة ، وتكلم بها من وصف نفسه بكمال العلم وتمام الحكمة ، ومن أصدق من الله قيلا ، فلا يجوز ضرب بعضها ببعض ؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب ببعض الحق ، إذ أنه من باب معارضة حق بحق ، وهذا يقتضي التكذيب بأحدهما أو الاشتباه والخيرة ، والواجب التصديق بهذا الحق وهذا الحق ؛ قال (تعالى) : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ [الزمر : ٢٢ ، ٢٣] ﴾ فدم (سبحانه) من كَذَّبَ أو كَذَّبَ بحق ، ولم يمدح إلا من صدق وصدق بالحق ، فلو صدق الإنسان فميا يقوله ، ولم يصدق بالحق الذي يقوله غيره ، لم يكن ممدوحا ، حتى يكون ممن يجيء بالصدق ويصدق به ، فأولئك هم المتقون ﴿ ^(١) .

النتيجة الرابعة : تعظيم نصوص الكتاب والسنة :

إن الالتزام بهذا المنهج يجعل المسلم في موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة ؛ لأنه يعتقد أن كل ما تضمنته هو الحق والصواب ، وفي خلافها الباطل والضلال . أما المخالفون فقد سقطت من نفوسهم هبة النصوص حتى استحلوا حرمتها ، وعاثوا فيها تكذيبا أو تحريفا ، وإن أحسنوا المعاملة أعرضوا عنها بقلوبهم وعقوبهم ولم يستدلوا بشيء منها ، فهم : ﴿ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة : ٧٨] .

النتيجة الخامسة : عصمة علوم أهل السنة :

أهل السنة معصومون فيما يأخذونه عن إجماع الصحابة والتابعين ، لأن إجماعهم حجة ، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة ، فكيف إذا أجمع السلف الصالح

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤٠٤/٨ .

من الصحابة والتابعين وتابعيهم على مسألة ، فإن خلافتهم فيها لا يجوز ؛ لأنه خلاف الإجماع ، وخلاف القرون المفضلة .

أما أهل البدع والتفرق فلم يبالوا بهذا الأصل ، حتى أعلنوا مخالفتهم لسلف الأمة وأئمتها ، ونسبوه إلى أعظم السفه والجهل .

النتيجة السادسة : السكوت عما سكوت عنه السلف :

كل مسألة سكوت عنها الصحابة والسلف الصالح وتكلم فيها الخلف - ولا سيما فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان - إلا كان السكوت عنها أولى وأليق ، ولم يأت فيها الخلف إلا بباطل من القول وزورا . ولهذا قال عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) في وصيته إلى عدي بن أرطاة « ... فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل ، والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما يرضى به القوم لأنفسهم ؛ فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر قد كفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى - بفضل - لو كان فيه أجر ، فلتن قلتم : أمر حدث بعدهم ، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصر ، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فضلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم » ^(١) .

النتيجة السابعة : النجاة المحضة موقوفة على متابعة مذهب أهل السنة :

إن النجاة المحضة وقف على من كان على مثل ما كان عليه النبي (ﷺ) وأصحابه ، وهذا إنما يعرف عن طريق السنن المروية ، والآثار الصحابية . وأولى الناس بمعرفة ذلك هم أهل السنة والجماعة ؛ وذلك لاشتغالهم وعنايتهم بها ، وانتسابهم إليها ، بعكس أهل البدع من المتكلمة والمتصوفة الذين هم من أبعد الناس عن معرفة ما كان عليه النبي (ﷺ) وأصحابه ، مستغنين عن ذلك بالمحارات الفلسفية والخيالات الصوفية ، ومنهم من يعترف بقلّة بضاعته من الإرث النبوي ، ومنهم من لو اطلعت على مصنّفاته لا تكاد تقف على آية كريمة ، أو حديث شريف ، أو أثر عن صحابي شاهدين على أنفسهم بالجفاء .

ثم ها هي الفرق الكبار : المعتزلة والخوارج والشيعة كلهم يطعن في الصحابة (رضوان الله عليهم) طعنا صريحا ^(١) :

أما المعتزلة فقد طعن زعيمهم النظام في أكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود ، وطعن في فتاوى علي بن أبي طالب ، وثلب عثمان بن عفان ، وطعن في كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد ، وقال : إن ذلك منهم إنما كان لأجل أمرين : إما لجهلهم بأن ذلك لا يحل لهم ، وإما لأنهم أرادوا أن يكونوا زعماء وأرباب مذاهب تنسب إليهم . فنسب خيار الصحابة إلى الجهل أو النفاق .

ثم إنه أبطل إجماع الصحابة ولم يره حجة ، وأجاز أن تجتمع الأمة على الضلالة ^(٢) .

وأيضا - كان زعيمهم واصل بن عطاء الغزال يشكك في عدالة علي وابنيه ، وابن عباس ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين ، فقال مقالته المشهورة : لو شهد عندي علي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما ؛ لعلمي بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه . ووافقه على ذلك صاحبه عمرو بن عبيد وزاد عليه بأن قطع بفسق كل من الفريقين .

وأما الخوارج فتكفيرهم لعلي وأكثر الصحابة (رضي الله عنهم) واستباحتهم لدمائهم وأموالهم مشهور معلوم ، بل ساقوا الكفر إلى كل من أذنب من هذه الأمة .

أما الشيعة فشعارهم الطعن في سائر الصحابة - عدا آل البيت - وغلاتهم من السبئية والبيانية وغيرهم قد حكم علماء الإسلام عليهم بالردة والخروج من الدين بالكلية .

والإمامية منهم ادعت ردة أكثر الصحابة بعد موت النبي (ﷺ) .

والأشاعرة ونحوهم من المتكلمين ممن يدعي في طريقة الخلف العلم والإحكام ، وفي طريقة السلف السلامة دون العلم والإحكام ، يلزمهم تجهيل السلف من الصحابة

(١) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص : ٣١٨ وما بعدها .

(٢) انظر : فصل الاجماع ص : ١٤٠ من هذا البحث .

والتابعين وهو طعن فيهم من هذا الوجه . ولهذا قال ابن تيمية (رحمه الله) - بعد أن حكى عنهم هذا الكلام - : « ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض » ^(١) .

فكيف يقال في هؤلاء جميعا إنهم موافقون للصحابة في علومهم وأعمالهم !؟

النتيجة الثامنة : شرف الانتساب إلى السلف الصالح :

لقد تقدم في التمهيد لهذا البحث بيان أن السلفية تطلق ويراد بها أحد معنيين :

أحدهما : الحقبة التاريخية التي تختص بأهل القرون الثلاثة المفضلة ؛ لحديث : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. » ^(٢) .

الثاني : الطريقة التي كان عليها أهل تلك القرون الفاضلة من التمسك بالكتاب والسنة وتقديهما على ما سواهما ، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة والسلف .

فالسلفية بالمعنى الثاني منهاج باق إلى يوم القيامة يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده ؛ لحديث : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » ^(٣) .

وعليه ، فكل أحد وإن تأخر زمانه عن عصر السلف ، لكنه التزم منهاجهم في العلم والعمل فهو منهم ، وسلفي معهم ، فالمرء مع من أحب . قال أبو الوفاء ابن عقيل (رحمه الله) لبعض أصحابه : « أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن مثلهم ، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت » ^(٤) .

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٧/٤ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٣٦ .

(٣) تقدم تخريجه ص : ٣٦ .

(٤) تلييس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص : ٨٥ . إدارة الطباعة المنيرية - الطبعة

الثانية ١٣٦٨ هـ - مصر - دار الكتب العلمية بيروت .

النتيجة التاسعة : عدم صحة الإيمان المشروط :

الالتزام بهذا المنهج يقرر عدم صحة الإيمان المشروط كمن يقول : أنا لا أؤمن بنجر الرسول (ﷺ) حتى أعلم انتفاء المعارض العقلي ، أو أنا لا أؤمن حتى تصدق خبره رؤيا منام ، أو كشف ، أو ذوق ، أو حس (التجربة العملية) أو نحو ذلك من الشرائط ، فهذا إيمان لا يصح ، وصاحبه فيه شبه من الذين : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] والذين قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] .

فالواجب على الإنسان - إذا تبين له صدق الرسول - أن يؤمن بالله ورسالاته إيمانا مطلقا غير مشروط ، ولا متعلق بشيء من خارج . ولهذا كان شعار أهل الإيمان : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، وشعار أهل الكفر والطغيان : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة : ٩٣] .

النتيجة العاشرة : تكثير الصواب وتقليل الخطأ :

الاعتماد على الكتاب والسنة وإجماع الأمة في الاستدلال يقلل الخطأ ويكثر الصواب والتوفيق ، وهذا الخطأ يكون بسبب نقص علم المستدل أو قصور فهمه ، أو سوء قصده ، وهذا قد يوجد في بعض أهل السنة « فقي بعضهم من التفريط في الحق ، والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأ مغفورا ، وقد يكون منكرا من القول وزورا ، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات ؛ فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم ... » لكن - مع ذلك - هم بالنسبة إلى غيرهم - في ذلك - كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل ، فكل شر يكون في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر ، وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم ، وهكذا أهل الحديث والسنة بالنسبة إلى غيرهم من طوائف المسلمين ^(١) : يعرفون الحق ويرحمون الخلق ، أما أهل البدع فيكذبون بالحق ويكفرون الخلق ، فلا علم ولا رحمة ... ^(٢) .

(١) انظر : نقض المنطق لابن تيمية ص : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٤٣١/٢ .

النتيجة الحادية عشرة : الاستغناء بالكتاب والسنة عما سواهما :

الالتزام بهذا المنهج يفيد الاستغناء بالكتاب والسنة عن النظر في الكتب المتقدمة : كالتوراة والإنجيل والزبور ، لما أصابها من التحريف والتبديل ، والزيادة والنقصان ، فالقرآن الكريم كتاب مستقل بنفسه ، ناسخ لما قبله ، لم يحوج الله (تعالى) أهله إلى كتاب آخر - كما هو حال أهل الزبور والإنجيل مع التوراة - والقرآن قد اشتمل على جميع ما في الكتب الأخرى من المحاسن ، وعلى زيادات كثيرة لا توجد فيها ، مع ضمان الحفظ ونزاهة النص عن التحريف ، ولهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ومهيئنا عليه ، يقرر ما فيه من الحق ، ويبطل ما حرف منه ، وينسخ ما نسخ الله (تعالى) ^(١) . ولهذا لما رأى النبي (ﷺ) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ينظر في صحيفة من التوراة غضب وقال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جثتكم بها بيضاء نقية ... والذي نفسي بيده لو أن موسى (ﷺ) كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني » ^(٢) .

النتيجة الثانية عشرة : طريقة السلف : أسلم وأعلم وأحكم :

إن الذين يقولون : طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، وهي التأويل الذي هو صرف النصوص إلى معنى قد تحتمله اللغة ، لكن في غير هذا السياق المعين ، والتأويل عندهم مطنون بالاتفاق ^(٣) فلا أحد منهم يقطع بالمعنى الذي صرفوا اللفظ إليه ، لم يحصلوا شيئا ، بل تركوا النصوص وفيها الحق واليقين ، ولجأوا إلى احتمالات وتجويزات مزقتهم كل ممزق ، مع حيرة وضياح :

قال الشوكاني (رحمه الله) ^(٤) : « فهم - أي أهل الكلام - متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم ، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم ، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكيأؤهم في آخر

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٤/١٩ ، ١٨٥ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٤٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١٠٤/١ .

(٤) التحف في مذاهب السلف ص : ٣ ، ٤ .

أمرهم دين العجائز ، وقالوا : هنيئا للعامة ، فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنيء من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط ، ويتمنى أنه في عدادهم ، ومن يدين بدينهم ، ويمشي على طريقهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت ، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها : الجهل خير منها بكثير ، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه : أن الجهل خير منه ، وينتهي عند البلوغ إلى غايته ، والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلا به ، عاطلا عنه ، ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين ... » .

النتيجة الثالثة عشرة : اجتماع محاسن الفرق الأخرى لأهل السنة خالصة من كل كدر :

الالتزام بهذا المنهج يجمع لأهل السنة ما عند الفرق الأخرى من الحق ، مع نبذ أباطيلهم ؛ لأن ما عند الفرق المخالفة للحق شبه ، والشبهة ما أشبهت الحق من وجه ، ولهذا تشبه على الناس ، فأهل السنة يأخذون بالوجه الحق ، ويدعون الوجه الباطل ، وسبب هذا التوفيق هو استدلالهم بجميع النصوص ، من غير توهم تعارض بينها ، أو بينها وبين العقل الصحيح الصريح ، أما أهل الفرق الأخرى فقد ضربوا النصوص بعضها ببعض ، أو عارضوها بأرائهم وأقيستهم الفاسدة ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، وأهل السنة آمنوا بالكتاب كله ، وأقاموه علما وعملا .

النتيجة الرابعة عشرة : مخالفة مسالك الأمم الضالة :

الالتزام بهذا المنهج يفيد مجانية مسالك الأمم الضالة من اليهود والنصارى وغيرهم ، وقد أمرنا بمخالفة طرائقهم ، وتجنب سننهم ، ومنها أنهم ردوا على الرسل ما أخبروا به ، واعترضوا عليهم بالاعتراضات الباطلة ، كما قالت اليهود لموسى (عليه السلام) : ﴿ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] وقال الذين كفروا : ﴿ لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتَى بِمِثْلِ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

وكل من أوقف الإيمان بالنصوص على موافقة عقله أو قياسه أو ذوقه أو كشفه أو منامه أو حسه ففيه شبه من اليهود والنصارى والذين كفروا ، وقد أمرنا بمخالفتهم . ولهذا لا تكاد تجد شبهة أو مقالة منحرفة في الفرق المخالفة لأهل السنة ، إلا وفي اليهود والنصارى نظيرها .

النتيجة الخامسة عشرة : ما تلزمه المخالفة من الكفر ، وما يلتزمه المخالف من الدعوة إلى بدعته :

مخالفة هذا المنهج تؤدي إلى كثير من الكفريات كنفي الصفات ، والقول بخلق القرآن ، والتكذيب بالقدر ، ونفي حكمة الرب (تعالى) ومشيبته واختياره ، والحلول والاتحاد ، وتفضيل الأولياء على الأنبياء ، والتكذيب بأخبار المعاد وحشر الأجساد ، والطعن في الصحابة وحملة الدين ، وغير ذلك من الأمور الكفرية ، وقد كان لكل فرقة من الفرق المخالفة لأهل السنة نصيب من هذه الأمور وغيرها .

قال أبو الوفاء بن عقيل (رحمه الله) : « وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك ، وكثير منهم إلى الاتحاد ؛ تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين ... » ^(١) .

كما أنه يغلب على مخالف هذا المنهج أن يكون داعيا إلى بدعته ؛ لأنه يتدين بذلك ، أي يعتقد دينا وشرعة ، وأن ما عليه غيره بدعة وضلالة ، وعلى هذا يفهم قول من قال : المبتدع لا توبة له ^(٢) ؛ لأنه يعتقد أن ما عليه هو الحق ، وما دونه الباطل ، بخلاف العاصي فإنه مقرر بمخالفته ومعصيته ، فهذا يرجى رجوعه وتوبته ، بخلاف ذلك المبتدع .

النتيجة السادسة عشرة : اليقين والثبات لأهل السنة ، وفي مقابله الاضطراب والتقل لأهل البدع :

الالتزام بهذا المنهج يفيد الرجل يقينا وثباتا ، ومخالفته تفيد اضطرابا وتقلبا : قال ابن تيمية (رحمه الله) : « إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالا من قول إلى قول ، وجزما بالقول في موضع ، وجزما بنقيضه ، وتكفير قائله في موضع آخر ، وهذا دليل عدم اليقين ، فإن الإيمان كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي (ﷺ) : هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له ، بعد أن يدخل فيه ؟ قال : لا . قال : وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب ،

(١) تليس إيليس لابن الجوزي ص : ٨٥ .

(٢) انظر : الاعتصام ٢٧٢/٢ - ٢٧٤ .

لا يسخطه أحد . ولهذا قال بعض السلف - عمر بن عبد العزيز أو غيره - : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل ^(١) .

أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ، ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده ، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك ، وإن امتحنوا بأنواع المحن ، وفتنوا بأنواع الفتن ، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين ، كأهل الأخدود ونحوهم ، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة ومن صبر من أهل الأهواء على قوله ، فذاك لما فيه من الحق ، إذ لا بد في كل بدعة - عليها طائفة كبيرة - من الحق الذي جاء به الرسول (ﷺ) ويوافق عليه أهل السنة والحديث : ما يوجب قبولها ، إذ الباطل المحض لا يقبل بحال .

وبالجملة : فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو . عند أهل الكلام والفلسفة ... » ^(٢) .

النتيجة السابعة عشرة : الشك والحيرة والضياغ مصير المخالف :

مخالفة هذا المنهج أورثت المخالفين شكاً وحيرة وضياغاً :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد بلغني بإسناد متصل عن بعض رؤوسهم وهو الخوارجي صاحب « كشف الأسرار في المنطق » ، وهو عند كثير منهم غاية في هذا الفن . أنه قال عند الموت : أموت وما علمت شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب . ثم قال : الاقتدار وصف عديمي . أموت وما علمت شيئاً » ^(٣) .

وقال (رحمه الله) : « حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي أنه قال : أبيت بالليل ، واستلقي على ظهري ، وأضع الملحفة على وجهي وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء وبالعكس ، وأصبح وما ترجح عندي شيء » ^(٤) .

(١) رواه عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١١٦/٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٠/٤ ، ٥١ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٦٢/٣ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٢٦٣/٣ ، ٢٦٤ .

وقال آخر « بت البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد سالم عن المعارض فما وجدته » (١) .

وهذا الفخر الرازي يقول (٢) :

« نهاية إقدام العقول عقل وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمونا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا »
وهذا الشهرستاني يصف حال المتكلمين في قوله (٣) :

« لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم »
وقال ابن أبي الحديد المعتزلي المتشيع يصف حاله وحال إخوانه من
المتكلمين (٤) :

« فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري وانقض عمري
سافرت فيك العقول فما رحت إلا أذى السفر
فلحي الله الألى زعموا أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن قوة البشر »

قال ابن تيمية : « ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب
﴿ فِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۖ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ ﴾ [الذاريات : ٨ ، ٩] : يعلم الذكي منهم
والعاقل : أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست بيينة ، وإنما هي كما
قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٦٣/٣ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٦٠/١ ، وانظر ص : ٢٤٩ ، ٢٥٩ من هذا البحث .

(٣) نهاية الإقدام ص : ٣ .

(٤) شرح الطحاوية ص : ١٧١ .

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي (رضي الله عنه)
حيث قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل
والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر - والحيرة مستولية عليهم ،
والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم وترفت بهم ؛ أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء ، وأعطوا
فهموما وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وأبصارا وأفئدة ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأحاف : ٢٦] . ومن كان عليهما بهذه الأمور : تبين له بذلك حذق
السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه ، وذموا أهله وعابوهم ، وعلم
أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد من الله إلا بعدا ^(١) .

ولهذا من أدرته رحمة الله (تعالى) منهم خرج عن ذلك ورجع إلى طريقة
السلف وأوصى بذلك :

روى الخطيب البغدادي بسنده إلى أحمد بن سنان أنه قال : « كان الوليد
الكرائسي خالي ، فلما حضرته الوفاة قال لبيته : تعلمون أحدا أعلم بالكلام مني ؟
قالوا : لا . قال : فتهموني ؟ قالوا : لا . قال : فإني أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا :
نعم . قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم » ^(٢) قال
أبو بكر بن الأشعث : « كان أعرف الناس بالكلام بعد حفص الفرد الكرائسي » ^(٣) .
وقد سئل الإمام أحمد عنه وما أظهر : فكلح وجهه ثم قال : « إنما جاء بلاؤهم من
هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رسول الله (ﷺ) وأصحابه وأقبلوا على هذه
الكتب » ^(٤) .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١٩/٥ ، ١٢٠ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص : ٥٥ ، ٥٦ برقم : ١١١ ، وكذلك رواه ابن الجوزي في تلييس
إبليس ص : ٨٤ .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص : ٥٦ .

(٤) شرف أصحاب الحديث ص : ٦ برقم : ٦ .

وقال أبو المعالي الجويني : « لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم ، وركبت البحر الأعظم ، وغصت في الذي نهوا عنه ، كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد ، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق ، عليكم يدين العجائز ، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص ، فالويل لابن الجويني » ^(١) وكان يقول لأصحابه : « يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغل به » ^(٢) .

النتيجة الثامنة عشرة : أهل السنة أعمق علما وأسد عقلا :

لما كان أهل السنة ملتزمين المنهج الصحيح كان كلامهم في مسائل الكون صحيحا متفقا ، لا يتكلمون فيها إلا بعلم (عقلي أو سمعي) ، وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه : قال (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾ وإذا لَأَثْبِتْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿ [النساء : ٦٦ - ٦٨] ^(٣) .

وقال ابن القيم (رحمه الله) في شرح آية : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ [النور : ٣٥] قال (رحمه الله) : « النور على النور : نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح ، ونور الوحي والكتاب ؛ فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورا على نور ، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر ، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به ، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الحق ، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة بل يتصادقان ويتوافقان » ^(٤) .

(١) تلبس إبليس ص : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) تلبس إبليس ص : ٨٥ .

(٣) انظر : فتاوى ابن تيمية : ١٠/٤ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨ .

أما غير أهل السنة من المتكلمين والمتصوفة وغيرهم فكلامهم في مسائل الكون خبط من غير علم :

يقول عبد القاهر البغدادي - وهو يذكر ما أجمع عليه أهل السنة وهم - عنده - الأشاعرة - : « وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها ... وأجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها ، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست » ^(١) وزعم أنه يرد بذلك على الفلاسفة والدهرية .

فهذا الذي قاله لا يدل عليه عقل ولا نقل فضلاً عن الإجماع ، بل هو - في زماننا هذا - أشبه بالأساطير . ولهذا قال ابن تيمية (رحمه الله) : « والخطأ فيما تقوله الفلاسفة في الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع أعظم من خطأ المتكلمين ، وأما فيما يقولونه في العلوم الطبيعية فقد يكون صواب المتفلسفة أكثر من صواب من رد عليهم من أهل الكلام ، فإن أكثر أهل الكلام في هذه الأمور بلا علم ، ولا عقل ، ولا شرع » ^(٢) .

النتيجة التاسعة عشرة : قيام المدنية وازدهار الحضارات :

اعتقاد منع التعارض بين النقل والعقل يفيد في عمران الحياة ، وازدهار الحضارات ؛ فتتعم البشرية بهدي الله وشرعه ، ولأهل السنة اليد الطولى والقدر المعلى في تقدم المعارف العقلية ، والعلوم التطبيقية ، إذ ليس هناك ما يحجزهم دونها ، كما حدث في الدولة المسيحية في عصور الظلام ، حين انقذ عندهم التعارض بين نصوص الإنجيل ومعطيات العقل ، حتى تعرض المشتغلون بالعلوم التطبيقية والمعارف العقلية إلى أشد أنواع التنكيل من قبل الكنيسة حتى كان الانعتاق من سلطانها ، وبداية ظهور الاتجاه العلماني .

(١) الفرق بين الفرق ص : ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وانظر : أصول الدين له ص : ١٢٤ ، والمواقف للإنجي ص : ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .
(٢) الرد على المظيقين ص : ٣١١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « فكل من استقى أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأسد عقلا ، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال ، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم (بذلك) ^(١) متمتعين ... » ^(٢) .

النتيجة العشرون : توحيد الصفوف وجمع الكلمة :

إن الالتزام بهذا المنهج يوحد بين صفوف المسلمين ، ويجمع كلمتهم ؛ على تنوع اهتماماتهم العلمية والعملية ، وتفاضل مقاديرهم في العلم والإيمان ، ولا يعني هذا الاتفاق في جميع تفاصيل المسائل ودقائقها ، ولكن الاتفاق في الطريق والمنهج الموصل إلى الحق ، فإن وجد اختلاف بعد ذلك لم يفسد للود قضية ، بل يندفع بالتناصح والتشاور ، وتذوب حدته في بحر الألفة والمودة :

قال أبو القاسم الأصبهاني (رحمه الله) ^(٣) : « السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطرق النقل ، فأورثهم الاتفاق والائتلاف ، وأهل البدع أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف ، فإن النقل والرواية من الثقات المتقنين قلما تختلف ، وإن (اختلفت) ^(٤) في لفظ أو كلمة فذلك الاختلاف لا يضر الدين ، ولا يقدح فيه ، وأما ذكر دلائل العقل ^(٥) فقلما تتفق ، بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر ...

(١) في الأصل (كذلك) ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/٤ .

(٣) الحجة في بيان المحجة ورقة : ١٦٥ ، وهذا النص نسبته ابن القيم في مختصر الصواعق ٤٢٦/٢

وما بعدها إلى أبي المظفر السمعاني .

(٤) في الأصل (اختلف) ولعل الصواب ما أثبتته ، كما في مختصر الصواعق ٤٢٦/٢ .

(٥) هكذا في الأصل ، وفي مختصر الصواعق : وأما المعقولات والخواطر والآراء فقلما تتفق ...

وبهذا تظهر مفارقة الاختلاف في مذاهب الفروع اختلاف العقائد في الأصول ؛ فإننا وجدنا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم) اختلفوا في أحكام الدين ، ولم يفترقوا ولم يصيروا شيئا ، لأنهم لم يفارقوا الدين ، ونظروا فيما أذن لهم ، فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة ... فكانوا مع الاختلاف أهل مودة ونصح ، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ، فلم ينقطع عنهم نظام الإلفة ... فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضا ولا تفرقا ، وبقيت بينهم الإلفة والنصيحة والود والرحمة والشفقة ... » .

ولهذا قيل : الاختلاف مع التعادي والتفرق عادة أهل الكلام ، والاختلاف مع التوالي والتصويب عادة السلف وأصحاب الحديث ^(١) .

وقال قتادة (رحمه الله) : « لو كان أمر الخوارج هدى لا جتمع ، ولكنه كان ضلالا فتفرق » ^(٢) .

وقال ابن قتيبة (رحمه الله) : « ولو أردنا - رحمك الله - أن نتقل عن أصحاب الحديث ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام ونرغب فيهم ، لخرجنا من اجتماع إلى تشتت ، وعن نظام إلى تفرق ، وعن أنس إلى وحشة ، وعن اتفاق إلى اختلاف ... » ^(٣) .

★ ★ ★

(١) انظر : إثار الحق ص : ١٦٠ ، ١٦١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٢/٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٧٨/٣ .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص : ١٦ .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والأثار

فهرس الألفاظ الغريبة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

100

101

102

103

104

105

106

107

108

109

110

111

112

113

114

115

116

117

118

119

120

121

122

123

124

125

126

127

128

129

130

131

132

133

134

135

136

137

138

139

140

141

142

143

144

145

146

147

148

149

150

151

152

153

154

155

156

157

158

159

160

161

162

163

164

165

166

167

168

169

170

171

172

173

174

175

176

177

178

179

180

181

182

183

184

185

186

187

188

189

190

191

192

193

194

195

196

197

198

199

200

201

202

203

204

205

206

207

208

209

210

211

212

213

214

215

216

217

218

219

220

221

222

223

224

225

226

227

228

229

230

231

232

233

234

235

236

237

238

239

240

241

242

243

244

245

246

247

248

249

250

251

252

253

254

255

256

257

258

259

260

261

262

263

264

265

266

267

268

269

270

271

272

273

274

275

276

277

278

279

280

281

282

283

284

285

286

287

288

289

290

291

292

293

294

295

296

297

298

299

300

301

302

303

304

305

306

307

308

309

310

311

312

313

314

315

316

317

318

319

320

321

322

323

324

325

326

327

328

329

330

331

332

333

334

335

336

337

338

339

340

341

342

343

344

345

346

347

348

349

350

351

352

353

354

355

356

357

358

359

360

361

362

363

364

365

366

367

368

369

370

371

372

373

374

375

376

377

378

379

380

381

382

383

384

385

386

387

388

389

390

391

392

393

394

395

396

397

398

399

400

401

402

403

404

405

406

407

408

409

410

411

412

413

414

415

416

417

418

419

420

421

422

423

424

425

426

427

428

429

430

431

432

433

434

435

436

437

438

439

440

441

442

443

444

445

446

447

448

449

450

451

452

453

454

455

456

457

458

459

460

461

462

463

464

465

466

467

468

469

470

471

472

473

474

475

476

477

478

479

480

481

482

483

484

485

486

487

488

489

490

491

492

493

494

495

496

497

498

499

500

501

502

503

504

505

506

507

508

509

510

511

512

513

514

515

516

517

518

519

520

521

522

523

524

525

526

527

528

529

530

531

532

533

534

535

536

537

538

539

540

541

542

543

544

545

546

547

548

549

550

551

552

553

554

555

556

557

558

559

560

561

562

563

564

565

566

567

568

569

570

571

572

573

574

575

576

577

578

579

580

581

582

583

584

585

586

587

588

589

590

591

592

593

594

595

596

597

598

599

600

601

602

603

604

605

606

607

608

609

610

611

612

613

614

615

616

617

618

619

620

621

622

623

624

625

626

627

628

629

630

631

632

633

634

635

636

637

638

639

640

641

642

643

644

645

646

647

648

649

650

651

652

653

654

655

656

657

658

659

660

661

662

663

664

665

666

667

668

669

670

671

672

673

674

675

676

677

678

679

680

681

682

683

684

685

686

687

688

689

690

691

692

693

694

695

696

697

698

699

700

701

702

703

704

705

706

707

708

709

710

711

712

713

714

715

716

717

718

719

720

721

722

723

724

725

726

727

728

729

730

731

732

733

734

735

736

737

738

739

740

741

742

743

744

745

746

747

748

749

750

751

752

753

754

755

756

757

758

759

760

761

762

763

764

765

766

767

768

769

770

771

772

773

774

775

776

777

778

779

780

781

782

783

784

785

786

787

788

789

790

791

792

793

794

795

796

797

798

799

800

801

802

803

804

805

806

807

808

809

810

811

812

813

814

815

816

817

818

819

820

821

822

823

824

825

826

827

828

829

830

831

832

833

834

835

836

837

838

839

840

841

842

843

844

845

846

847

848

849

850

851

852

853

854

855

856

857

858

859

860

861

862

863

864

865

866

867

868

869

870

871

872

873

874

875

876

877

878

879

880

881

882

883

884

885

886

887

888

889

890

891

892

893

894

895

896

897

898

899

900

901

902

903

904

905

906

907

908

909

910

911

912

913

914

915

916

917

918

919

920

921

922

923

924

925

926

927

928

929

930

931

932

933

934

935

936

937

938

939

940

941

942

943

944

945

946

947

948

949

950

951

952

953

954

955

956

957

958

959

960

961

962

963

964

965

966

967

968

969

970

971

972

973

974

975

976

977

978

979

980

981

982

983

984

985

986

987

988

989

990

991

992

993

994

995

996

997

998

999

1000

أولا : فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الفاتحة :		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٢٣٨
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ... ﴾	٦	٢٨٣، ٢٠٩
﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾	٧	٢٨٣
سورة البقرة :		
﴿ قُلْ مَا آتَاكُمْ مِنْهُنَّكُمْ ﴾	١١	٦٩١
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ... ﴾	١٨، ١٧	٢٢٧
﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	٢٠، ١٩	٢٢٧
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ... ﴾	٢٤، ٢٣	٥٧
﴿ لَنْ تُؤْمِنُوا لَكَ حَتَّى ... ﴾	٥٥	٧٣٨، ٧٣٦، ٢٣٦
﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾	٥٨	٢٣٩
﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾	٥٩	٢٤٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ... ﴾	٦٧	٤٠٦
﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ... وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ ... ﴾	٧٥	٤٥٦، ٢٤٠
﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾	٧٨	٧٣٢، ٣٥٨
﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ... ﴾	٨١	٤٩٣
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ ... ﴾	٨٥	٧٠٤، ٢٣١
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا ... ﴾	٩١	٧٠٤
﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ... ﴾	٩٣	٧٣٦
﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ... ﴾	١٠٦	٢٦٦
﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ ﴾	١٢١	٤٩٥
﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ... ﴾	١٣٧	٥٢٥، ٢٥٤، ١٦٨
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٥١٤، ١٣٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آتُوا ... ﴾	١٧١، ١٧٠	١٧٠
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ ﴾	١٧٦	٢٨٨

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ... ﴾	١٧٩	١٦٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ... ﴾	١٨٣	٢٧٨
﴿ وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ... ﴾	١٩٧	١٦٩
﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً ... وَمَا اخْتَلَفَ ... فَهَدَى اللَّهُ ... ﴾	٢١٣	٣٣٩، ٢٩٦، ٢٨٩
﴿ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُزُةً ... ﴾	٢٢٤	٦٩٤
﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ... ﴾	٢٣١	٣١٤
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ... ﴾	٢٣٥	٨٧
﴿ بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ... ﴾	٢٣٧	٤١٠
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ... ﴾	٢٣٨	٥٥٤
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا ... ﴾	٢٥٣	٦٤٧
﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ ... ﴾	٢٥٤	٢٨٩، ٢٨٨
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾	٢٥٨	٨٤
﴿ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ ... ﴾	٢٦٠	٧٠٦
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ... ﴾	٢٦٩	١٢٧
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ ... ﴾	٢٨٢	١٦٩
﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ... ﴾	٢٨٥	٦٥٧، ٤٠٧

سورة آل عمران :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ... ﴾	٧	٤٤٤، ٣٣٦، ٢٣٠
﴿ وَابْتَغَاءَ تَأْوِيلَهُ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ... وَالْكَاسِحُونَ فِي الْعِلْمِ ... ﴾	٧	٤٧٩، ٤٧٤، ٤٥١
﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ ... ﴾	٧	٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٤
		٤٩٩
		٤٠٢، ٣٥٦، ٥٤٢
		٥٣٧
		٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧
		٣٤٠

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	٧	٢٣٧
﴿ إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ ﴾	٥٩	٤٨٨
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ﴾	٦٤	٦٠
﴿ وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾	٦٧	١٩٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ ﴾	٨١	٦٧١، ٢٧٧
﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾	٨٥	٢٥٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	١٠٢	٥
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾	١٠٥	٢٨٨
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾	١١٠	٤٦١، ٥
﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾	١٣٧	٨١
﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾	١٣٨	٥٤٧
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	١٤٤	٣٠٤
﴿ وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ ﴾	١٤٦	٢٧٨
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾	١٧٣	٧٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ ﴾	١٨١	٧٠٤
﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٩٠-١٩٤	١٦٩
﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾	١٩٩	٢٢٨

سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾	١	٥
﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي ﴾	١٢	٧٥
﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا ﴾	٤٢	٣٢٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾	٤٨	٤٧٥
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ ﴾	٥٢	٢٣٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنْ تَشَرَعْتُمْ ... إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾	٥٩	٢٩٣، ١٠٥، ١٠٣
		٣٠٣، ٢٩٨، ٢٩٧
		٣٣٨، ٣٠٧، ٣٠٦
		٦٥٦، ٥٣٨

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾	٦٠	٢٩٩
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾	٦١	٣٠٧، ٢٩٩، ١٠٥
		٧٢٢
﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يُخْلِفُونَ ﴾	٦٢	٣٠٨، ٢٩٣
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾	٦٥	٢٣٦، ٢٢٩، ١٠٤
		٦٥٦، ٢٩٩، ٢٩٢
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ﴾	٦٦-٦٨	٦٥٧، ٥١٣، ٤٠٧
		٧٤٣
﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾	٧٠، ٦٩	٣٠١
﴿ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ ﴾	٧٥	٤٣٩
﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾	٧٨	٤٥٩
﴿ مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ ﴾	٨٠	١٠٣
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ .. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ﴾	٨٢	٢٧١، ٢٤٠، ٥٨
		٣٣٧، ٣١٧، ٢٨٠
		٤٧٩، ٤٥٨، ٣٧٧
﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ .. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾	٨٣	٤٩١، ٤٨٩، ٢٩٨
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾	٨٧	٢٨٠
﴿ وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾	١١٥	٣٩٩، ١٣٧، ١٠٤
		٧٢٧
﴿ يَعْدهم وَيُنْهِيهم ﴾	١٢٠	٦٧٤
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾	١٢٢	٢٨٠
﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾	١٣٤	٣٢٦
﴿ رَسُلًا يُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾	١٦٥	٤٢٦، ٣٧٨، ٢٥٤
﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ﴾	١٦٦	٢٢٤
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾	١٧١	٤٨٧
سورة المائدة :		
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ... أَيُّوْمُ اكْمَلْتُمْ لَكُمْ ﴾	٣	٣٣٩، ٢٥٣، ١١٠
﴿ وَلَا يَجْرُ مِنْكُمْ شَتَانٌ قَوْمٌ ﴾	٨	٦٩٥
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾	١٥، ١٤	٢٥٣

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ يَهْدِي بِهُ آتَهُ ﴾	١٦	٤٩٢، ٤٠٧
﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾	٣٨	٥٥٤، ٧٥
﴿ وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ ﴾	٤٣	٢٧٨
﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴾	٤٨	١٩
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾	٥٩	٦٠
﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾	٦٤	٧٠٤، ٢٣٩
﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ ﴾	٦٧	٢٣٤، ٩٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ﴾	٩٠	١٧٠
﴿ أَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	٩٨	٧١٣
سورة الأنعام :		
﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا ﴾	١٩	٤٢٦
﴿ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٢٣	٣٢٦
﴿ فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾	٣٣	٢٢٦
﴿ وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ ... مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ ﴾	٣٨	٢٥٢، ١١٢، ١١١
﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾	٨٢	٧٤
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾	٩٠	٢٨٢، ٢٧٩
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	٩١	٥٦٥
﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾	١٠٣	٣٢٩
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾	١١٥	٢٥٧، ٦٦
﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ ﴾	١٢٤	٣٨٥، ٢٣٦
﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانُ مَتَشَبِهًا ﴾	١٤١	٤٧٣
﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾	١٤٨	٦٧١، ٤٧
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴾	١٥٩	٢٨٨
﴿ قُلْ إِنِّي هِدَانِي ربي ... دِينًا قِيمًا ﴾	١٦١	١٩١، ٢٧٩
سورة الأعراف :		
﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾	١٢	٣٥٨
﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	٢٩	١٩٧

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾	٣٠	٤٩٢، ١٩٧
﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾	٥٢	٥٣٨، ٤٥٣
﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾	٥٣	٥٣٨، ٤٨٤، ٤٥٣
﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾	٥٤	٥٧٢
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾	٥٤	٤٨٨، ١٦٩
﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ ... وَالَّذِي خَبِثَ ﴾	٥٨	٦٩٦
﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾	١٤٢	٣٩٨
﴿ رَبِّ ارْنِي ... لَنْ تَرَانِي ﴾	١٤٣	٣٢٩
﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ ﴾	١٤٨	٢١٥
﴿ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ ﴾	١٥٦	٣٤٦
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾	١٧٢	١٩٧، ١٩٠
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾	١٧٩	١٩٣
﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعْنَكَ مِنْ ﴾	٢٠٠	٢٠٩

سورة الأنفال :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ... وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمَ ﴾	٢	٤٧، ٤٢٥
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾	٤-٢	٣٨٦
﴿ يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبِينَ ﴾	٦	٦٩٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا ﴾	٢٤	١٠٥
﴿ وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمَ ﴾	٣١	٤٦٧
﴿ وَإِذْ قَالُوا آلَهِمْ إِنْ كَانَ ﴾	٣٢	١٧٧
﴿ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا ﴾	٧٢	٥٤٢
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا ﴾	٧٥	٥١٦

سورة براءة :

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرَ ﴾	٥	٢٦٧
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... عَزِيزُ آيِنِ اللَّهِ ... الْمَسِيحُ آيِنِ اللَّهِ ﴾	٣٠	٧٠٤، ٦٠
﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾	١٠٠	٥١٥
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ ﴾	١١٥	٣٧٨، ٢٥٣

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وإذا ما أنزلت سورة ﴾	١٢٥، ١٢٤	٣٨٧، ٣٨٦
﴿ لقد جاءكم رسول ﴾	١٢٩، ١٢٨	٦٨
سورة يونس :		
﴿ تلك نأيت الكتب الحكيم ﴾	١	٤٨٨
﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا ﴾	٣٩	٧٠٠، ٦١٥، ٤٥٩
﴿ يأيها الناس قد جاءكم ﴾	٥٨، ٥٧	٤٢٥، ٤٢٤
﴿ ألا إن أولياء الله ﴾	٦٣، ٦٢	٦٦١، ٦٦٠
﴿ فأجمعوا أمركم ﴾	٧١	١٣٣
﴿ قل انظروا ماذا ﴾	١٠١	٢١٢
سورة هود :		
﴿ آلر كتب أحكمت نأيته ﴾	١	٤٨٣، ٤٧٧، ٤٥٥
﴿ وما من دابة في الأرض ﴾	٦	٧٣
﴿ تلك من أنباء الغيب ﴾	٤٩	٥٨
﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾	١١٩، ١١٨	٢٨٨
سورة يوسف :		
﴿ إنا أنزلناه قرآنا ﴾	٢	٢٣٩، ٥٦
﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا ﴾	٤	٥٣٩
﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾	٦	٥٣٩
﴿ وأجمعوا أن يجعلوه ﴾	١٥	١٣٣
﴿ وكذلك مكنا ليوسف ﴾	٢١	٥٣٩
﴿ ثم بدا لهم من بعد ﴾	٣٥	٢٧٣
﴿ نبينا بتأويله ﴾	٣٦	٥٣٩، ٤٨٤
﴿ قال لا يأتيكما طعام ﴾	٣٧	٥٣٩
﴿ وما نحن بتأويل الأحلم بعلمين ﴾	٤٤	٥٣٩
﴿ أنا أنبيكم بتأويله ﴾	٤٥	٥٣٩
﴿ تزرعون سبع سنين دأبا ﴾	٤٧	٢٧٢

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ فلن أبرح الأرض ﴾	٨٠	٤٦٧
﴿ وسئل القرية التي كنا فيها ﴾	٨٢	٤٤٠
﴿ يَأْتِ هذا تَأْوِيلُ رِأْيِي من قبل ﴾	١٠٠	٥٣٩، ٥٣٧، ٤٨٤
﴿ ورفع أبويه على الْعَرْشِ ﴾	١٠٠	٥٣٩
﴿ وعلمتني من تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾	١٠١	٥٣٩
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	١٠٩	١٦٥
﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾	١١١	٢٥٢

سورة الرعد :

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ ﴾	١٩	٤٢٥
﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُم ﴾	٣٦	٤٢٦
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ ﴾	٣٨	٢٧٤
﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾	٣٩	٢٧٤

سورة إبراهيم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ ﴾	٤	٤٤٣
﴿ أَفَى اللَّهِ شُكٌ ﴾	١٠	٢١٣
﴿ وَلْيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ ﴾	٥٢	٢١٧

سورة الحجر :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾	٩	٧١، ٦٦، ٦١
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ ﴾	٣٩	٦٩٤

سورة النحل :

﴿ وَعَلَّمَتْ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾	١٦	١٧٦
﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾	١٧	٢١٤
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾	٣٦	٢٧٨
﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾	٤٣	٤٩١
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾	٤٤	٣٣٩، ٣١٨، ٧٤
		٤٥٧

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾	٤٧	٤٤٧
﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾	٦٢	١٦٦
﴿ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ ﴾	٦٤	٢٩٦
﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أُمَهَّتْكُمْ ﴾	٧٨	٢٠٣، ١٩٣، ١٨٩
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾	٨٩	٤٥٧، ٢٥٢، ١١١
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾	٩٨	٥٣
﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ... لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ... ﴾	١٠٣	٧٢، ٦٠، ٥٩

سورة الاسراء :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾	٩	٢٥٣
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ ﴾	١٥	٤٣٨، ٤٢٦، ١٧٤
		٧٢٧
﴿ وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾	٣٦	٦٩٧
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴾	٤٦، ٤٥	٤٥٨، ٥٤
﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ... ﴾	٥٨	٢٨٤
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴾	٦٧	٢١٧
﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾	٨٥	١٧٥
﴿ قُلِ ءَامِنُوا بِهِ ﴾	١٠٧	٤٢٥
﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾	١٠٧-١٠٩	٤٢٦

سورة الكهف :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	٢٩	٦٩٨
﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٤٩٢
﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٥٦	٣٧٨
﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾	٧٨	٥٤٠
﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ ﴾	٨٢	٥٤٠، ٦٧٣

الآية الرقم الصفحة

سورة مريم

٤٧٢	١٢	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾
٢٧٨	٣١	﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ ﴾
٢١٥	٤٢	﴿ يَأْتِ لَمْ تَعْبُد ﴾
٢٢٨	٥٩	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾
٢٨٠	٦٤	﴿ وَمَا كَانَ رِيبُكَ نَسِيًّا ﴾
٤٩٢	٦٥	﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

سورة طه :

٢٤٩	٥	﴿ أَلَرَحْمَنٌ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
٥٤٠	١٢	﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾
٤٠٦	٢٤	﴿ إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾
٤١٧، ٢٠٤	٥٠	﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾
٢٨٠	٥٢	﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾
٤٧٥	٨٢	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾
٢٤٩	١١٠	﴿ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾

سورة الأنبياء :

٢٩٩	٧	﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾
٧٣	١٢، ١١	﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾
٢٧٨	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾
٤٦٣	٧٩	﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَامَاتِنَا حَكْمًا وَعِلْمًا ﴾
٤٤٠	١٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾

سورة الحج :

٣٧٨	٤٠٣	﴿ وَمَنْ الْإِنْسَانُ مَنْ يُجَادِل ﴾
٣٧٨	٨	﴿ وَمَنْ الْإِنْسَانُ مَنْ يُجَادِل ﴾
٢٧٨	٢٧	﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾
١٦٢	٤٦	﴿ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾
٤٧٦، ٢٦٦	٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ... فَيَنْسَخَ اللَّهُ ﴾
٢٧٩	٧٨	﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾

الآية الرقم الصفحة

سورة المؤمنون :

٣٧٨	٦٨	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾
٧٠٣	٨٤-٩٠	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾
٣٢٦	١٠١	﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾

سورة النور :

١٢٩	٢	﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾
٧٤٣	٣٥	﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾
٣٢٩	٤١	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ﴾
٣٠٠، ١٠٥	٤٨، ٤٧	﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾
٢٢٧	٤٩	﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ آلَهِ ﴾
٢٩٢	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٠١	٥٢، ٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
١٠٤	٦٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴾
١٠٤	٦٣	﴿ فليحذر الذين يخالفون ﴾

سورة الفرقان :

٤٢٦	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ ﴾
٤٥٧	٢٣	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ ﴾
١٦٥	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسِبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ ﴾

سورة الشعراء :

٣٣٠	٦٢، ٦١	﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَ ﴾
٤٢١	٦٣	﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ ﴾
٧١٥	٧٠-٧٣	﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمُهُ ﴾
٧١٥	٧٤	﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾
٤٥٧	١٩٥، ١٩٤	﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾

سورة النمل :

٥٦	٦	﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ ﴾
٦٩٥	٣٤	﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ﴾
٥٠٥	٥٩	﴿ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ﴾

الآية	الرقم	الصفحة
سورة القصص :		
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾	٣٤	٤٣٨
سورة العنكبوت :		
﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	١٤	٣٩٨
﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ﴾	٣٥	١٦٩
سورة الروم :		
﴿ فَطَرْتُ اللَّهَ .. الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ ﴾	٣٠	٢١٨، ٢١٣، ١٩٣
سورة لقمان :		
﴿ إِنَّ الشَّيْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٧٤
سورة الاحزاب :		
﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾	٤	٢٥٣
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ﴾	٧	١٩١
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﴾	٢١	٣٣٨
﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ﴾	٢٣	٦٨
﴿ وَأَذْكُرْ مَا يَنْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾	٣٤	٨٧
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْتِنَةٍ ﴾	٣٦	١٠٥
﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا ﴾	٦٧	٢٢٧
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	٧١، ٧٠	٥
سورة سبأ :		
﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾	٦	٥٠٥، ٤٢٥
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ ﴾	٤٦	٢١٢
سورة فاطر :		
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١	١٨٥
﴿ يَضِلُّ اللَّهُ مِنْ يَشَاءَ ﴾	٨	٦٩٩
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾	١٠	٢٤٩
﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾	١٨٠-١٨٢	٢٨٢

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الصافات :		
﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	٢٧	٣٢٦
﴿ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	٦٥	٤٥١، ٤٤٨
﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾	١١٢	١٩٤
سورة ص :		
﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾	٢٩	٤٥٨
﴿ لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدِي ﴾	٧٥	٥٥٤
﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾	٨٦	٤٩٦، ٤٣١، ٤٣
سورة الزمر :		
﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ﴾	٣	٥٦٦، ٥٦٥
﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ ﴾	٢٣	٤٧٨، ٤٢٥، ٣١٧
		٤٨٨
﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ ﴾	٢٧	٤٥٨
﴿ قَرَأَانَا عَرَبِيًّا ﴾	٢٨	٧٢
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾	٣٠	٣٥٤، ٣٠٤، ٢١٣
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ﴾	٣٣، ٣٢	٧٣٢، ٣٤٦، ٢٤١
﴿ وَيَذَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ ﴾	٤٧	٢٧٣
﴿ وَيَذَا لَهُمْ سِيعَاتِ ﴾	٤٨	٢٧٣
﴿ إِنْ اللَّهُ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ ﴾	٥٣	٤٧٥
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٦٢	٢٣٨
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	٦٧	٤٦١
﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ﴾	٦٨	٣٢٧
﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾	٧١	١٨١
سورة غافر :		
﴿ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾	٤٤	٥٧٩
﴿ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	٦٠	٣٢٨
سورة فصلت :		
﴿ أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ ﴾	٩-١١	٣٢٦

الآية	الرقم	الصفحة
﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾	٢٤	٢٨٠
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا ﴾	٤٤	٤٦٦
﴿ وَمَا رَيْكَ بِظِلَامٍ ﴾	٤٦	٤٩٢
سورة الشورى :		
﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ ﴾	١٠	٢٩٧
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾	١١	٤٩٢، ٢٣٨، ٤٧، ٧
		٥٦٢
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾	١٣	٢٧٧
سورة الزخرف :		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا ﴾	٣	٧٢
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ غَافِقًا ﴾	٢٢	٢٩٤
﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا ﴾	٢٣-٢٥	٣٠٨
﴿ أَوَلَوْ جَفَّكُمْ بِأَهْدَى ﴾	٢٤	٢٩٤
﴿ وَسَلَّ مِنْ أَرْسَلْنَا ﴾	٤٥	٢٧٨
﴿ الْأَحْلَاءُ يُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ ﴾	٦٧	٧٤
﴿ إِلَّا مِنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾	٨٦	٥١٥
سورة الدخان :		
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	٤٩	٣٩٦
سورة الجاثية :		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾	١٨	٣٨٦
﴿ إِنَّا كُنَّا نُنْشِخُ ﴾	٢٩	٢٦٦
سورة الأحقاف :		
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾	٤	٦٩١
﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا ﴾	٩	٢٨٢
﴿ تَنْدَمِرُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾	٢٥	١٩٣
﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ ﴾	٢٦	٧٤٢، ١٨١
﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ ﴾	٣٥	٢٧٨

الآية	الرقم	الصفحة
سورة محمد :		
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾	١٧	٧٤٣، ٥١٣، ٤٠٧
﴿ فاعلم أنه ﴾	١٩	٧١٣
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾	٢٤	٤٥٨، ٣٧٧
سورة الفتح :		
﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	٧	٣٢٦
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	١٤	٣٢٦
﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ ﴾	٢٥	٢٢٨
﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾	٢٦	٥٢١
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾	٢٩	٥٢١
سورة الحجرات :		
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١	٤٣
﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾	١٣	٤٣٩
سورة ق :		
﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ﴾	١٥	١٦٦
سورة الذاريات :		
﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾	٩، ٨	٤٧٩، ٣١٧
سورة النجم :		
﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾	٢-٤	٢٣٧
﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ آلِهَةٍ ﴾	٤، ٣	٣٣٨، ٣١٨، ٨٦
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾	٥	٨٩
﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ﴾	٢١	١٦٦
﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾	٢٣	٣٧٩، ٣٥٧، ٢٢٨
﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ ﴾	٢٦	٧٤
سورة القمر :		
﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾	١٧	٤٥٧

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الواقعة :		
﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾	٧٩	٤٠٦
سورة الحديد :		
﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ ﴾	٢٢	٢٨٠
سورة المجادلة :		
﴿ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾	٤	٥٤٧
﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	١١	٢٢٥
سورة الحشر :		
﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾	٧	١٠٤، ١٠٣، ٧٤
﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾	١٠	٥١٦، ٢٨٢، ٤٨
سورة الصف :		
﴿ فَلَمَّا زَاغُوا ﴾	٥	٤٩٢
سورة الجمعة :		
﴿ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ ﴾	٣	٥١٦
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾	٤	٩
سورة التغابن :		
﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾	١٨	٢٨٠
سورة الطلاق :		
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾	٣، ٢	٦٦٣، ٦٦٠
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ ﴾	١٢	٢٨٠
سورة التحريم :		
﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾	٦	٤٤٠
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾	١٠	٥٤٧
سورة الملك :		
﴿ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا ﴾	٩، ٨	٤٢٦
﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾	١٠	١٥٩
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾	١٤	٢٨٠

الآية	الرقم	الصفحة
سورة القلم :		
﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٦، ٣٥	٦٧١
سورة الجن :		
﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ ﴾	٢٣	١٠٤
سورة المدثر :		
﴿ وَيَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	٣١	٤٨
﴿ فَمَا تَفْعُلُهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾	٤٨	٤٩٣
سورة القيامة :		
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾	١٧	٥٤، ٥٣
﴿ وَجُودَ يَوْمِئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴾	٢٣، ٢٢	٣٣٠
سورة الانسان :		
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾	٣٠٢	٦٩٤
﴿ وَمَا تَشَاوُنْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	٣٠	٤٩٣
﴿ وَمَا تَشَاوُنْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾	٣١، ٣٠	٦٩٤
سورة النازعات :		
﴿ أَمْ أَلْسَاءُ بَنَاهَا ﴾	٣٠-٢٧	٣٢٦
سورة عبس :		
﴿ فَأَنبِتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعُشْبًا ﴾	٣١-٢٧	٤٤٦
﴿ وَفُكِّهَةً وَأَبًّا ﴾	٣١	٤٤٦
سورة الانفطار :		
﴿ إِذَا كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَفْطُرَ ﴾	١	١٨٥
سورة الفجر :		
﴿ وَجَاءَ رَيْكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا ﴾	٢٢	٥٥٦
سورة الفيل :		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾	١	٤٠٠

الآية	الرقم	الصفحة
سورة النصر :		
﴿ فسيح بحمد ربك ﴾	٣	٥٤٠،٤٥٣
سورة الاحلاص :		
﴿ قل هو الله أحد ﴾	١	٤٨٨
﴿ ولم يكن له كفواً ﴾	٤	٥٧٤،٤٧٥

ثانيا : فهرس الأحاديث والآثار

الأحاديث	رقم الصفحة
ابسط رداءك	٩٥
اتقوا الله يا معشر القراء ... خديفة بن اليمان .	٥١٩
أُتُكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ ...	٩٧، ٨٦
أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ... اسْقِهِ عَسَلًا	٢٤٠
احذروا معبدًا الجهنمي فإنه قدرى ... طاووس .	٧٢٢
أَدْرَكْتُ عِشْرِينَ وَمِائَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ... ابن أبي ليلى .	٩٥
إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا	٩٦، ٩٥
إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ ... سفيان الثوري	٤٦٤
إِذَا حَكَّمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهِدْ	٢٤٦
أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ ... عبد الله بن عباس .	٣٨٦
أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ... زيد بن ثابت .	٦٤
اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْحَجِّ ... الأعمش .	٤٦٤، ٤٦٣
اسْتَفْتِ قَلْبِكَ وَإِنْ أَفْكَاكِ النَّاسُ ...	٦٦٦
الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ... مالك بن أنس .	٥٨٩، ٢٣٤
أَسْرَ إِلَيَّ النَّبِيُّ (ﷺ) أَنْ جَبِيلَ ... فاطمة .	٣١٥
اسْقِ يَا زَيْبِرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ	٣٠٠، ٢٩٩
الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ ... ابن المبارك .	١٠٠
أَصَبْتُ الْفِطْرَةَ ، أَوْ هَدَيْتُ الْفِطْرَةَ	٢٠٤
أَصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السَّنَةِ ... الأوزاعي .	٥٢١
أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ	٥٣٧، ٤٩١، ٤٨٥
اعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ فَحَلَّلُوا حَلَالَهُ	٤٨٣
اعْمَلُوا بِكِتَابِ اللَّهِ	٤٩١، ٤٨٣
اعْمَلُوا فَكُلْ مِيسِرَ لِمَا خَلَقَ لَهُ	٧
أَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى الْمَدِينَةِ	٤١٠
اقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ ... معاذ بن جبل .	٦٩٥
اقتدوا باللذين من بعدي	٥١٨

رقم الصفحة

الأحاديث

- ٦٥٨ اقتربوا من أفواه الطمعين واسمعوا منهم ... عمر بن الخطاب .
 ٥٤٩ اقرعوا الزهراوين
 ٨٦ اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق .
 ١٣٨ أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم
 ٣٠٢ اللهم رب جبرائيل
 ٧٦ اللهم علمه الكتاب
 ٥٤١،٤٨٢ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ...
 ٨٩،٨٧،٧٤ ألا إني أوتيت القرآن
 ١٣٨ ألا فمن سره بمحبوة الجنة
 ٣٠٩ ألا لا يقلدن أحدكم دينه ... ابن مسعود .
 ٢٠١،١٩٨،١٩٦ الله أعلم بما كانوا عاملين
 ٦٩٢ آمنت بكتابك الذي أنزلت
 ٩٦ أما إني لم أهتمك ... عمر بن الخطاب .
 ٧٣٧،٦٧٢،٤١ أمتهوكون يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها ...
 ٥٧٢ أمروا هذه الأحاديث كما جاءت ... الأوزاعي .
 ١٩٧ إن الله (عز وجل) إذا خلق العبد
 ٥١٩،٥٠٤ إن الله (عز وجل) نظر في قلوب العباد ... ابن مسعود .
 ٣٦٥ إن الله (عز وجل) يقول يوم القيامة
 ٦٩٧ أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها
 ٥٠٥،٥٠٤ أن الله اختار أصحابي
 ١٣٩ إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة
 ١٩٠ إن الله يقول لأهل النار
 ٣٩ إن جمهور الناس فارقوا ... ابن مسعود .
 ١١٤ إن الحديث سيفشوا عني ... (مختلف)
 ٦٥ إن خديجة بن الإيمان قدم على عثمان ... أنس بن مالك
 ٥٤٠ أن رجلا خلع نعليه ... لم خلعت نعليك ؟ كعب الأحبار
 ٤٩٩،٤٤ أن رجلا يقال له صبيغ ... سليمان بن يسار .
 ٣٠٤،٣٠٣ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح ... عائشة .

رقم الصفحة

الأحاديث

- ١٣٨ إن رسول الله قام فينا كمقامي فيكم ... عمر بن الخطاب .
- ١٧٢ إن الرق والتمائم والتولة شرك
- ٨٨، ٨٥ إن الروح الأمين قد ألقى في روعي
- ٨٨ إن روح القدس نفث ...
- ٥٢٦ إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون ... عباد بن العوام .
- ٤١٠ إن في المعارض لندوحة عن الكذب ...
- ٥٢٠ إن قبلنا قوما يقولون : لا قدر ... عدي بن أرطاة
- ٤٩٤ إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا
- ٥٥٦ إن قلوب بني آدم ...
- ٩١ إن كان رسول الله (ﷺ) ليحدث الحديث ... عائشة .
- ٢٢٥ إن مثل ما بعثني به الله (عز وجل) من الهدى
- ٥٣٥ إن النبي (ﷺ) دخل مكة ... أنس بن مالك .
- ١٠١ إن النبي (ﷺ) كان يقصر في السفر ... عائشة .
- ٤٦١ إن يهوديا جاء إلى النبي (ﷺ) ... ابن مسعود .
- ٢٨٠ أنا أولى الناس بعيسى
- ٥٥ أنا عند ظن عبدي بي
- ٥٤١ أنا ممن يعلم تأويله ... ابن عباس .
- ٤٨٢ أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله ابن عباس .
- ٦٧٣، ٦٧٢ أنا موسى . قال له الخضر : موسى بني إسرائيل ؟
- ٤٨١ انتهى علم الراسخين في العلم عمر بن عبد العزيز .
- ١٢٨ إنك تقدم على قوم أهل الكتاب
- ٤٠٠، ٣٢٩ إنكم سترون ربكم
- ٦٨١ إنه كان يشبهه
- ٤٢٧ إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الأعمى ...
- ٤٢٧ إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان
- ٥٢٢ إني أجد ريح الجنة ... أنس بن النضر .
- ٥٥٦ إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن
- ٦٩٤ اهتدي لما اختلف فيه من الحق

الأحاديث	رقم الصفحة
أوصيكم بتقوى الله	٣٠٢، ٣٠١
أول ما خلق الله العقل ... (موضوع)	١٥٢
أول من نطق في القدر ... الأوزاعي .	٥٠٧
أو كلما جاء رجل أجدل من الآخر ... مالك بن أنس .	٣٨٢
إياكم ومحدثات الأمور	٣٨٠
ائذن لي أيها الأمير ... أبو شريح .	٩٤، ٩٣
أين الله ؟ قالت في السماء ...	٥٦١
البر حسن الخلق	٦٦٦
البداء ديننا ... (موضوع على موسى بن جعفر)	٢٧٥
بعث رسول الله (ﷺ) بعثنا ... أبو هريرة .	٦٣
بلغني حديث عن رجل ... جابر بن عبد الله	٩٦
بلغوا عنا قومنا ، إنا لقينا ربنا	٥٢٢
بيننا راع في غنمه	٢٣٣، ٢٣٢
بيننا رجل يسوق بقرة ...	٢٣٢
بيننا عمران بن حصين يحدث عن سنة ... الحسن	١٠٩
بيننا عمر بن الخطاب على المنبر ... سعيد بن المسيب	٤٤٧
تأتي البقرة وآل عمران يوم القيامة	٥٤٩
تركتم فيكم أمرين	٣٠٢، ٢٧
تركتمكم على المحجة البيضاء	٧٣١
تعرض الفتن على القلوب	٣١٤
تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٣٠١، ٢٨٨، ٣٧، ٣٦
التفسير على أربعة أوجه ... ابن عباس .	٥٤١
تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية ... عائشة .	٤٩٦
ثلاثة تحت العرش يوم القيامة ... القرآن له ظهر وبطن	٤٠٧، ٤٠٢
الثلث والثلث كثير	٧٥
جاء عمر بن الخطاب إلى النبي (ﷺ) ... عبد الله بن ثابت	٤١
جئتمكم من عند أصحاب رسول الله ... ابن عباس .	٥٢٥
الحجر الأسود يمين الله ...	٥٥٦

رقم الصفحة	الأحاديث
٤٠٨،٤٠٣	حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ... أبو عبد الرحمن السلمي .
٤٠٩،٤٠٣	حدثوا الناس بما يعرفون ... علي بن أبي طالب .
٣٣٧	حفظت من رسول الله (ﷺ) وعائين ... أبو هريرة .
٣٣٨	الحلال بين والحرام بين ...
٧	خلق الله آدم على صورته ...
١٩٨	خلقت عبادي حنفاء كلهم
٥٢٧	خير القرون القرن الذي بعثت فيه
٤٦١،٧٧،٣٥	خير الناس قرني
٧٣٥،٥١٧	
٦٣	خيركم من تعلم القرآن وعلمه .
٤٣٢	دخلنا على عبد الله بن مسعود ... مسروق .
١٥٧	ذآم فتى الكهول ... عمر بن الخطاب .
٦٦٦	دع ما يريك إلى لا يريك
٥٨٧	رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس ... ابن أبي مليكة .
٦٨٨	رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين
٦٧،٦٦	سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن ؟ ... قتادة .
٤٦٧	سمعت رجلا سأل جابرا ... سفيان الثوري .
٣٠٣	سمعت رجلا قرأ آية ... ابن مسعود .
٥٢٠	سن رسول الله (ﷺ) وولاة الأمر ... عمر بن عبد العزيز .
٣١	السنة عشرة ... سفيان بن عيينة .
٢٠٢	سئل أبو هريرة نعم ، لأنه ولد على الفطرة ... أبو هريرة .
٦٩٥	صدقك وهو كذوب .
٦٨١	صف لي الذي رأيته ... ابن سيرين .
١٠٦	صلى بنا رسول الله (ﷺ) ذات يوم ... العرياض بن سارية .
٤٢٨	صلى بنا رسول الله (ﷺ) يوما صلاة العصر ... أبو سعيد الخدري .
٤٦٤،٤٥٥،٧٦	عرضت المصحف على ابن عباس ... مجاهد .
٥١٧،٢٧٧	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
١٩٨،١٩٧	فأبواه يهودانه أو ينصرانه
٤٩٦	فإذا رأيت الذين يتبعون

الأحاديث

رقم الصفحة

- ٤٩٦ فإذا رأيتم الذين يجادلون به ...
- ٧٣٣ فإن السنة إنما سنّها من قد عرف ... عمر بن عبد العزيز .
- ٦٨٢ فإن الشيطان لا يتمثل بي
- ٣٧،٢٧ فإنه من فارق الجماعة شبرا
- ٢٣٣ فتجهز ناس من قريش ... أبو سلمة .
- ١٠٦ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
- ٥٢٠ فعليكم بلزوم السنة
- ٦٧٨ فعلت لذلك أعمالا ... عمر بن الخطاب .
- ٦٩،٦٨ فقدت آية كنت أسمع رسول الله ... زيد بن ثابت .
- ٢٣١ فما عرفتم منه فاعملوا به
- ٣٠٩ فو الله إن أحدكم - أو الرجل - يعمل
- ٣٢٦ قال رجل لابن عباس : إني أجِد في القرآن ... سعيد بن جبير .
- ٤٢٨ قام فينا رسول الله (ﷺ) مقاما ما ترك شيئا ... حذيفة بن اليمان .
- ٤٢٧ قام فينا النبي (ﷺ) مقاما ... عمر بن الخطاب .
- ٤٢٦،٣٧٩ قد تركتكم على البيضاء
- ٧ القرآن له ظهر ووطن
- ٤٦٤،٤٦٣ قرأ ابن عباس سورة البقرة
- ٤٢٩ قراءتها تفسيرها ... سفيان الثوري
- ٧٥ قضى بالدين قبل الوصية
- ٩٤ قلت يا رسول الله : من أسعد الناس ... أبو هريرة .
- ٥٥٦ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن
- ٣٦٤ قيل يا رسول الله : مم ربنا ؟ (موضوع) .
- ٦٢ كان أجود بالخير من الريح المرسلة .
- ٩١ كان إذا تكلم بكلمة أنس بن مالك .
- ٨٩ كان جبريل ينزل على رسول الله ... حسان بن عطية .
- ٤٦٣ كان عبد الله يقرأ علينا السورة ... مسروق .
- ٤٨١ كان من رسوخهم في العلم عائشة .
- ٤٤٩ كان النبي (ﷺ) يقرأ في الجمعة

رقم الصفحة	الأحاديث
٥٤٠، ٤٥٣	كان النبي (ﷺ) يكثر أن يقول في ركوعه ... عائشة .
٤٠٣	كان النبي (ﷺ) وأبو بكر يتحدثان (موضوع على عمر بن الخطاب) .
٦٢	كان يعرض على النبي (ﷺ) القرآن ... أبو هريرة .
١٨٥	كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه
٩٤	كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه ... أبو مليكة .
٣٢٨	الكبر بطر الحق
٢٩٩	كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع
١٩٤	كل إنسان تلده أمه على الفطرة
١٩٠، ١٨٧، ٧	كل مولود يولد على الفطرة ...
١٩٨، ١٩٦، ١٩٣	
٢٠١	
٣٠٣، ٢٨٩	كلاهما محسن
٤٢٧	كنا مع رسول الله (ﷺ) في سفر ... عبد الله بن عمرو بن العاص .
٩٧	كنا نسمع الرواية ... أبو العالية .
٩٥، ٩٤	كنا نكون عند النبي (ﷺ) ... أنس بن مالك .
٥٦٨	كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه ... الأوزاعي .
٩٧	كنت أكتب كل شيء أسمعه ... عبد الله بن عمرو .
٦٢	كنت أكتب الوحي لرسول الله ... زيد بن ثابت .
٩٥	كنت في مجلس من مجالس الأنصار ... أبو سعيد الخدري .
١٨٥	كنت لا أدري ما « فاطر السموات والأرض »
٦٧٢	كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم ؟
٥٢٤	كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحدا ؟ عمر بن الخطاب .
٣٤٢	لا أراك تعارض حديث رسول الله ... سعيد بن جبير .
١٠٨، ١٠٦، ١٠٥	لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته ...
٣٣٢، ١٠٩	
٤٩٣	لا ترجعوا بعدي كفارا
٧٣٥، ٣٦، ٣٥، ٦	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
٦٩٧	لا تقل رأيت ولم تر ... قتادة .
٦٢	لا تكتبوا عني ، ومن كتب ...
٣٨٢	لا رأى لأحد مع سنه رسول الله ... عمر بن العزيز .

رقم الصفحة

الأحاديث

- لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ١٧١
- لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ... علي بن أبي طالب ٤٠٩
- لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة ١٣٣
- لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل ٣٢٧
- لا يزال يلقي فيها ويقول هل من مزيد ٤٠٠
- لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه ٢٤٠
- لعن الله الواشمات ... ابن مسعود ١٠٣
- لقد تركنا محمد (ﷺ) وما يحرك طائر ... أبو ذر ٢٢٥
- لقد جلست أنا وأخي مجلسا ... عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ٣٤٠، ٣٣٩
- لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني ... ٩٤
- لقد علمكم نبيكم كل شيء ... سلمان الفارسي ٢٥٥
- لقي رسول الله (ﷺ) جبيل ... أبي بن كعب ٤٥٩
- للقرآن باطن ، وللباطن باطن ... (موضوع) ٤٠٨، ٤٠٣
- لما نزلت . « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ... ابن مسعود ٧٤، ٧٣
- لم أجدها مع أحد غيره ... زيد بن ثابت ٦٩
- لم أكن أدري ما فاطر السموات ابن عباس ١٩٦
- لم يبق من النبوة إلا المبشرات ... ٦٨٧
- لم يدخر لكم شيء خبيء ... إبراهيم النخعي ٥٢٠
- لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ٤٦٠
- لم يكن يسرد الحديث ٩١
- لم يكونوا يسألون عن الأستاذ ... محمد بن سيرين ١٠٠، ٣١
- لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم ... ابن عمر ٤٠٩
- لولا البداء لحدثكم ... موضوع على علي بن أبي طالب ٢٧٥
- لولا يد لك عندي لم أجرك عروة بن مسعود ٥٥٤
- ليس كل ما نحدثكم سمعناه ... البراء بن عازب ٥١٠، ٥٠٩
- ليس منا من ضرب الحدود ... ٢٣٣
- ما أخطأني ابن مسعود عشية خميس ... عمرو بن ميمون ٩٣
- ما أنا عليه اليوم وأصحابي ... ٥١٧، ٨

رقم الصفحة

الأحاديث

- ٤٠٨ ما أنت بمحدث قوما حديثا ... ابن مسعود .
- ٤٦٤ ما أنزل الله آية ... الحسن .
- ١٩٥ ما بال أقوام بلغوا في القتل
- ٢٧٥ ما بدا لله .. (موضوع على جعفر الصادق) .
- ٦٧ مات النبي (ﷺ) ولم يجمع القرآن ... أنس بن مالك .
- ١٦١ ما رأيت ناقصات عقل ودين
- ٥٤٠ ما صلى النبي (ﷺ) صلاة بعد أنزلت ... عائشة .
- ٥٨٧،٤٦٤ ما في القرآن آية إلا سمعت فيها شيئا ... قتادة .
- ٩٧ ما من أصحاب النبي (ﷺ) أحد أكثر
- ٥٦ ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ...
- ٣٢٨،٦ ما من عبد قال لا إله إلا الله ...
- ٢٠١،٢٠٠ ما من مولود إلا يولد على الفطرة
- ٥١٦ مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ ... محمد بن كعب القرظي .
- ٦٥٧ مكتوب بين عينيه كافر .
- ١٩٧ من ابتدأ الله خلقه للضلالة ... محمد بن كعب القرظي .
- ١٧٢ من أتى عرافا ...
- ٣٨٠ من أحدث في أمرنا هذا ...
- ٤٣٣ من الأدب اجراء الأحاديث ... سفيان الثوري .
- ١٧٢ من اقتبس علما من النجوم
- ٤٢٨ من الله البيان ، وعلى رسوله البلاغ ... الزهري .
- ٢٣٤،٢٣٣ من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ
- ٧٤٠ من جعل دينه غرضاً للخصومات ... عمر بن عبد العزيز .
- ٦٨٠ من رأي في المنام فسيراني في اليقظة
- ٥٦٦ من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاتهموه ... حماد بن سلمة .
- ٧ من سره أن يسط له في رزقه
- ٩١ من سلك طريقا يلتمس فيه علما
- ٨٢،٨١ من سن في الإسلام سنة
- ٩٢ من سئل عن علم فكتمه ...

رقم الصفحة

الأحاديث

- ٦٧٦ من عاد لي وليا ...
- ٥٩٢ من غشنا فليس منا .
- ٤٥٥ من قال في القرآن برأيه
- ٤٦٤ من قرأ القرآن سعيد بن جبير .
- ٣٠٩ من كان مستنفا فليستن بمن قد مات ... ابن مسعود .
- ٥٦١، ٥١٩ من كان منكم متأسيا ... ابن مسعود .
- ٤٥٥، ٩٢ من كذب علي متعمدا .
- ١٣٣ من لم يجمع الصيام قبل الفجر .
- ٩١ من يرد الله به خيرا ...
- ٣٤٠، ٢٣١ مهلا يا قوم ، بهذا أهلكم الأمم ...
- ١٧٣، ١٧٢ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله
- ٤٩٤ نزل الكتاب الأول من باب واحد
- ٤٦٠، ١٠٧، ٩٢ نضر الله امرأ
- ٤٦٣ نعم ترجمان القرآن ابن عباس ... ابن مسعود .
- ١٧٠ نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر ...
- ٤٣٢ نهينا عن التكلف ... عمر بن الخطاب .
- ٣٣١ هل تضارون في رؤية الشمس
- ٤٦٣ هل عندكم شيء من الوحي ... أبو حنيفة .
- ٤٦٣، ٤٦٢ هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ... علي بن أبي طالب .
- ٥٨٧ والذي لا إله غيره ما نزلت أية ... ابن مسعود .
- ٤١ والذي نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى
- ٤٦٣ والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة ... ابن مسعود .
- ٦ والله لا يؤمن ... الذي لا يأمن جاره بوائقه
- ١٠٦ وإن ما حرم رسول الله ...
- ٣٦٠ وإيم الله ، ان كنا لنتلقط السنن ... أبو الزناد .
- ٢٥٤ وإيم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء
- ٣٦، ٦ وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ...
- ٥٤٢ ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا والقرآن ينزل ... جابر بن عبد الله .

رقم الصفحة

الأحاديث

- والرؤيا ثلاثة ، فرؤيا الصالحة ... ٦٨٦
- وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على ... (موضوع) . ١٥٢
- وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان ٤٩٠
- وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ... ٤٦٠، ٤٥٩
- ويحك انما هو في الذي يشرب ... الليث بن سعد . ١٠١
- يا أيها الناس : اتهموا رأيكم ... سهل بن حنيف . ٣٨١
- يا أيها الناس : عليكم بدويان شعركم ... عمر بن الخطاب . ٤٤٧
- يا أيها الناس من علم شيئا ... ابن مسعود . ٤٣٢
- يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ ... ٦٩٨، ٢٠٩
- يا جبيل أني بعثت إلى أمة ٤٥٩
- يأخذ الجبار سماوته. .. ٤٦٢
- يأخذ الله (عز وجل) سمواته ٤٦٢، ٤٦١
- يا رسول الله أين تنزل ؟ ... (لا يرث المؤمن الكافر) . ٥٤٢
- يا عبادي كلكم ضال ٢٠٩
- يا ليتني أنفقت من علمي ... الشعبي . ٩٨
- يبدل الله من القرآن ما يشاء ... ابن عباس . ٢٧٤
- يد الله مع الجماعة ٣٧
- يرد عليّ يوم القيامة رهط ... ٧
- يصلّي على كل مولود متوفى ... الزهري . ٢٠٢
- يقرأ القرآن رجلا ... معاذ بن جبل . ٤٩٧
- يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ٣٤٧
- يوشك الرجل متكئا ٣٤٠

ثالثا : فهرس الألفاظ الغريبة

رقم الصفحة

٤٤٧	 التامك
١٧٢	 التمام
٤١	 التهوك
١٧٢	 التولة
١١٣	 الحئيس
١٧٢	 الرق
٤٤٧	 السفن
١٧١	 الصفر
١٧١	 الطيرة
١٧٢	 العراف
٦٤	 العصب
١٧١	 الغول
٤٤٧	 القرد
٦٤	 اللخاف
٢٦٠	 اللكع
١٧١	 النوء
١٧١	 الهامة

رابعاً : فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	القائل	رقم الصفحة
قافية همزة	...	...
وينبذ الإلهام بالعراء	سيد الشنقيطي	٦٦٤
قافية الباء	...	...
على أنها كانت تأول حبها	الأعشى	٥٣٤
ممارس السنة والكتاب	الأخضري	٦٣٠
وليجنب فيها عن الإطناب	طاش كبرى زاده	٧١٠
هون عليك : فقد نال الغنى رجل	ثعلب	١٨٥
قافية التاء	...	...
والقولة المشهورة الصحيحة	الأخضري	٦٣٠
إلى رفيع القدر والمهابة	طاش كبرى زاده	٧١٠
قد نسبوا للسلف الثقات	أحمد بن حجر آل بوطامي	٥٩٢
قافية الحاء	...	...
حمل لظاهر على المرجوح	سيد الشنقيطي	٥٤٦
قافية الدال	...	...
الناس شتى وأراء مفرقة	لم أعرف قائله	٨
وغيره الفاسد والبعيد	سيد الشنقيطي	٥٤٦
قافية الراء	...	...
دين النبي محمد أنخبار	أحمد بن حنبل	٣٣
لا ترغبن عن الحديث وآله	أحمد بن حنبل	٣٣
اعلم هديت أنه جاء الخبر	أبو العون محمد السفاريني	٣٣
وليس هذا النص جزماً يعتبر	أبو العون محمد السفاريني	٣٣
سافرت فيك العقول فما	ابن أبي حديد المعتزلي	٧٤١
فلحي الله الألى زعموا	ابن أبي حديد المعتزلي	٧٤١
كذبوا إن الذي ذكروا	ابن أبي حديد المعتزلي	٧٤١
حجج تهافت كالزجاج تخالها	لم أعرف قائله	٧٤١

صدر البيت	القائل	رقم الصفحة
قافية الطاء		
ومن يسمع الأخبار من غير واسط	لم أعرف قائله	٦٥٣
قافية العين		
والفرق بين القولين شاسع	أحمد بن حجر آل يوطامي	٥٩٢
قافية الفاء		
ما كان في نهج النبي المصطفى	أبو العون محمد السفاريني	٣٣
وقد رآه بعض من تصوفا	سيد الشنقيطي	٦٦٤
قافية القاف		
بأن ذي الأمة سوف تفترق	أبو العون محمد السفاريني	٣٣
قافية الكاف		
كل يدعي وصلا لليلي	لا يعرف له قائل	٨
قافية اللام		
أيقتلني والمشرقي مضاجمي	أمرؤ القيس	٤٥١
بين الولاية والرسالة برزخ	ابن عربي	٣٧٢
أخليفة الرحمن أنا معشر	الراعي التميمي	١٩٩
عرب نرى لله في أموالنا	الراعي التميمي	١٩٩
ما بال دفتك بالفراش مذيلا	الراعي التميمي	٢٠٠
نهاية اقدم العقول عقال	أبو عبد الله الرازي	٧٤١،٥٦١،٢٥٩
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	أبو عبد الله الرازي	٧٤١،٥٦١،٢٥٩
والخلف في جواز الاشتغال	الأخضري	٦٣٠
ومجمل من غير أن يفصلا	طاش كبرى زادة	٧١٠
صحيحة وهو القريب ما حمل	سيد الشنقيطي	٥٤٦
قافية الميم		
لقد طفت في تلك المعاهد كلها	الشهرستاني	٧٤١،٥٦٠،٣٥٩
فلم أر إلا واضعا كف حائر	الشهرستاني	٧٤١،٥٦٠،٣٥٩
وكم من عائب قولاً صحيحاً	المتنبي	٣٩٧

صدر البيت	القاتل	رقم الصفحة
لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول	الأمير محمد بن إسماعيل	٥٦٠
فما حار من يهدي يهدي محمد	الأمير محمد بن إسماعيل	٥٦٠
ولم يصح زعمهم لكننا	أحمد بن حجر آل بوطامي	٥٩٢
فابن الصلاح والنواوي حرما	الأخضري	٦٣٠
قافية النون		
تخوف الرجل منها تامكا قردا	أبو كبير الهذلي	٤٤٧
ونصوبه ليست تعارض بعضها	ابن قيم الجوزية	٣٤٣
وإذا ظننت تعارضا فيها فذا	ابن قيم الجوزية	٣٤٣
أو أن يكون البعض ليس بثابت	ابن قيم الجوزية	٣٤٣
فإذا تعارض نص لفظ وارد	ابن قيم الجوزية	٣٦٢
فالعقل إما فاسد ويظنه	ابن قيم الجوزية	٣٦٢
أو أن ذاك النص ليس بثابت	ابن قيم الجوزية	٣٦٢
إني وتلك أدلة لفظية	ابن قيم الجوزية	٣٦٩
فإذا تضافرت الأدلة كثرة	ابن قيم الجوزية	٣٦٩
فعليك بقانون وضعناه	ابن قيم الجوزية	٣٦٩
ولكل نص ليس يقبل أن	ابن قيم الجوزية	٣٦٩
قل عارض المنقول معقول	ابن قيم الجوزية	٣٦٩
ما ثم إلا واحد من أربع	ابن قيم الجوزية	٣٧٠
اعمال ذين أو عكسه أو تلغي	ابن قيم الجوزية	٣٧٠
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد	قريط بن أنيف	٤١١
ذراعي حرة أدماء بكر	عمرو بن كلثوم	٥٣
ذراعي عيطل أدماء بكر	عمرو بن كلثوم	٥٣
كصفة الوجه وكالدين	أحمد بن حجر آل بوطامي	٥٩٢
وبعد فالنطق للجنان	الأخضري	٦٠٠
بدا لعين الظمى الحيران	ابن قيم الجوزية	٦١٧
يرجو شفاء غلة الظمان	ابن قيم الجوزية	٦١٧

صدر البيت	القائل	رقم الصفحة
فعاد بالخيبة والخسران	ابن قيم الجوزية	٦١٧
قد ضاع منه العمر في الأمانى	ابن قيم الجوزية	٦١٧
قافية الهاء		
العلم قال الله قال رسوله	بعض أهل العلم	٣٨٧
ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة	بعض أهل العلم	٣٨٧
كلا ولا نصب الخلاف جهالة	بعض أهل العلم	٣٨٧
كلا ولا رد النصوص تعمدا	بعض أهل العلم	٣٨٧
حاشا للنصوص من الذي رميت به	بعض أهل العلم	٣٨٧
فلا تجزعن من سيوة أنت سرتها	خالد بن زهير الهذلي	٨١
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها	خالد بن زهير الهذلي	٨١
نحن ضريناكم على تنزيله	عبد الله بن رواحة	٥٣٥
خلوا بني الكفار عن سبيله	عبد الله بن رواحة	٥٣٥
ضربا يزيل الهام عن مقيله	عبد الله بن رواحة	٥٣٥
كلفتمونا حدود منطقكم	البحثري	٦١٩
ولم يكن ذو القروح يلهج	البحثري	٦١٩
والشعر لمح تكفي اشارته	البحثري	٦١٩
قافية الواو		
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	أبو عبد الله الرازي	٧٤١، ٥٦٠، ٢٥٩
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم	الأفوه الأودرى	٥٧٩
قافية الياء		
وأني وإن أو عدته أو وعدته	أبو عمرو بن العلاء	٥٠٨
العقل أصل النقل وهو أبوه إن	ابن قيم الجوزية	٣٧٠
ألا عم صباحا أيها الطلل	امرؤ القيس	٤٥١
كأني سننت الحب ، أول عاشق		
من الناس	نصيب	٨٢
مقام النبوة في برزخ	ابن عربي	٦٦٩
فيك يا أغلوطة الفكر	ابن أبي حديد المعتزلي	٧٤١

خامسا : فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة

٥٨٨	أحمد بن إبراهيم الواسطي - أبو العباس
٦٨٠	أحمد بن بزار - أبو ميسرة المكي
٢٦٠	أحمد بن أبي دؤاد - أبو عبد الله
١٢٤	أحمد بن علي بن برهان - أبو الفتح بن الجامي
٦٦٩	أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي - أبو العباس
٦٨٥	أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي - أبو العباس المرسي
٦٦١	أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي - أبو العباس
٦٦٩	أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي - الشهاب الخفاجي
٦٥٣	أحمد بن محمد بن المختار - أبو العباس التجاني
٦٧٩	أحمد بن نصر - أبو بكر الزقاق
٦٠٣	أرسطا طاليس
٥٨٨	اسحاق بن أحمد بن غانم العلثي - أبو محمد
٤٦	إسماعيل بن محمد بن الفضل - أبو القاسم الأصبهاني
٣٠٦	إسماعيل بن نجيد - أبو عمرو بن نجيد
٨٩	أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - أبو البقاء
١٤٥	بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي - أبو عبد الرحمن
٤٤	جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي - أبو عبد الله
٣٠٧	الجنيد بن محمد القابني - أبو القاسم
٦٢٠	الحسن بن عبد الله المرزبان - أبو سعيد السيرافي النحوي
٦٦١	الحسن بن علي - أبو علي الجوزجاني
٦٠٧	الحسين بن عبد الله بن سينا - أبو علي الشيخ الرئيس
٤٤	حفص الفرد - أبو يحيى
٩٣	خويلد بن عمرو الخزاعي - أبو شرح
٦٥٣	دلف بن جحدر - أبو بكر الشبلي
٤٣	الربيع بن خثيم بن عائد الثوري - أبو يزيد
٦٥٨	سعيد بن سلام المغربي - أبو عثمان النيسابوري

رقم الصفحة

- ٤٢٣ سليمان بن علي بن عبد الله - العفيف التلمساني
 ٦٧٩ سهل بن عبد الله بن يونس التستري - أبو محمد
 ٦٥٨ شاه بن شجاع الكرمانى - أبو الفوارس
 ٥٢٦ شريك بن عبد الله النخعي القاضي - أبو عبد الله
 ٤٤ صبيغ بن عسل
 ٦٤٥ طيفور بن عيسى بن سروشان - أبو يزيد البسطامي
 ٢٢ ظالم بن عمرو الدؤلي - أبو الأسود
 ٥٢٦ عباد بن العوام بن عمر - أبو سهل
 ٤٠٥ عبد الحق بن إبراهيم بن نصر الأشبيلي - ابن سبعين
 ٦٧٨ عبد الرحمن بن أحمد بن عطية - أبو سليمان الداراني
 ٣٩ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم - أبو شامة
 ١٤٥ عبد الرحمن بن كيسان الأصم
 ٣٠٥ عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز - المكي الكنانى
 ٣٤ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن دوست - الجيلاني
 ٦٤٦ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي
 ٦٤٨ عبد الكريم بن هولزن القشيري - أبو القاسم
 ٣٦٠ عبد الله بن ذكوان القرشي - أبو الزناد
 ٢١١ عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري - أبو الفرج المقدسي
 ٦٤٩ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي - الشرعاني
 ٦٤١ عمر بن محمد بن عمرو - شهاب الدين السرودي
 ٩٤ عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية - أبو أمية
 ٦٥٧ عمرو بن سلمة النيسابوري - أبو حفص الحداد
 ٣٣ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني - أبو العون
 ٢١١ محمد بن أحمد بن محمد السمناني - أبو جعفر
 ٣٦٥ محمد بن شجاع بن الثلجي - أبو عبد الله
 ٢١٥ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني - ابن فقيسراني
 ٦٤٩ محمد بن علي بن الحسن - الحكيم الترمذي
 ٢١٦ محمد بن أبي علي الحسن بن محمد الهمداني - أبو جعفر

رقم الصفحة

٦٥٢	محمد بن علي السنوسي الادريسي - أبو عبد الله
٤٠٥	محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائي - ابن عربي
٦١٠	محمد بن محمد بن الحسن - نصير الدين الطوسي
٦٠٦	محمد بن محمد بن طرخان - أبو نصر الفارابي
٥٤٤	محمد بن محمد بن محمود - أبو منصور الماتريدي
٣٩	محمد بن ميمون المروزي - أبو حمزة السكري
٦٢٧	محمد بن نامور الخوغمي - أفضل الدين أبو عبد الله
٢٧٥	المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي - أبو إسحاق
٥٣	معمر بن المثنى التيمي مولا هم البصري - أبو عبيدة
٦٧٥	منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني - أبو المظفر
٣٩	نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي - أبو عبد الله
٦٠٧	يعقوب بن إسحاق الصباح - أبو يوسف الكندي
٤٣	يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة - أبو موسى

...

سادسا : فهرس الفرق والطوائف

رقم الصفحة	
٤٠٤	الإسماعيلية
٣٠	الأشاعرة
٢٩٤	الإمامية
٣٥	الجبرية
٣٠، ٢٩	الجهمية
٢٩	الخوارج
٢٩	الشيعة
٤١	الصوفية
٣٨٦	القرامطة
٦٠٦	الكرامية
٣٠	المرجئة
٣٠	المعتزلة
٤٠٤	النصيرية

* * *

سابعاً : فهرس المراجع والمصادر

- ١ - الابانة عن أصول الديانة لأبي الحسن علي بن اسماعيل ... بن أبي موسى الأشعري . تقديم : د /صالح بن فوزان الفوزان - مطابع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢ - إبطال التأويلات لأخبار الصفات : للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء (مخطوط) بمكتبة السيد صبحي البدري الحسيني السامرائي - بغداد .
- ٣ - ابن تيمية والتصوف : للدكتور مصطفى حلمي - دار الدعوة - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٤ - الإبهاج في شرح المنهاج : لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب السبكي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - بيروت .
- ٥ - الاتقان في علوم القرآن : لجلال الدين السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة حجازي ١٣٦٨ هـ - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٦ - أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية : أحمد علي الملا - دار الفكر - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - دمشق .
- ٧ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : لابن قيم الجوزية - دار المعرفة (بدون معلومات أخرى) .
- ٨ - الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة : لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي تعليق : عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (بدون رقم الطبعة) .
- ٩ - أحكام أهل الذمة : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر - (ابن قيم الجوزية) - تحقيق : د /صبحي الصالح - مطبعة جامعة دمشق - الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م - دمشق .
- ١٠ - الإحكام في أصول الأحكام : لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي - مطبعة محمد علي صبيح - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١١ - الإحكام في أصول الأحكام : لأبي محمد علي بن حزم . تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز مكتبة عاطف - مطبعة الامتياز - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

- ١٢ - أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي . تحقيق : علي محمد البجاوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - مصر .
- ١٣ - أخبار الآحاد في الحديث النبوي : للدكتور الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين دار طيبة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م - الرياض .
- ١٤ - أدب الكاتب : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - الطبعة الرابعة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م - مصر .
- ١٥ - الأدب المفرد : للإمام البخاري . نشره : قصي محب الدين الخطيب - الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ - (بدون اسم المطبعة) .
- ١٦ - كتاب « الأربعين في أصول الدين » : لفخر الدين محمد بن عمر الرازي - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ - الهند .
- ١٧ - كتاب « الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد » : لإمام الحرمين الجويني . تحقيق : د / محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد - مكتبة الخانجي - مطبعة السعادة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٨ - إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع : للإمام محمد بن علي الشوكاني . تحقيق : د / إبراهيم إبراهيم هلال - نشر دار النهضة العربية - دار الاتحاد العربي - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - مصر .
- ١٩ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني - دار الكتاب العربي - بيروت - مصور عن المطبعة الأميرية - الطبعة السابعة ١٣٢٤ هـ - مصر .
- ٢٠ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : لمحمد علي الشوكاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م - مصر .
- ٢١ - كتاب « أساس التقديس في علم الكلام » : فخر الدين محمد بن عمر الرازي . وفي ذيله كتاب الدرة الفاخرة ... للملا عبد الرحمن الجامي - مطبعة كردستان العلمية ١٣٢٨ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٢ - الاستقامة : لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : د / محمد رشاد سالم - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض .
- ٢٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد البر . تحقيق : علي محمد البجاوي - مطبعة نهضة مصر - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

- ٢٤ - الأسماء والصفات : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تعليق : محمد زاهد الكوثري - مطبعة دار السعادة - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٥ - « كتاب » الإشارات والتنبيهات : لأبي علي الحسين بن سينا . تصحيح المعلم يعقوب فرجة - مطبعة بريل - ١٨٩٣ م - لندن (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٦ - الاشتقاق : لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد . تحقيق : عبد السلام هارون - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧ - الإصابة في تمييز الصحابة : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر - تاريخ الإيداع : ١٩٧٢ م - الفجالة - مصر .
- ٢٨ - أصل الشيعة وأصولها : لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء - مطبعة المكتبة الحيدرية - الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - النجف .
- ٢٩ - إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق : عبد الله الجبوري - دار الغرب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - بيروت .
- ٣٠ - أصول التفسير لكتاب الله المنير : لخالد عبد الرحمن العك - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م (بدون اسم المطبعة) .
- ٣١ - أصول الحديث (علومه ومصطلحه) : د/محمد عجاج الخطيب - دار الفكر الحديث - الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م - بيروت .
- ٣٢ - أصول الدين : لأبي منصور عبد القاهر البغدادي - مطبعة الدولة - الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م - استانبول .
- ٣٣ - أصول السرخسي : لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي . تحقيق : أبي الوفاء الأفغاني - دار المعرفة - ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ - بيروت .
- ٣٤ - أصول الفقه : لمحمد أبو النور زهير - دار الاتحاد العربي - ١٩٦٨ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٥ - أصول الفقه : للشيخ محمد الخضري بك - المكتبة التجارية الكبرى - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٦ - أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي : للدكتور /محمد علي أبو ريان - مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة أحمد مخير - الطبعة الأولى ١٩٥٩ م - القاهرة .
- ٣٧ - الأصول في النحو : لابن السراج . تحقيق : د/عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان - ١٩٧٣ م - النجف (بدون رقم الطبعة) .

- ٣٨ - الأصول من علم الأصول : لمحمد بن صالح العثيمين - دار طيبة - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض .
- ٣٩ - رسالة « الأضحوية في أمر المعاد : للشيخ الرئيس (ابن سينا) . تحقيق : سليمان دنيا - دار الفكر العربي - مطبعة الاعتماد - الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م - مصر .
- ٤٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي - المطابع الأهلية للأوفست - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٤١ - كتاب « الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار : لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني - مطبعة الأندلس - الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - حمص .
- ٤٢ - الاعتصام : لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي . تعريف : محمد رشيد رضا - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة السعادة - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٤٣ - اعتقاد أهل السنة والجماعة وفقههم أساس معرفة الصحابة وتاريخهم : د / محمد رشاد خليل . وهو ضمن : بحوث ودراسات في أصول الدين - أعداد : كلية أصول الدين بالرياض - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٤٤ - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تقديم : أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت .
- ٤٥ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : لفخر الدين الرازي . تحرير : علي سامي النشار - مكتبة النهضة المصرية ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة (بدون رقم الطبعة) .
- ٤٦ - إعجاز القرآن : لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق : السيد أحمد صقر - دار المعارف - الطبعة الثالثة ١٩٧١ م - مصر .
- ٤٧ - الأعلام : لخير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ - بيروت - (بدون اسم المطبعة) .
- ٤٨ - أعلام الموقعين عن رب العالمين : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر . المعروف بابن قيم الجوزية - تقديم وتعليق : طه عبد الرؤوف سعد - دار الجليل - ١٩٧٣ م - لبنان (بدون رقم الطبعة) .

- ٤٩ - إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان : لابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٥٠ - الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام : ليحيى بن حمزة العلوي . تحقيق : فيصل بدير عون - منشأة المعارف - الأسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٥١ - أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المتشابهات : لزين الدين مرعي بن يوسف الكرمي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م - بيروت .
- ٥٢ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم : لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية . تحقيق : د / ناصر بن عبد الكريم العقل - شركة العيكان للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - الرياض .
- ٥٣ - إجماع العوام عن علم الكلام : لأبي حامد الغزالي (وهو ضمن مجموعة رسائل للغزالي) - المطبعة الميمنية لأحمد البابي الحلبي - ١٣٠٩ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٥٤ - « كتاب » الأم في فروع الفقه : وبهامشه كتاب اختلاف الحديث . كلاهما للإمام الشافعي - رواية الربيع بن سليمان - طبعة أبناء مولوي محمد بن غلام السورتي - بمباي - الهند (بدون اسم المطبعة ، ورقم الطبعة وتاريخها) .
- ٥٥ - الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : لأبي عمر بن عبد البر - مكتبة القدس - مطبعة المعاهد - ١٣٥٠ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٥٦ - الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف : لولي الدين الدهلوي . تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة - دار النفائس - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - بيروت .
- ٥٧ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : لأبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي . (وبهامشه تفسير الجلالين - السيوطي والمجلي) - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - مصر .
- ٥٨ - الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية : لعبد الرحمن بن يوسف الأفريقي . بتعليق وتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري - طباعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - ١٤٠٤ هـ - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٥٩ - الأنوار الكاشفة لما في كتاب « الأضواء على السنة » من الزلل والتضليل والمجازفة : للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني - المطبعة السلفية - ١٣٧٨ هـ - القاهرة .
- ٦٠ - أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى : لمحمد عبد الهادي المصري - دار طيبة - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - الرياض .

- ٦١ - أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية : د /ألبير نصري نادر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٦٢ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لأبي محمد عبد الله بن هشام - مع شرحه : عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك . لمحمد محيي الدين عبد الحميد - دار الجليل - الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م بيروت .
- ٦٣ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي . تحقيق : د /أحمد حسن فرحات - مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م - الرياض .
- ٦٤ - إيضاح المبهم من معاني السلم في المنطق : لأبي محمد الدمهوري - (صاحب المتن هو محمد الأخضر) دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٦٥ - إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن : لمحمد بن علي السنوسي - المطبعة الثعالبية ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م - الجزائر (بدون رقم الطبعة) .
- ٦٦ - الإيمان : لشيخ الإسلام ابن تيمية - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ دمشق .
- ٦٧ - الباعث الخفي شرح اختصار علوم الحديث : للحافظ ابن كثير . تعليق : الشيخ أحمد محمد شاکر - مكتبة محمد علي صبيح - الطبعة الثانية - ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م - مصر .
- ٦٨ - الباعث على إنكار البدع والحوادث : لأبي شامة . تحقيق : عثمان أحمد عنبر - دار الهدى للنشر - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - مصر .
- ٦٩ - بدائع الفوائد : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٧٠ - البداية والنهاية : للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير - مطبعة السعادة - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٧١ - البدع والنهي عنها : لمحمد بن وضاح الأندلسي - دار الرائد العربي - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - بيروت .
- ٧٢ - البرهان في أصول الفقه : لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف - المشهور بالجويني - تحقيق : د /عبد العظيم الديب - الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ - دولة قطر (بدون اسم المطبعة) .

- ٧٣ - البرهان في تفسير القرآن : لهاشم بن السيد سليمان بن سيد عبد الجواد البحراني (من علماء الشيعة) - الطبعة الثانية - طهران (بدون تاريخ الطبعة) .
- ٧٤ - البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الثانية - ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م - مصر .
- ٧٥ - كتاب « بغية الوعاه في طبقات اللغويين والنحاه » : لجلال الدين السيوطي - دار المعرفة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٧٦ - بين الشيعة وأهل السنة : للشيخ إحسان إلهي ظهير - إدارة ترجمان السنة - الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - لاهور .
- ٧٧ - تاج العروس : للسيد محمد مرتضي الزبيدي - الناشر : دار ليبيا - بني غازي - مطبعة دار صادر - ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م - بيروت .
- ٧٨ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي مطبعة مكتبة القدس (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٧٩ - تاريخ بغداد : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - مطبعة المكتبة السلفية - المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٨٠ - تاريخ التشريع الإسلامي : للشيخ محمد الحصري - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م - مصر .
- ٨١ - تاريخ الفلسفة : للدكتور محمد عزيز نظمي سالم - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٨٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - الطبعة الثانية ١٣٦٥ هـ - ١٤٤٦ م - القاهرة .
- ٨٣ - « كتاب » التاريخ الكبير : لأبي عبد الله إسماعيل البخاري - دار الكتب العلمية بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٨٤ - تأويلات أهل السنة : لأبي منصور الماتريدي . تحقيق : د /إبراهيم عوضين ، والسيد عوضين - مطابع الأهرام التجارية - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٨٥ - تأويل مختلف الحديث : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تصحيح : محمد زهري النجار - دار الجيل - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - بيروت .

- ٨٦ - تأويل مشكل القرآن : لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . تحقيق : السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٨٧ - التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة : لأبي المظفر الأسفرائيني . تعليق : محمد زاهد الكوثري - مطبعة الأنوار - الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م (بدون اسم البلد) .
- ٨٨ - التجانية : دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة - لعلي بن محمد الدخيل الله - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٨٩ - تجديد أصول الفقه الإسلامي : الدكتور /حسن عبد الله الترابي - مكتبة دار الفكر - الخرطوم - دار الجليل - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .
- ٩٠ - تجديد علم المنطق في شرح الخبيصي على التهذيب - لعبد المتعال الصعدي - المطبعة النموذجية - الطبعة الخامسة - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .
- ٩١ - تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد البر - مطبعة مكتبة القدس - ١٣٥٠ هـ - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٩٢ - التحرير في علم التفسير : لجلال الدين السيوطي . تحقيق : د /فتحي عبد القادر فريد - دار العلوم للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - الرياض - السعودية .
- ٩٣ - تحرير القواعد المنطقية : لمحمود بن محمد الرازي . على شرح الرسالة الشمسية لعمر بن علي القزويني - المعروف بالكاتب - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ - ١٩٤٨ م - مصر .
- ٩٤ - التحرير والتنوير : لمحمد الطاهر بن عاشور - دار الكتب الشرقية - تونس - (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٩٥ - التحف في مذاهب السلف : لمحمد بن علي الشوكاني - مطبعة المدني - جدة - (من مطبوعات الجامعة الإسلامية) - (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٩٦ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الكتب الحديثة - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - مصر .
- ٩٧ - تذكرة الحفاظ : لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - مطبعة دار إحياء التراث العربي - الطبعة الرابعة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م - بيروت .

- ٩٨ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك : للقاضي عياض . تحقيق : د / أحمد بكير محمود - دار مكتبة الحياة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٩٩ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان : لابن الوزير الجاني - مطبعة المعاهد - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٠٠ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف : للحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري . تصحيح : مصطفى محمد عمارة - إدارة إحياء التراث الإسلامي - مطابع قطر الوطنية - تاريخ الإيداع - ١٩٨٥ م - قطر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٠١ - التسعينية : لابن تيمية - (ضمن الفتاوى الكبرى) تقديم حسنين محمد مخلوف - دار المعرفة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ١٠٢ - كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : لأبي القاسم محمد بن أحمد الكلبي . تحقيق : محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض - دار الكتب الحديثة - مطبعة حسان - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٠٣ - التعرف لمذهب أهل التصوف : لأبي بكر محمد الكلاباذي . تحقيق : د / عبد الحليم محمود ، وطه عبد الباقي سرور - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١٠٤ - تفسير القرآن العظيم : للحافظ عماد الدين بن كثير . تحقيق : عبد العزيز غنيم وآخرين - دار الشعب - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) وطبعة أخرى بدار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٠٥ - التكفير المنطقي بين المنهج القديم والمنهج الجديد : د / عبد اللطيف محمد العبد - دار العلم للطباعة ١٩٧٧ م - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .
- ١٠٦ - تقريب التهذيب : للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني - مطبعة المكتبة العلمية - باب الرحمة - المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٠٧ - التقرير والتحجير لابن أمير الحاج : (وهو شرح على تحرير الإمام الكمال بن الهمام الجامع بين اصطلاحى الحنفية والشافعية - وهامشه شرح الإمام جمال الدين الأسنوي المسمى : نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) - المطبعة الكبرى الأممية - الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - مصر - دار الكتب العلمية - بيروت .

- ١٠٨ - تقييد العلم : للخطيب البغدادي . تحقيق : يوسف العش - المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٤٩ م - دمشق (بدون رقم الطبعة) .
- ١٠٩ - التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح : للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي - (وعليه تعليقات لمحمد راغب الطباخ سماها : المصباح على مقدمة ابن الصلاح) - المطبعة العلمية - الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م - حلب .
- ١١٠ - تليس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : إدارة الطباعة المنيرية - الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ - مصر - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١١١ - التمهيد في تخرج الفروع على الأصول : لجمال الدين الأسنوي . تحقيق : محمد حسن هيتو - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .
- ١١٢ - التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : لأبي بكر محمد ابن الطيب بن الباقلاني . تحقيق : محمود محمد الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة دار الفكر العربي - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١١٣ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر بن عبد البر - الجزء الأول - بتحقيق : مصطفى العلوي ومحمد البكري - مطبعة فضالة - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - المغرب - والجزء السابع - تحقيق : عبد الله الصديق - مطبعة فضالة - ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٩ م - المغرب (بدون رقم الطبعة) .
- ١١٤ - « كتاب التمييز » : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري . تقديم الدكتور محمد مصطفى الأعظمي - مطبوعات جامعة الرياض - ١٣٩٥ هـ (بدون رقم الطبعة) .
- ١١٥ - تنبيه المفتين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر : لعبد الوهاب ابن أحمد بن علي - المعروف بالشعراني - (وفي ذيلة الكشف والتبيين للغزالي) (بدون معلومات) .
- ١١٦ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : لأبي الحسين محمد بن أحمد الملقب - تقديم محمد زاهد الكوثري - مكتبة المثنى بغداد - ومكتبة المعارف - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ١١٧ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة : لأبي الحسن علي بن محمد ابن عراق الكنتاني . تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ - بيروت .

- ١١٨ - التكميل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل : الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
اليماني . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني - طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض .
- ١١٩ - تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك (ضمن الحاوي للفتاوي لجلال الدين
السيوطي) دار الكتب العلمية : الطبعة الثانية - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - بيروت .
- ١٢٠ - تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي : تحقيق : د/سليمان دنيا - دار المعارف -
الطبعة الرابعة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - مصر .
- ١٢١ - تهذيب التهذيب : للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار صادر - مطبعة
مجلس دائرة المعارف النظامية - الطبعة الأولى - الهند - حيدر آباد (بدون تاريخ
الطبعة) .
- ١٢٢ - تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري . تحقيق : الأستاذ أحمد
عبد الحليم البردوني - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب -
القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٢٣ - توجيه النظر إلى أصول الأثر : لطاهر بن صالح بن أحمد الجزائري - المكتبة العلمية
بالمدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٢٤ - « كتاب » التوحيد وإثبات صفات الرب (عز وجل) : لابن خزيمة - مراجعة :
محمد خليل هراس - مكتبة الكليات الأزهرية - دار الشرق للطباعة - ١٣٨٧ هـ -
١٣٦٨ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٢٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
تحقيق : محمد زهري النجار - المؤسسة السعيدية بالرياض - مطابع الدجوي -
١٩٧٧ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١٢٦ - ثلاثة وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام
الكبرى : للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي . تحقيق : د /محمد
عبد الوهاب خلاف - المركز العربي الدولي للإعلام - المطبعة العربية الحديثة -
الطبعة الأولى ١٩٨١ م - مصر .
- ١٢٧ - جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم ... : للشيخ أحمد الكمشخاني
النقشبندی - دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى البابي الحلبي - ١٣٣١ هـ -
مصر (بدون رقم الطبعة) .

- ١٢٨ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله : لأبي عمر يوسف بن عبد البر - دار الفكر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٢٩ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م - مصر ، وطبعة ثانية بدار المعارف . بتحقيق : محمود محمد شاكر وخرج أحاديثه : أحمد محمد شاكر . وطبعة ثالثة - بدار المعرفة - الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م - بيروت .
- ١٣٠ - الجامع الصغير من حديث البشير : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - مطبعة حجازي الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ - القاهرة .
- ١٣١ - جامع العلوم والحكم (في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم) : لأبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي - دار الفكر - بيروت - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١٣٢ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتاب العربي - الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - عن طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .
- ١٣٣ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . تحقيق : د / محمد رأفت سعيد - مكتبة الفلاح - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - الكويت .
- ١٣٤ - الجامع لشعب الإيمان : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : د / عبد العلي عبد الحميد حامد - الدار السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - بمباي الهند .
- ١٣٥ - جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : للسيد نعمان خير الدين (ابن الألويسي) - دار الكتب العلمية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٣٦ - جماع العلم : للإمام الشافعي . تحقيق : أحمد محمد شاكر - مطبعة المعارف ومكتبتها ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م - مصر .
- ١٣٧ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : لشيخ الإسلام ابن تيمية . تقديم : علي السيد صبحي المدني - مطبعة المدني - ١٣٨١ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .

- ١٣٨ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية : لأبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله أبي الوفاء الحنفي . تحقيق : د / عبد الفتاح الحلو - دار العلوم - الرياض - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٣٩ - جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني : لعلي حراز بن العربي برادة - (وبهامشه : كتاب رماح حزب الرحيم على نخور حزب الرحيم - لعمر ابن سعيد الفوقي) - دار الجيل - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ١٤٠ - الجواهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل : لمحمد بن محمد بن أبي بكر السعدي . تحقيق : د / عبد الله عبد المحسن التركي - مطبعة هجر - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - مصر .
- ١٤١ - جوهره التوحيد : تصنيف الشيخ إبراهيم اللقاني مع حاشيتها : تحفة المريد للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري - مطبعة الاستقامة - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٤٢ - حاشية التفتازاني : تصحيح : شعبان محمد إسماعيل - مكتبة الكليات الأزهرية - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٤٣ - حاشية الجرجاني على تحرير القواعد المنطقية : لمحمود بن محمد الرازي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م - مصر .
- ١٤٤ - الحجة في بيان المحجة : (مخطوط) - مكتبة : أحمد الثالث - تحت الرقم ١٣٩٥ - تركيا .
- ١٤٥ - حجة الاجماع وموقف العلماء منها : للدكتور محمد محمود فرغلي - مطبعة دار الكتاب الجامعي ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١٤٦ - حجة السنة : للدكتور : عبد الغني عبد الخالق . الناشر : المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن - دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - بيروت .
- ١٤٧ - الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام : لمحمد ناصر الدين الألباني - الدار السلفية - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - الكويت .
- ١٤٨ - الحديث والمحدثون : لمحمد محمد أبو زهو - مطبعة مصر - الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م - مصر .
- ١٤٩ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : لجلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ - مصر .

- ١٥٠ - حكمة الإشراق : لشهاب الدين السهروردي - (وهو ضمن مجموعة دوم مصنفات) تصحيح : هنري كربين - ١٩٥٢ م - ١٣٣١ هـ - إيران (بدون اسم المطبعة ورقم الطبعة) .
- ١٥١ - الحماسة : لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي . تحقيق : د / عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان - مطابع دار الهلال للأوفست - نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ١٥٢ - الحيدة : لعبد العزيز المكّي . تصحيح وتعليق : الشيخ إسماعيل الأنصاري - دار عمار - مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م - الأردن .
- ١٥٣ - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة ... للسيد محب الدين الخطيب دار طيبة - الرياض - مطابع الشرق الأوسط - الطبعة التاسعة (بدون تاريخ الطبعة) .
- ١٥٤ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : للمحبي (محمد أمين فضل الله) - دار صادر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٥٥ - دائرة المعارف : لبطرس البستاني - مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان - ١٨٧٨ م - ١٢٩٥ هـ - طهران (بدون رقم الطبعة) .
- ١٥٦ - دراسات في المعارض والترجيح عند الأصوليين : للدكتور : السيد صالح عوض - المطبعة المحمدية - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - مصر .
- ١٥٧ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : للأستاذ : موريس بوكاي - دار المعارف - الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م - لبنان .
- ١٥٨ - دلائل التوحيد : لمحمد جمال الدين القاسمي (وبهامشه تفسير ابن عباس) الناشر : محمد أمين دمج - المطبعة الميمنية - ١٣١٤ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٥٩ - دلائل التوحيد : لمحمد جمال الدين القاسمي - مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية - الطبعة الثانية - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .
- ١٦٠ - دلائل النبوة : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . الناشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - دار النصر للطباعة - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - مصر .
- ١٦١ - ديوان الأعشى : دار صادر - ١٩٦٦ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ١٦٢ - ديوان امرئ القيس : دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

- ١٦٣ - ديوان البحري : تحقيق : حسن كامل الصيرفي - دار المعارف - الطبعة الثالثة - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ١٦٤ - ديوان الصنعاني : للأمير الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني - مطبعة المدني - الطبعة الأولى - ١٣٨٤ هـ - القاهرة .
- ١٦٥ - دوان عبد الله بن رواحة : تحقيق وجمع : حسن محمد باجودة - مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٢ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ١٦٦ - ذم التأويل : لموفق إله الدين ابن قدامة المقدسي : تحقيق : بدر بن البدر - الدار السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - الكويت .
- ١٦٧ - الذيل على طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلي . تصحيح : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٦٨ - الرحلة في طلب الحديث : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت - المعروف بالخطيب البغدادي - تحقيق : نور الدين عتر - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - بيروت .
- ١٦٩ - رد الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد : تحقيق : الشيخ محمد حامد الفقي - مطبعة الأشراف - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - لاهور - باكستان (بدون رقم الطبعة) .
- ١٧٠ - الرد على الجهمية والزنادقة : للإمام أحمد بن حنبل - تقديم وتحقيق : د / عبد الرحمن عميرة - دار اللواء - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) ، وطبعة أخرى بتصحيح وتعليق : الشيخ إسماعيل الأنصاري - نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٧١ - الرد على الزنادقة والجهمية : للإمام أحمد بن حنبل - (ضمن عقائد السلف للدكتور : علي سامي النشار) - منشأة المعارف - ١٩٧١ م - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة) .
- ١٧٢ - الرد على المنطقيين : لابن تيمية - دار المعرفة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٧٣ - الرسالة : للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق : أحمد محمد شاكر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م - مصر .
- ١٧٤ - رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لأبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني : وهي ضمن مجموعة الرسائل المنيرية - إدارة الطباعة المنيرية - الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ - مصر - ونشرها : محمد أمين دمج - سنة ١٩٧٠ م - بيروت .

- ١٧٥ - رسالة في الرد على الرافضة : لأبي حامد محمد المقدسي . تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمن - الدار السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الهند - بومباي .
- ١٧٦ - الرسالة القشيرية في علم التصوف : لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري - (عليها هوامش من شرح الشيخ زكريا الأنصاري) - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى - ١٣٣٠ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٧٧ - الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة : للسيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني . خدمة : محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن جعفر الكتاني - مطبعة دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م - دمشق .
- ١٧٨ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام : لشيخ الإسلام ابن تيمية - مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الطبعة الخامسة ١٣٩٦ هـ - مؤسسة مكة للطباعة والإعلام - مكة .
- ١٧٩ - رؤية معاصرة في علم المناهج : د / علي عبد المعطي محمد - دار المعرفة الجامعية - ١٩٨٤ م - مصر - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة) .
- ١٨٠ - روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : لأبي الفضل السيد محمود الألوسي - إدارة الطباعة المنيرة - دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٨١ - زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م - بيروت - دمشق .
- ١٨٢ - زاد المعاد في هدي خير العباد : لابن قيم الجوزية . تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرؤوط - مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .
- ١٨٣ - « رسالة » زهر بذر الحقائق : لحاتم بن إبراهيم الحامدي - (ضمن منتخبات إسماعيلية) - تحقيق : عادل العوا - مطبعة الجامعة السورية - ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م - دمشق (بدون رقم الطبعة) .
- ١٨٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة (وشيء من فقهها وفوائدها) : لمحمد ناصر الدين الألباني - منشورات المكتب الإسلامي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) - وطبعت الأجزاء الأخيرة منها في مكتبة المعارف - الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الرياض .
- ١٨٥ - السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : د / علي عبد الحليم محمود - مكتبات عكاظ - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - الرياض .

- ١٨٦ - سلم الوصول لشرح نهاية السؤل : محمد نجيت المطيعي - (بحاشية نهاية السؤل للأسنوي) - المطبعة السلفية ١٣٤٥ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ١٨٧ - سنن أبي داود : للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . إعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد - دار الحديث - الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - سوريا .
- ١٨٨ - سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة . تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس - الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - مطابع الفجر الحديثة - حمص سوريا .
- ١٨٩ - سنن الدارقطني : للحافظ علي بن عمر الدارقطني - (وبذيله : التعليق المغني على الدارقطني - لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي) - عالم الكتب - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٩٠ - سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي - دار إحياء السنة النبوية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٩١ - السنن الكبرى : للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ - حيدر آباد - الهند .
- ١٩٢ - سنن ابن ماجه : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) . تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة عيسى الباني الحلبي (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٩٣ - السنة : للإمام أحمد بن حنبل . تصحيح وتعليق : الشيخ إسماعيل الأنصاري - نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٩٤ - السنة : لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال . تحقيق الدكتور : عطية الزهراني دار الراية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م - الرياض .
- ١٩٥ - كتاب السنة : لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك - ومعه ظلال الجنة في تخریج السنة - بقلم محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .
- ١٩٦ - السنة : لمحمد بن نصر المروزي - مطابع دار الفكر - دمشق - نشر دار الثقافة الإسلامية - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ١٩٧ - السنة والشيعه : لمحمد رشيد رضا - مطبعة المنار - ١٣٤٧ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .

- ١٩٨ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : لمصطفى السباعي - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - بيروت .
- ١٩٩ - سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق نذير حمدان وآخرين - وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط - مطبعة مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت .
- ٢٠٠ - الشامل في أصول الدين : لإمام الحرمين الجويني . تحقيق : علي سامي النشار وآخرين منشأة المعارف - ١٩٦٩ م - الإسكندرية (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٠١ - شرح أشعار الهذليين : لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج - مكتبة دار العروبة - مطبعة المدني - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٠٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي . تحقيق : د / أحمد سعد حمدان - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٠٣ - شرح الأصول الخمسة : للقاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق : د / عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة - مطبعة الاستقلال الكبرى - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م - القاهرة .
- ٢٠٤ - شرح التلويح : لسعد الدين التفتازاني - على شرح التوضيح لمثن التنقيح - لصدر الشريعة - مطبعة دار الكتب العربية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٠٥ - شرح ديوان المتنبي : وضعه : عبد الرحمن البقوني - دار الكتاب العربي - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٠٦ - شرح السنة : للإمام البغوي . تحقيق وتعليق شعيب الأرنؤوط - دار بدر - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٠٧ - شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي : على شرح المحلى على الورقات في الأصول - لإمام الحرمين الجويني - وهو بحاشية إرشاد الفحول - للشوكاني .
- ٢٠٨ - شرح الصدور بتحريم رفع القبور : للإمام محمد علي الشوكاني . رسالة له ضمن الجامع الفريد - مطبعة شركة العبيكان - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - الرياض .
- ٢٠٩ - شرح العقيدة الأصفهانية : لابن تيمية . تقديم : الشيخ حسين محمد مخلوف - دار الكتب الإسلامية - مطبعة الإعتصام - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .

- ٢١٠ - شرح العقيدة الطحاوية : للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مكتبة دار البيان - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - دمشق .
- ٢١١ - شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية : للقسطلاني - (وبهامشه زاد المعاد - لابن القيم) - دار المعرفة - الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - بيروت .
- ٢١٢ - شرح علل الترمذي : للحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي . تحقيق : نور الدين عتر دار الملاح - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م - (بدون بلد الطبعة) .
- ٢١٣ - شرح القوائد السبع الطوال : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري . تحقيق : عبد السلام هارون - دار المعارف - الطبعة الثانية ١٩٦٩ م - مصر .
- ٢١٤ - شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير : للشيخ محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ، والجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م - مصر . والجزءان الآخران بتحقيق د / محمد الزحيلي ونزيه حماد - دار الفكر - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - دمشق (بدون رقم الطبعة) .
- ٢١٥ - شرح مراق السعود على أصول الفقه : لمحمد الأمين الشنقيطي - المؤسسة السعودية مطبعة المدني - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢١٦ - شرح منار الأنوار في أصول الفقه : لابن مالك - المطبعة العثمانية - ١٣٠٨ هـ - تركيا (بدون رقم الطبعة) .
- ٢١٧ - شرح نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر : (بدون معلومات) .
- ٢١٨ - الشرح والابانة على أصول السنة والديانة : لعبيد الله محمد بن بطه العكبري . تحقيق : رضا بن نسمان معطي - المكتبة الفيصلية - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - مكة المكرمة .
- ٢١٩ - شرف أصحاب الحديث : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . بتحقيق : د / محمد سعيد خطيب أوغلي - دار إحياء السنة النبوية - ١٩٧١ م - توزيع المكتبة السلفية - المدينة المنورة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٢٠ - الشريعة : لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري . تحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - مصر .

- ٢٢١ - شعر الراعي التميمي وأخباره : جمعه وقدم له وعلق عليه : ناصر الحائي - مطبوعات
المجمع العلمي العربي بدمشق - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م - دمشق (بدون رقم
الطبعة) .
- ٢٢٢ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل : لأبي عبد الله محمد بن أبي
بكر (ابن قيم الجوزية) : مكتبة المعارف - مطابع دار الكتاب العربي - مصر
(بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٢٣ - الشوارد : لعبد الله بن محمد بن خميس - دار النجامة للبحث والترجمة والنشر -
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٢٤ - الشيعة والسنة : للشيخ : إحسان إلهي ظهير - مطبعة وفاق - الطبعة الثالثة
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - لاهور .
- ٢٢٥ - الشيعة والقرآن : لإحسان إلهي ظهير - توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة
والإرشاد - نشر : إدارة ترجمان السنة - الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م -
لاهور - باكستان .
- ٢٢٦ - الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : لأبي الحسين أحمد بن فارس -
بتحقيق مصطفى الشومى - مؤسسة -أ- بدران للطباعة والنشر - ١٩٦٣ م -
١٣٨٢ هـ - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٢٧ - الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار - دار
العلم للملأين - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .
- ٢٢٨ - صحيح ابن حبان : ترتيب : الأمير علاء الدين الفارسي . تحقيق : أحمد محمد شاكر
دار المعارف - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٢٩ - صحيح البخاري مع شرح فتح الباري : بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، وخدمة :
محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ومكتبها - القاهرة -
١٣٨٠ هـ (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٣٠ - صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .
- ٢٣١ - صحيح سنن ابن ماجه : لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة
الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - بيروت .
- ٢٣٢ - صحيح سنن النسائي : لمحمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول
الخليج - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م - الرياض .

- ٢٣٣ - صحيح مسلم : لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) - الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م - مصر .
- ٢٣٤ - صحيح مسلم بشرح النووي : المطبعة المصرية ومكتبتها - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٣٥ - « كتاب الصفات : للحافظ علي بن عمر الدارقطني . تحقيق : عبد الله الغنيمان - مكتبة الدار - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - المدينة المنورة .
- ٢٣٦ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة : لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر - الشهرير بابن قيم الجوزية - تحقيق الدكتور : علي بن محمد الدخيل الله - دار العاصمة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - الرياض .
- ٢٣٧ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .
- ٢٣٨ - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة : لعبد الرحمن حسن حنكة الميداني - دار القلم - الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - بيروت .
- ٢٣٩ - طبقات الأولياء : لابن الملتن (أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري) . تحقيق : نور الدين شريه - مكتبة الخانجي - مطبعة دار التأليف - الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - مصر .
- ٢٤٠ - طبقات الحنابلة : للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى - دار المعرفة - بيروت - مطبعة السنة المحمدية - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٤١ - طبقات الشافعية الكبرى : لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي . تحقيق : محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو - الطبعة الأولى - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م - مصر .
- ٢٤٢ - طبقات الصوفية : لأبي عبد الرحمن السلمي . تحقيق : نور الدين شريه - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م - مصر .
- ٢٤٣ - الطبقات الكبرى : لعبد الوهاب الشعراني - دار الطباعة المنيرية المصرية - ١٢٧٦ هـ - بولاق (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٤٤ - طبقات النحويين واللغويين : لأبي بكر محمد بن الحسين الزبيدي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٤٥ م - مصر .

- ٢٤٥ - طريق المهجرتين وباب السعادتين : لابن قيم الجوزية - المطبعة السلفية ومكنتها - ١٣٧٥ هـ - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٤٦ - ظاهرة التأويل وصلتها باللغة : للدكتور : السيد أحمد عبد الغفار - دار الرشيد للنشر - دار الأصبهاني للطباعة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٤٧ - العدة في أصول الفقه : للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء . تحقيق : د / أحمد ابن علي سير المباركي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت .
- ٢٤٨ - العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية : شرح الدرر السنية في عقد أهل السنة المرضية - لأحمد بن حجر آل بوطامي - الطبعة الأولى ١٩٧٠ م - بيروت (بدون اسم المطبعة) .
- ٢٤٩ - العقيدة الإسلامية وأسسها - لعبد الرحمن حبنكة الميداني - الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م (بدون اسم المطبعة وبلدها) .
- ٢٥٠ - عقيدة السلف وأصحاب الحديث : للإمام أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني . تحقيق : بدر البدر - الدار السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - الكويت .
- ٢٥١ - العقيدة النظامية : لأبي المعالي الجويني . تصحيح وتعليق : محمد زاهد الكوثري - مطبعة الأنوار - ١٣٦١ هـ - ١٩٤٨ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٥٢ - العقيدة والشريعة في الإسلام : لأجناس جولد تسيهر . ترجمة : محمد يوسف وآخرين دار الكتاب المصري - الطبعة الأولى ١٩٤٦ م - القاهرة .
- ٢٥٣ - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين : رضا بن نعيان معطي - شركة العبيكان للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - الرياض .
- ٢٥٤ - علم البحث والمناظرة : لطاش كبرى زاده . أحد رسالتين قام بتحقيقهما أبو عبد الرحمن بن عقيل - مطبعة الجبلاوي - تاريخ الإيداع ١٩٧٦ م - ١٣٩٧ هـ - مصر .
- ٢٥٥ - العلم والبحث العلمي : دراسة في مناهج العلوم : لحسين عبد الحميد رشوان - المكتب الجامعي - الاسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

- ٢٥٦ - العلو للعلی الفغار : (في صحيح الأخبار وسقيهما) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . علق عليه : عبد الرزاق عفيفي - مطبعة جماعة أنصار السنة المحمدية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٥٧ - عمدة التفسير : عن الحافظ ابن كثير . اختصار وتحقيق : أحمد محمد شاكر - دار المعارف - ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م - مصر .
- ٢٥٨ - « كتاب » عوارف المعارف : لشهاب الدين السهروردي - المكتبة العلامة - ١٣٥٨ هـ - ١٣٩١ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٥٩ - غاية المرام في علم الكلام : لسيف الدين الآمدي . تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف - لجنة إحياء التراث الإسلامي - مطابع الأهرام التجارية - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٦٠ - غريب الحديث : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م - حيدر آباد - الهند .
- ٢٦١ - الغزو الفكري في المناهج الدراسية : للأستاذ علي لبن - دار الوفاء - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٦٢ - الغنية لطالبي طريق الحق (عز وجل) : لعبد القادر الجيلاني - دار المعرفة - بيروت الطبعة الثانية - المطبعة المصرية - ١٢٨٨ هـ .
- ٢٦٣ - غياث الأمم في التياث الظلم : لأبي المعالي الجويني . تحقيق : د / مصطفى حلمي - مطبعة دار الدعوة - ١٩٧٩ م (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٦٤ - فتاوى ابن الصلاح : المكتبة الإسلامية - تركيا (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٦٥ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه : بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني : لأحمد عبد الرحمن البنا - دار الشهاب - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٦٦ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي الشوكاني دار الفكر - الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ - بيروت .
- ٢٦٧ - فتح المغيث شرح ألفيه الحديث : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - بيروت .
- ٢٦٨ - فتح المنان في نسخ القرآن : لعلی حسن العريض - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى ١٩٧٣ م - مصر .

- ٢٦٩ - الفتوحات المكية : لابن عربي - دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٧٠ - الفرق بين الفرق : لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٧١ - فرق الشيعة : لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي . تصحيح : محمد صادق آل بحر العلوم - المكتبة المرتضوية - المطبعة الحيدرية - ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م - النجف - وطبعة أخرى بتصحيح هـ - ريتز - مطبعة الدولة ١٩٣١ م استانبول (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧٢ - الفروق : لشهاب الدين أبي العباس الصنهاجي . المعروف بالقراقي - دار المعرفة - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٤٧ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧٣ - الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري . تحقيق : حسام الدين القدسي - دار الكتب العلمية - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل : لأبي محمد علي بن أحمد - المعروف بابن حزم . تحقيق : د / محمد إبراهيم نصر ود / عبد الرحمن عميرة - مكتبات عكاظ - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - الرياض .
- ٢٧٥ - فصوص الحكم لابن عربي : تعليق : أبي العلا عفيفي - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧٦ - فصول في فقه اللغة العربية : د / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - دار الجيل للطباعة - الطبعة الثانية ١٩٨٠ م - القاهرة .
- ٢٧٧ - فضائح الباطنية : لأبي حامد الغزالي . تحقيق : عبد الرحمن بدوي - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٧٨ - « كتاب » فضائل القرآن ومعالمه وأدبه : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي . بتحقيق : محمد تجاني جوهرى . رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة - جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م - مكة المكرمة .
- ٢٧٩ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لثلاثة من أئمة المعتزلة : أبو القاسم البلخي ، القاضي عبد الجبار ، الحاكم الجشمي . تحقيق : فؤاد سيد - الدار التونسية - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م - تونس (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٨٠ - « كتاب » الفقه الأكبر : للإمام أبي حنيفة - دار الكتب العربية الكبرى - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

- ٢٨١ - فقه السيرة : لمحمد الغزالي . خرج أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني - دار الكتب الحديثة - الطبعة السابعة ١٩٧٦ م - مصر .
- ٢٨٢ - فقه اللغة في الكتب العربية : د/عبد الرزاق - دار النهضة العربية - ١٩٧٩ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٨٣ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة : لعبد الرحمن عبد الخالق - مكتبة ابن تيمية مطبعة الفيصل - الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ - الكويت .
- ٢٨٤ - الفهرست : لابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق - المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة الرحمانية - ١٣٤٨ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٨٥ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية : لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (مع تعليقاته عليه) . تصحيح : محمد بدر الدين النعساني - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ - مصر .
- ٢٨٦ - فوائح الرحموت : لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري . بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب الله بن عبد الشكور - (وهو بحاشية المستصفي من علم الأصول - لأبي حامد الغزالي) - المطبعة الأميرية - الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ - بولاق - مصر .
- ٢٨٧ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة : لأبي حامد الغزالي . تحقيق : د/سليمان دنيا - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م - مصر .
- ٢٨٨ - القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - المطبعة الاميرية ببولاق الطبعة الثالثة ١٣٠١ هـ - مصر .
- ٢٨٩ - قانون التأويل : لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي . تحقيق : محمد زاهد الكوثري - مطبعة الأنوار - الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م - القاهرة .
- ٢٩٠ - قصة الفلسفة : ويل ديورانت . ترجمة أحمد الشيباني - المكتبة الأهلية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٢٩١ - قصة الفلسفة الحديثة لأحمد أمين وزكي نجيب محمود : مطبعة لجنة التأليف والترجمة - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٩٢ - قصة الفلسفة اليونانية لأحمد أمين وزكي نجيب محمود : مطبعة - لجنة التأليف والترجمة - ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٩٣ - قطر الولي على حديث الولي : لمحمد بن علي الشوكاني . تحقيق : د/إبراهيم إبراهيم هلال - دار الكتب الحديثة - مطبعة حسان - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

- ٢٩٤ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : لمحمد جمال الدين القاسمي . تحقيق : محمد بهجة البيطار - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الثانية - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م - مصر .
- ٢٩٥ - القواعد الحسان لتفسير القرآن : للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مكتبة المعارف - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٩٦ - قواعد في علوم الحديث : لظفر أحمد العثماني التهانوي . بتحقيق : عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية - (حلب) - الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م مطابع دار القلم - بيروت .
- ٢٩٧ - القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله البهيكان (بحث ماجستير مطبوع على الآلة) - بكلية أصول الدين بالرياض - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - الرياض .
- ٢٩٨ - القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنى : للشيخ محمد بن صالح العثيمين . نشر مكتبة الكوثر الإسلامية - مطابع السفراء للأوفست - ١٤٠٦ هـ - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٢٩٩ - القواعد النورانية الفقهية : لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - القاهرة .
- ٣٠٠ - الكافي : الأصول والروضة : لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني . ومعه شرح المولى محمد صالح المازندراني مع تعليقات الحاج الميرزا أبي الحسن الشعراني . من منشورات المكتبة الإسلامية - ١٣٨٨ هـ - طهران (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٠١ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية : وهي القصيدة المعروفة بالنونية . لابن قيم الجوزية - ضمن مجموعة القصائد المفيدة - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٠٢ - الكافية في الجدل : لإمام الحرمين الجويني . تحقيق : د / فؤاد حسين محمود - مطبعة عيسى البابي الحلبي - ١٣٨٨ هـ - ١٨٧٩ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٠٣ - الكامل في ضعفاء الرجال : للحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني . تحقيق : لجنة من العلماء - دار الفكر - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - بيروت .
- ٣٠٤ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ومعه حاشية الشريف الجرجاني ، وكتاب الانصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال للاسكندر) مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م - مصر .

- ٣٠٥ - كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة : المحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - بيروت .
- ٣٠٦ - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي : لعبد العزيز بن أحمد البخاري - دار الكتاب العربي - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م - بيروت .
- ٣٠٧ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني . تصحيح : أحمد القلاش . نشر مكتبة التراث الإسلامي مطبعة الفنون - حلب (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٠٨ - الكفاية في علم الرواية : للخطيب البغدادي - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٠٩ - كليات أبي البقا : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - دار الطباعة العامة ١٢٥٣ هـ - بولاق - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣١٠ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية : لعبد العزيز محمد السلطان - مكتبة الرياض الحديثة - الطبعة السادسة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - الرياض .
- ٣١١ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : لجلال الدين السيوطي - المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر - الطبعة الأولى - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .
- ٣١٢ - لسان العرب : لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣١٣ - لسان الميزان : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر - مؤسسة الأعلمي - الطبعة الثانية ١٩٧١ م - ١٣٩٠ هـ - بيروت (وهي مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ - الهند) .
- ٣١٤ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية . لأبي العون محمد بن أحمد السفاريني - مطابع دار الأصفهاني - ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م - جدة (بدون رقم الطبعة) .
- ٣١٥ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين ابن الأثير . تحقيق : د / أحمد الحوفي - ود / بدوي طبانة - دار الرفاعي - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الرياض .
- ٣١٦ - مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المنثى التيمي . تحقيق : د / محمد فؤاد سزكين - دار الفكر - الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م - مطبعة السعادة - ١٩٥٤ م - مصر .

- ٣١٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية ١٩٦٧ م - بيروت .
- ٣١٨ - مجمل اللغة : لابن فارس . تحقيق : الشيخ هادي حسن حمودي - منشورات معهد المخطوطات العربية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - الكويت .
- ٣١٩ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم - مكتبة المعارف - الرباط - المغرب (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٢٠ - مجموعة تفسير : شيخ الإسلام ابن تيمية - مطبعة «ق» - ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م الهند (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٢١ - مجموعة الرسائل الكبرى : لابن تيمية - مطبعة محمد علي صبيح - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٢٢ - محاسن الاصطلاح وتضمنين كتاب ابن الصلاح : لشيخ الإسلام الحافظ سراج الدين محمد البلقيني - (علي حاشية مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث) . توثيق وتحقيق : د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) - مطبعة دار الكتب - ١٩٧٤ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٢٣ - محاسن التأويل : لمحمد جمال الدين القاسمي . خدمة : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى - ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م - مصر .
- ٣٢٤ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي : للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الراهمزمي . تحقيق : الدكتور محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - بيروت .
- ٣٢٥ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين : لفخر الدين محمد بن عمر الرازي ، وبذيله تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي . تقديم : طه عبد الرؤوف سعد . الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٢٦ - مختصر العلو للعلي الغفار : للحافظ شمس الدين الذهبي . اختصار وتحقيق : محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م - بيروت - دمشق .
- ٣٢٧ - مدارج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) : لابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - ١٩٧٢ م - ١٣٩٢ هـ - بيروت (بدون رقم الطبعة) .

- ٣٢٨ - مدخل إلى علم المنطق : للدكتور مهدي فضل الله - دار الطليعة - الطبعة الأولى ١٩٧٧ م - بيروت .
- ٣٢٩ - مذاهب الإسلاميين : للدكتور عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين - الطبعة الأولى ١٩٧٣ م - بيروت .
- ٣٣٠ - مذكرة أصول الفقه : لمحمد الأمين الشنقيطي - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٣١ - المراسيل : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م - بيروت .
- ٣٣٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر : لأبي الحسن علي المسعودي - دار الأندلس - الطبعة الثانية ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ - بيروت .
- ٣٣٣ - مسائل الإمام أحمد بن حنبل : رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء . تحقيق : زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - ١٣٩٤ هـ - ١٤٠٠ هـ - بيروت - دمشق (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٣٤ - المستدرك على الصحيحين : للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله : التلخيص للحافظ الذهبي - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٣٥ - المستشرق شاخت والسنة النبوية : للدكتور : مصطفى الأعظمي ، وهو بحث ضمن مجموعة بحوث تحت عنوان : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية - مطبعة مكتب الترجمة العربي لدول الخليج - ١٩٨٥ م - الرياض (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٣٦ - المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي : دار صادر - المطبعة الأميرية - الطبعة الأولى ١٣٢٢ هـ - مصر .
- ٣٣٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامي - دار صادر - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - بيروت - وطبعة دار المعارف . بتحقيق : أحمد محمد شاكر - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٣٨ - مسند أبي داود الطيالسي : للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الشهير بأبي داود الطيالسي - دار المعرفة - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٣٩ - المسودة في أصول الفقه لآل تيمية : محيي الدين أبو البركات ، شهاب الدين أبو المحاسن ، تقي الدين أبو العباس . تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة المدني - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .

- ٣٤٠ - مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني : للشيخ محمد الخضر بن سيدي عبد الله الجكني الشنقيطي - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٤٦ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٤١ - مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي . تحقيق : محمد ناصر الألباني المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - بيروت .
- ٣٤٢ - مشكل الحديث وبيانه : لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك - مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الأولى ١٣٦٢ هـ - الهند .
- ٣٤٣ - كتاب المصاحف : لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . صححه : د /آثر جفري - المطبعة الرحمانية - الطبعة الأولى - ١٩٣٦ م - ١٣٥٥ هـ - مصر .
- ٣٤٤ - المصباح في أصول الحديث : السيد قاسم الأندجاني - مطبعة المدني - ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م - القاهرة .
- ٣٤٥ - مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ... تأليف : العلامة برهان الدين البقاعي . تحقيق : عبد الرحمن الوكيل - مطبعة السنة المحمدية - ١٩٥٣ م - ١٣٧٢ هـ - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٤٦ - المصنف - للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م - بيروت .
- ٣٤٧ - المطالب العالية في علم الكلام : مخطوط بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ميكروفلم) تحت الرقم ٣١١٤ - الرياض .
- ٣٤٨ - المطالب العالية من العلم الالهي : فخر الدين الرازي . تحقيق : د /أحمد حجازي السقا - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - بيروت .
- ٣٤٩ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد : للشيخ حافظ بن أحمد حكيم - دار الفتح الإسلامي - الأسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٥٠ - معالم أصول الدين : لفخر الدين محمد بن عمر الرازي . تقديم : طه عبد الرؤوف سعد . الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٥١ - معالم التنزيل : لأبي محمد الحسين الفراء البغوي - (وهو بهامش تفسير الخازن) - دار الفكر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٥٢ - معالم السنن : لأبي سليمان محمد بن محمد الخطابي البستي - المكتبة العلمية - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - بيروت .

- ٣٥٣ - المعجزة الكبرى (القرآن) ... محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي (بدون رقم الطبعة وتاريخها وبلدها) .
- ٣٥٤ - معجم البلدان : لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي - دار صادر - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٥٥ - المعجم الفلسفي لجميل صليبا : دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى - الجزء الأول مطبوع سنة ١٩٧١ م - والثاني مطبوع سنة ١٩٧٣ م - بيروت .
- ٣٥٦ - معجم مصطلحات الصوفية : للدكتور : عبد المنعم الحفني - دار المسيرة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٥٧ - معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس . تحقيق : عبد السلام هارون - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - مصر .
- ٣٥٨ - معرفة علوم الحديث : للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري . تصحيح وتعليق : السيد معظم حسين - المكتبة العلمية بالمدنية المنورة - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - حيدر - آباد الدكن .
- ٣٥٩ - المعرفة عند مفكري المسلمين : للدكتور : محمد غلاب . مراجعة : محمود العقاد ، زكي نجيب محمود - الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار الجيل للطباعة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٦٠ - معنى قول المطالبي اذا صح الحديث فهو مذهبي : لتقي الدين علي بن السبكي - (وهي الرسالة السادسة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية) - إدارة الطباعة المنيرية - الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ - مصر .
- ٣٦١ - معيد النعم ومبيد النقم : لثاج الدين عبد الوهاب السبكي . تحقيق : محمد علي النجار وآخرين - مكتبة الخانجي - مطبعة دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م - القاهرة .
- ٣٦٢ - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة : لجلال الدين السيوطي - المطبعة السلفية - الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - القاهرة .
- ٣٦٣ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة : لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٦٤ - المفضليات : للمفضل بن محمد بن يعلى الخبي الكوفي . تحقيق : أحمد شاكر وعبد السلام هارون - الطبعة الرابعة - دار المعارف - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .

- ٣٦٥ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .
تصحيح : هلموت رير - دار النشر فرانز شتاير - الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ -
١٩٨٠ م - فيسبادن .
- ٣٦٦ - المقالات والفرق : لسعد بن عبد الله أبي خلف القمي . تصحيح وتعليق : د/محمد
جواد مشكور - مطبعة حيدري - ١٩٦٣ م - طهران (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٦٧ - مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني للجوهول ، ومقدمة ابن عطية) .
تصحيح : د/آثر جفري - مكتبة الخانجي - الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ - ١٩٧٢ م
القاهرة .
- ٣٦٨ - مقدمة ابن خلدون : دار الشعب - بدون معلومات أخرى .
- ٣٦٩ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث : للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن
الشهرزوري المعروف بابن الصلاح - دار الكتب العلمية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٧٠ - مقدمة في أصول التفسير : لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية . تحقيق : د/عدنان زرزور
دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م - الكويت .
- ٣٧١ - الملل والنحل : لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني .
تحقيق : محمد سيد كيلاي - دار المعرفة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - بيروت
(بدون رقم الطبعة) .
- ٣٧٢ - مناظرة في الرد على النصاري : لفخر الدين الرازي . تحقيق : د/عبد المجيد النجار -
دار الغرب الإسلامي - ١٩٨٦ م - بيروت (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٧٣ - مناقب الشافعي : لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي - المكتبة العلامة - مصر
(بدون رقم الطبعة وناريخها) .
- ٣٧٤ - مناهج الأدلة في عقائد الملة : لابن رشد . تحقيق : د/محمود قاسم - مكتبة الأنجلو
مطبعة نجيب - ١٩٦٤ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٧٥ - مناهج البحث عند مفكري الإسلام ... للدكتور : علي سامي النشار - دار المعارف
مطبعة للمصري - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - مصر .
- ٣٧٦ - مناهل البحث عند مفكري الإسلام ... للدكتور علي سامي النشار - دار المعارف
مطبعة للمصري - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م - مصر .

- ٣٧٧ - كتاب « انتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل - لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٢٦ هـ - مصر .
- ٣٧٨ - المنحول من تعليقات الأول : لأبي حامد الغزالي . تحقيق : محمد حسن هينو - (بدون معلومات أخرى) .
- ٣٧٩ - منطق ابن تيمية ومنهجه الفكري : للدكتور محمد حسنى الزين . المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ - بيروت .
- ٣٨٠ - المنطق الحديث في شرح الملوي على السلم : لعبد المتعال الصعدي . الناشر : أحمد نجيب الراجحي - مطبعة السعادة - الطبعة الثانية - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .
- ٣٨١ - المنطق المنظم في شرح الملوي على السلم : لعبد المتعال الصعدي . الناشر : أحمد نجيب الراجحي - مطبعة السعادة - الطبعة الثانية - مصر (بدون تاريخ الطبعة) .
- ٣٨٢ - المنطق وأشكاله : د / محمد عزيز نظمي سالم - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٨٣ - المنطق والفكر الإنساني : لعبد السلام محمد عبده - مطبعة لطفي - ١٩٧٨ م - ١٩٧٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٨٤ - المنقذ من الضلال : لأبي حامد الغزالي - مطبعة ابن زهدون - الطبعة الثانية - ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م - دمشق .
- ٣٨٥ - منهاج السنة النبوية : لابن تيمية . تحقيق : د / محمد رشاد سالم - مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - الرياض السعودية .
- ٣٨٦ - منهاج الوصول في معرفة علم الأصول : للبيضاوي - مطبعة محمد علي صبيح - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٨٧ - منهج الأشاعرة في العقيدة : سفر الحوالي - الدار السلفية - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - مطابع دار السياسة - الكويت .
- ٣٨٨ - منهج البحث العلمي عند العرب : لجلال محمد عبد الحميد موسى - دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى ١٩٧٢ م - بيروت .
- ٣٨٩ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : لمحمد الأمين الشنقيطي - من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - دار النصر للطباعة الإسلامية - تاريخ الابداع ١٩٨٠ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .

- ٣٩٠ - الموافقات في أصول الشريعة : لأبي إسحاق الشاطبي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٣٩١ - « كتاب » المواقف للأيبي : بشرح السيد الشريف الجرجاني مع حاشيتين إحداهما لعبد الحكيم السيالكوتي - والثانية للمولى حسن جلبي الفناوي - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ - مصر .
- ٣٩٢ - المواقف في علم الكلام : لعبد الرحمن بن أحمد الأيبي - نشره : أحمد محمد الحنبولي وإبراهيم الدسوقي عطية - مطبعة العلوم - ١٣٥٧ هـ - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٩٣ - موطأ الإمام مالك بن أنس : خدمة : فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - مصر .
- ٣٩٤ - موقف أهل السنة القدماء بأزاء علوم الأوائل : مقالة للمستشرق : جنتس جولد تسير (ضمن كتاب : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) - مجموعة دراسات لكبار المستشرقين ، - جمعها الدكتور عبد الرحمن بدوي - مكتبة النهضة المصرية - مطبعة الاعتماد - ١٩٤٠ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٣٩٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال : لأبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي - تحقيق علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م - مصر .
- ٣٩٦ - ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه : لهبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم المعروف بشرف الدين ابن البارزي . بتحقيق : د /حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - بيروت .
- ٣٩٧ - الناسخ والمنسوخ : لأبي القاسم هبة الله بن سلامة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - مصر .
- ٣٩٨ - الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم : لأبي جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل الصفار المشهور بأبي جعفر النحاس . تصحيح وتعليق : محمد أمين الخانجي - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٢٣ هـ - مصر .
- ٣٩٩ - النبأ العظيم : للدكتور : محمد عبد الله دراز - مطبعة السعادة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٤٠٠ - النجاة : لابن سينا . تقديم محي الدين صبري الكردي - مطبعة السعادة - الطبعة الثانية ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م - مصر .

- ٤٠١ - نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر : للحافظ ابن حجر العسقلاني لشرح على القارئ : مطبعة أخوت - سنة ١٣٢٧ هـ - استانبول (بدون رقم الطبعة) .
- ٤٠٢ - النصيحة في صفات الرب جلا وعلا : للشيخ أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي . تحقيق : زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م بيروت - دمشق .
- ٤٠٣ - نقض أساس التقديس للرازي : تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية . مخطوط بجامعة الملك سعود - رقم : ٢٥٩٠ .
- ٤٠٤ - نقض المنطق : لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة - مطبعة السنة المحمدية - الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م - القاهرة .
- ٤٠٥ - نكت الانتصار لنقل القرآن : لأبي بكر الباقلاني - تحقيق : محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - ١٩٧١ م - الإسكندرية - مصر (بدون رقم الطبعة) .
- ٤٠٦ - النكت على كتاب ابن الصلاح : للحافظ ابن حجر العسقلاني . تحقيق : د / ربيع ابن هادي عمير - المجلس العلمي - إحياء التراث الإسلامي - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - المدينة المنورة .
- ٤٠٧ - نهاية الإقدام في علم الكلام : لبعد الكريم الشهرستاني . تصحيح : الفرد جيوم - (بدون معلومات أخرى) .
- ٤٠٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر : لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) . تحقيق : محمود محمد الطناحي - المكتبة الإسلامية (بدون اسم البلد ورقم الطبعة وتاريخها) .
- ٤٠٩ - نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول : لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (بدون رقم الطبعة وتاريخها) .
- ٤١٠ - النور من كلمات أبي طيفور : للسهرلجي - (ضمن شطحات الصوفية لبعد الرحمن بدوي) - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٩ م - القاهرة (بدون رقم الطبعة) .
- ٤١١ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة : لموسى جار الله - وعزاه إلى الكافي والوافي من علماء الشيعة . الناشر : سهيل اكيدي - مطبعة ابوركين - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - لاهور - باكستان .

- ٤١٢ - البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر : لعبد الوهاب الشعراني - (وبهامشه الكيمياء الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر للشعراني أيضا) - المطبعة الأزهرية المصرية - الطبعة الثالثة ١٣٣١ هـ - مصر .

ثامنا : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

١٥-٥	 المقدمة
٤٨-١٧	 التمهيد
	المبحث الأول : أهمية المنهج في العلوم والمعارف عامة ، وفي علوم الشريعة
١٩	 خاصة
١٩	 - التعريف بالمنهج في اللغة والاصطلاح
٢٠	 - أهمية المنهج في العلوم
٢١	 - أمثلة لبعض مناهج العلوم
٢٧	 المبحث الثاني : التعريف بأهل السنة والجماعة
٣٣	 - ألقاب أهل السنة
	 - معنى الجماعة الوارد في مصطلح أهل السنة
٣٧	 والجماعة
	المبحث الثالث : خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل
٤٠	 الاعتقاد

الباب الأول

مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند

أهل السنة والجماعة

٧٧-٥١	 الفصل الأول : المصدر الأول : القرآن الكريم
٥٣	 المبحث الأول : التعريف بالقرآن الكريم في اللغة والاصطلاح
٥٦	 المبحث الثاني : القرآن الكريم كلام الله تعالى
٦١	 المبحث الثالث : حفظ القرآن الكريم - وسلامته من التحريف
٦١	 - حفظ القرآن في عهد النبوة
	 - حفظ القرآن في عهد الصحابة رضوان الله تعالى
٦٣	 عليهم
٦٥	 - سلامة القرآن من التحريف

رقم الصفحة

٧٢	 المبحث الرابع : المنهج في تفسير النص القرآني
١٢٩-٧٩	 الفصل الثاني : المصدر الثاني : السنة النبوية
٨١	 المبحث الأول : التعريف بالسنة في اللغة والاصطلاح
٨٥	 المبحث الثاني : السنة وحي من الله (تعالى) محفوظ
٨٥	 - مصدر السنة النبوية
٨٦	 - دلالة القرآن الكريم على أن السنة من الوحي
٨٧	 - دلالة السنة النبوية على أن السنة من الوحي
	 - دلالة الإجماع ، وأقوال العلماء على أن السنة من الوحي
٨٨	
٨٩	 - دلالة النظر الصحيح على أن السنة من الوحي
٩٠	 - حفظ السنة النبوية
٩٠	 - أثر النبي (ﷺ) في حفظ السنة
٩٣	 - أثر الصحابة (رضوان الله عليهم)
	 - أثر التابعين ، ومن بعدهم من أهل العلم في حفظ السنة
٩٧	
١٠٣	 المبحث الثالث : حجية السنة النبوية
١٠٣	 - دلالة القرآن الكريم على حجية السنة النبوية
١٠٥	 - دلالة السنة النبوية على حجية السنة
١٠٧	 - دلالة الإجماع على حجية السنة
١٠٨	 - دلالة النظر الصحيح على حجية السنة
١٠٨	 - إنكار حجية السنة
١٠٨	 - تاريخ ظاهرة إنكار السنة
١١١	 - أهم شبهات المنكرين لحجية السنة والرد عليها
١١٥	 - هل يفيد خبر الواحد العلم
١٢٧	 - الاحتجاج بخبر الواحد في مسائل الاعتقاد
١٥٤-١٣١	 الفصل الثالث : المصدر الثالث : الإجماع
١٣٣	 المبحث الأول : التعريف بالإجماع في اللغة والاصطلاح

رقم الصفحة

١٣٧	 المبحث الثاني : حجية الإجماع
١٣٧	 - مذهب الجمهور في حجية الإجماع وأدلتهم
١٤٠	 - مذهب المنكرين لحجية الإجماع
١٤٣	 - مذهب الظاهرية في حجية الإجماع
١٤٣	 - الإمام أحمد وموقفه من الإجماع
١٤٦	 المبحث الثالث : في استناد الإجماع إلى دليل
١٤٨	 المبحث الرابع : حكم الإجماع
١٤٨	 - ما يفيد الإجماع
١٤٩	 - حكم مخالفة الإجماع
١٥١	 المبحث الخامس : الإجماع في أبواب الاعتقاد
١٨٢، ١٥٥	 الفصل الرابع : المصدر الرابع : العقل
١٥٧	 المبحث الأول : التعريف بالعقل في اللغة والاصطلاح
١٦٠	 - التفاوت في العقول
١٦٢	 - مكان العقل
١٦٤	 المبحث الثاني : العقل بين الإسلام والمذاهب الضالة
١٦٤	 - أزمة العقل البشري
١٦٨	 - منزلة العقل في الإسلام
١٧٤	 المبحث الثالث : العقل أحد مصادر المعرفة
١٧٤	 - مجالات العمل العقلي
١٧٦	 - أقسام العلوم
١٧٧	 - موقع العقل من المطالب الاعتقادية
٢١٨، ١٨٣	 الفصل الخامس : المصدر الخامس : الفطرة
١٨٥	 تمهيد : معنى الفطرة في اللغة والاصطلاح
١٨٧	 المبحث الأول : الفطرة في الكتاب والسنة واختلاف العلماء في المراد بها
٢٠٦	 المبحث الثاني : ما بين المعرفة والفطرة
٢٠٦	 - فطرية المعرفة
٢١٠	 - الفطرة والمطالب الدينية

رقم الصفحة

- ٢١٠ دلالة الفطرة على توحيد الربوبية -
- ٢١٤ دلالة الفطرة على توحيد الأسماء والصفات -
- ٢١٥ دلالة الفطرة على صفة العلو لله (تعالى) -
- ٢١٦ دلالة الفطرة على توحيد الألوهية -

الباب الثاني

قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند
أهل السنة والجماعة

القاعدة الأولى : الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة

- ٢٢٣ صورة القاعدة
- ٢٢٤ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٢٢٤ - الإيمان بالنصوص ضربان
- ٢٢٥ - أقسام الناس تجاه نصوص الوحي
- ٢٢٩ المبحث الثالث : أدلة القاعدة
- ٢٢٩ - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٢٣١ - دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٢٣٢ - أقوال السلف والعلماء ودلائلها على القاعدة
- ٢٣٤ - دلالة المعقول على القاعدة
- ٢٣٦ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة الثانية : احتمال الكتاب والسنة على أصول الدين دلالة و مسائله

- ٢٤٥ صورة القاعدة
- ٢٤٦ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٢٤٦ - المراد بأصول الدين
- ٢٥١ - بيان الرسول (ﷺ) لمسائل الدين على وجهين ...
- ٢٥٢ المبحث الثاني : أدلة القاعدة
- ٢٥٢ - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٢٥٤ - دلالة السنة النبوية على القاعدة

رقم الصفحة

- ٢٥٦ - دلالة المعقول على القاعدة
- ٢٥٧ - دلالة الفطرة على القاعدة
- ٢٥٨ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة الثالثة : لا نسخ في الأخبار ولا في أصول الدين

- ٢٦٥ - صورة القاعدة
- ٢٦٦ - التعريف بالنسخ في اللغة والاصطلاح
- ٢٦٨ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٢٧٠ - ما يتعلق بنسخ الخبر
- ٢٧٣ - الفرق بين النسخ والبداء
- ٢٧٦ المبحث الثاني : أدلة القاعدة
- ٢٧٦ - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٢٨٠ - دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٢٨١ - دلالة المعقول على القاعدة
- ٢٨٢ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة الرابعة : رد التنازع إلى الكتاب والسنة

- ٢٨٧ - صورة القاعدة
- ٢٨٨ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٢٩١ - معنى الرد إلى الله ورسوله
- ٢٩١ - رد التنازع إلى الله ورسوله من مقتضيات الإيمان
- ٢٩٤ - المخالفون لهذه القاعدة
- ٢٩٥ المبحث الثاني : أدلة القاعدة
- ٢٩٥ - دلالة القرآن على القاعدة
- ٣٠١ - دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٣٠٣ - دلالة الإجماع وأقوال السلف وأحوالهم على القاعدة
- ٣٠٦ - دلالة النظر الصحيح على القاعدة
- ٣٠٧ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة الخامسة : درء التعارض بين نصوص الكتاب والسنة

- ٣١٣ - صورة القاعدة
- ٣١٤ - التعريف بالتعارض في اللغة والاصطلاح
- ٣١٧ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٣١٩ - التعارض في نفس المجتهد لا في نفس الأمر
- ٣٢٠ - أسباب وقوع التعارض الظاهري بين النصوص
- ٣٢٢ - كيفية دفع التعارض
- ٣٢٦ - أمثلة للأدلة التي ظاهرها التعارض وكيفية الجمع بينها
- ٣٣١ المبحث الثاني : مذهب المخالفين لهذه القاعدة وشبهاتهم والجواب عليها ..
- ٣٣٧ المبحث الثالث : أدلة القاعدة
- ٣٣٧ - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٣٣٩ - دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٣٤١ - دلالة الإجماع وأقوال العلماء على القاعدة
- ٣٤٤ - دلالة المعقول على القاعدة
- ٣٤٥ - دلالة الفطرة على القاعدة
- ٣٤٦ المبحث الرابع : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة السادسة : درء التعارض بين النقل والعقل

- ٣٥١ - صورة القاعدة
- ٣٥٢ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٣٥٣ - الشرع حاكم بإطلاق ، ومقدم بإطلاق
- - معارضة نصوص الوحي والآراء والأهواء هو مذهب
- ٣٥٧ أهل البدع
- - أسباب توهم التعارض بين النقل والعقل ، ووجوه
- ٣٦١ دفعه
- ٣٦٧ المبحث الثاني : مذهب المخالفين للقاعدة ، والجواب عليه
- ٣٦٧ - حكاية مذهب المخالفين
- ٣٧٠ - الجواب على مذهب المخالفين

رقم الصفحة

٣٧٧	 المبحث الثالث : أدلة القاعدة
٣٧٧	 - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
٣٧٩	 - دلالة السنة النبوية على القاعدة
٣٨٠	 - دلالة الإجماع وأقوال العلماء على القاعدة
٣٨٣	 - دلالة المعقول على القاعدة
٣٨٤	 المبحث الرابع : فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة السابعة : ظواهر النصوص مطابقة لمراد الشارع

٣٩١	 - صورة القاعدة
٣٩٢	 المبحث الأول : فقه القاعدة
٣٩٣	 - الأصل في الكلام دلالة على مراد المتكلم
٣٩٤	 - مراد المتكلم يعرف بطرق عدة
٣٩٦	 - المراد بالظاهر في هذا الباب
٣٩٨	 - أقسام النصوص من حيث الدلالة
٤٠٠	 - أحوال صرف النصوص عن ظواهرها
٤٠١	 - ما يلزم صارف النصوص عن ظواهرها
٤٠٢	 - هل للنصوص ظاهر وباطن ؟
٤١٠	 - متى يجوز ترك البيان ؟
٤١١	 المبحث الثاني : مذهب المخالفين لهذه القاعدة وجوابه
٤١١	 - حكاية مذهب المخالفين
	 - موقف هؤلاء المخالفين من النصوص التي اعتقدوا عدم
٤١٤	 إفادتها اليقين
٤١٥	 - الجواب على مذهب المخالفين
٤٢٤	 المبحث الثالث : أدلة القاعدة
٤٢٤	 - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
٤٢٦	 - دلالة السنة النبوية على القاعدة
٤٢٨	 - أقوال العلماء في الدلالة على القاعدة
٤٣٠	 - دلالة العقل على القاعدة
٤٣١	 المبحث الرابع : فوائد الالتزام بالقاعدة

رقم الصفحة

القاعدة الثامنة : ظواهر النصوص مفهومة لدى المخاطبين

- ٤٣٧ - صورة القاعدة
- ٤٣٨ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٤٣٨ - كلام الله وكلام رسوله جار على معهود العرب
- ٤٤٢ - هل في القرآن ألفاظ بغير العربية
- ٤٤٤ - هل في القرآن ما لا يفهم معناه
- ٤٤٥ - اليسر في فهم نصوص الشريعة
- ٤٤٨ المبحث الثاني : مذهب المخالفين للقاعدة وجوابه
- ٤٤٨ - حكاية مذهب المخالفين
- ٤٤٩ - الجواب على مذهب المخالفين
- ٤٥٦ المبحث الثالث : أدلة القاعدة
- ٤٥٦ - دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٤٥٩ - دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٤٦٢ - أقوال السلف وعلماء الأمة في الدلالة على القاعدة
- ٤٦٥ - دلالة المعقول على القاعدة
- ٤٦٦ - دلالة الفطرة على القاعدة
- ٤٦٧ - فوائد الالتزام بالقاعدة

القاعدة التاسعة : الايمان بالمتشابه والعمل بالمحكم

- ٤٧١ - صورة القاعدة
- ٤٧٢ - معنى الإحكام والتشابه في اللغة والاصطلاح
- ٤٧٢ - معنى الإحكام والتشابه في اللغة
- ٤٧٣ - معنى الإحكام والتشابه في الاصطلاح
- ٤٧٣ - الإطلاق العام للمحكم والمتشابه
- ٤٧٣ - الإطلاق الخاص للمحكم والمتشابه
- ٤٧٧ المبحث الأول : فقه القاعدة
- ٤٧٧ - الإحكام والتشابه في القرآن الكريم

رقم الصفحة

- ٤٨٠ هل الراسخون في العلم يعلمون المتشابه ؟
- ٤٨٥ أنواع المتشابه
- ٤٨٨ وجود المتشابه في الشرع
- ٤٨٨ هل الأسماء والصفات ونصوص المعاد من المتشابه
- ٤٩١ موقف المسلم من المتشابه
- ٤٩٢ ذكر بعض مواقف المخالفين لهذه القاعدة
- ٤٩٤ المبحث الثاني : أدلة القاعدة
- ٤٩٤ دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٤٩٤ دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٤٩٥ الأدلة من أقوال السلف والعلماء
- ٤٩٦ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة
- القاعدة العاشرة :

- ٥٠١ حجية فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة
- ٥٠٣ صورة القاعدة
- ٥٠٦ المبحث الأول : السلف أعلم بلغة القرآن الكريم
- ٥٠٨ السلف أعلم بتفسير القرآن الكريم
- ٥١١ طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم
- ٥١٤ المبحث الثاني : أدلة القاعدة
- ٥١٤ دلالة القرآن الكريم على القاعدة
- ٥١٧ دلالة السنة النبوية على القاعدة
- ٥١٨ دلالة الإجماع وأقوال العلماء على القاعدة
- ٥٢١ دلالة العقل على القاعدة
- ٥٢٣ دلالة الفطرة على القاعدة
- ٥٢٣ المبحث الثالث : فوائد الالتزام بالقاعدة

الباب الثالث

لوازم منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند
أهل السنة والجماعة

- ٥٣١ الفصل الأول : موقف أهل السنة من التأويل

رقم الصفحة

- المبحث الأول : معنى التأويل في اللغة والاصطلاح ٥٣٣
- المبحث الثاني : التأويل بين اصطلاح السلف واصطلاح ٥٣٧
- التأويل عند السلف ٥٣٧
- التأويل عند المتأخرين ٥٤٣
- تاريخ ظهور المصطلح ٥٤٣
- حقيقة التأويل عند الأصوليين ٥٤٥
- حقيقة التأويل عند المتكلمين ٥٤٨
- المبحث الثالث : التأويل الحق هو معرفة مراد المتكلم ٥٥٢
- المبحث الرابع : موقف الامام أحمد من التأويل ٥٥٦
- الجواب على رواية الغزالي ٥٥٧
- الجواب على رواية حنبل ٥٥٨
- المبحث الخامس : الأدلة على بطلان مذهب أصحاب التأويل ٥٦٠
- المبحث السادس : موقف السلف وأهل السنة وجماهير العلماء من قضية التأويل ٥٦٧
- ذكر إجماع الصحابة والتابعين وأهل السنة وأصحاب الحديث والفقهاء على نبذ التأويل .. ٥٦٧
- إجماع الصحابة والتابعين ٥٦٧
- إجماع أهل السنة وأصحاب الحديث ٥٦٨
- إجماع الفقهاء وأئمة العلم ٥٧٠
- ذكر مواقف لبعض أعيان العلماء من المتقدمين والمتأخرين ٥٧٢
- الفصل الثاني : موقف أهل السنة من التفويض ٥٧٧
- معنى التفويض في اللغة والاصطلاح ٥٧٩
- المبحث الأول : حقيقة مذهب أهل التفويض ٥٨١
- الفرق بين التفويض والاثبات ٥٨٢
- العلاقة بين التفويض والتأويل ٥٨٣

رقم الصفحة

٥٨٥	 المبحث الثاني : هل التفويض من مذهب السلف
٥٨٧	 - الجواب على دعوى أن التفويض مذهب السلف
٥٩٣	 المبحث الثالث : الأدلة على بطلان مذهب التفويض
٦٣٣-٥٩٧	 الفصل الثالث : موقف أهل السنة من المنطق الأرسطي
٥٩٩	 - التعريف بالمنطق الأرسطي وموضوعه
٦٠٢	 المبحث الأول : تاريخ نشأة المنطق الأرسطي
	 المبحث الثاني : دخول المنطق الأرسطي ديار المسلمين واختلاطه بالعلوم
٦٠٥	 الشرعية
٦١١	 المبحث الثالث : أسباب رفض المسلمين للمنطق الأرسطي
٦١١	 - الأسباب الشرعية لرفض المنطق الأرسطي
٦١٥	 - الأسباب العقلية لرفض المنطق الأرسطي
٦١٨	 المبحث الرابع : نقض المنطق الأرسطي
٦٢٣	 - نماذج من نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي
٦٣٠	 المبحث الخامس : حكم الاشتغال بالمنطق الأرسطي
٦٣١	 - مذهب القائلين بوجوب تعلمه
٦٣١	 - مذهب المجوزين تعلمه لمن تأهل لذلك
٦٣٢	 - مذهب القائلين بتحريمه
٦٨٨-٦٣٥	 الفصل الرابع : موقف أهل السنة من الكشف والرؤى
٦٣٧	 تمهيد
٦٣٨	 المبحث الأول : وسائل المعرفة عند المتصوفة وكيفية اكتسابها
٦٣٨	 - الكشف والرؤى
٦٤١	 - كيفية اكتساب المعرفة الصوفية
٦٤٤	 المبحث الثاني : حقيقة المعرفة الصوفية
٦٤٤	 - موقف الصوفية من العلوم الشرعية والعقلية
٦٤٥	 - دعوى عروج المتصوفة إلى السموات السبع
	 - دعوى الصوفية أن علومهم من عند الله (تعالى) وذلك
٦٤٦	 عن طريق الكشف

رقم الصفحة

- ٦٤٨ - ادعائهم عصمة الأولياء وعلومهم عن الخطأ والزلل
- ٦٤٩ - ما يزعمه الصوفية من المعارف التي تقع لهم بالكشف
- ٦٥٠ - الحقيقة والشرعية عند المتصوفة
- ٦٥١ - أحوال الصوفية ومكاشفاتهم هي الميزان
- دعوى الصوفية رؤية النبي (ﷺ) يقظة ومناما والأخذ عنه
- ٦٥٣ -
- ٦٥٥ - المبحث الثالث : موقف أهل السنة والجماعة من المعرفة الصوفية
- ٦٥٥ - الميزان الصحيح
- المتابعة الصحيحة للشرعية تقتضي الهامات وأحوالاً صادقة
- ٦٥٧ -
- ٦٥٨ - خرق العادة لا يدل على الولاية
- ٦٦٠ - أفضل كرامة متابعة النبي (ﷺ) ظاهراً وباطناً ..
- مرتبة الوحي أعظم وأشرف من مرتبة الكشف والالهام ونحوهما
- ٦٦٢ -
- ٦٦٣ - إلهام الأنبياء ليس كإلهام غيرهم
- ٦٦٤ - الذوق والوجد يرجع إلى حب الإنسان واعتقاده ...
- ٦٦٥ - الإلهام دليل خاص
- ٦٦٦ - شبهة وجوابها
- اعتماد الكشف ونحوه بمعزل عن الشرع من أصول الإلهاد
- ٦٦٨ -
- ٦٧٠ - الحقيقة والشرعية
- لا عصمة للمكاشفات والمخاطبات ونحوها من الأحوال
- ٦٧٣ -
- ٦٧٦ - اعتراض وجوابه
- ٦٧٧ - المكاشف الحق من يزن مكاشفاته بالكتاب والسنة
- ٦٧٨ - من أقوال المحققين وأحوالهم
- ٦٨٠ - رؤية النبي (ﷺ) يقظة ومناما
- ٦٨٦ - حكم العمل بالرؤيا
- ٦٨٨ - اعتراض وجوابه

رقم الصفحة

٧٥١-٦٨٩	الفصل الخامس : قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم
٦٩١	القاعدة الأولى : إن كنت ناقلًا فالصحة ، أو مدعيًا فالدليل
٦٩٢	القاعدة الثانية : موافقة النصوص لفظًا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ
٦٩٣	القاعدة الثالثة : لا ينبغي بتر الدليل ، والاستدلال بجزئه
٦٩٤	القاعدة الرابعة : الحق يقبل من أي جهة جاء
٦٩٥	القاعدة الخامسة : الحق لا يعرف بالرجال ، اعرف الحق تعرف رجاله
٦٩٦	القاعدة السادسة : حكم كلام غير الشارع
٦٩٧	القاعدة السابعة : السكوت عما سكت الله عنه ورسوله
٦٩٨	القاعدة الثامنة : الامتناع عن مناظرة أهل السفسطة
٦٩٨	القاعدة التاسعة : الباطل لا يرد بالباطل بل بالحق
٧٠٠	القاعدة العاشرة : عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم
٧٠١	القاعدة الحادية عشرة : في لازم المنهك
٧٠٣	القاعدة الثانية عشرة : الاستدلال بالدليل المتفق عليه على المسألة المتنازع فيها
٧٠٤	القاعدة الثالثة عشرة : الجمع بين المتأثرات والتفريق بين المختلفات
٧٠٦	القاعدة الرابعة عشرة : المعارضة الصحيحة هي التي يمكن طردها
٧٠٧	القاعدة الخامسة عشرة : في مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم الخاص
٧٠٩	القاعدة السادسة عشرة : التوقف عند الإيهام والاستفصال عند الإجمال
٧١١	القاعدة السابعة عشرة : طالب الحق يستفيد من رد أهل البدع بعضهم على بعض
٧١٣	القاعدة الثامنة عشرة : القطعية والظنية من الأمور النسبة الإضافية
٧١٤	القاعدة التاسعة عشرة : الاصطلاحات الحادثة لا تغير من الحقائق شيئًا
٧١٥	القاعدة العشرون : الحيدة عن الجواب ضرب من الانقطاع

الخاتمة

٧٣٠-٧١٩	(أ) حكم من خالف منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد

رقم الصفحة

(ب) نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد ونتائج	
المخالفة لذلك	٧٤٦، ٧٣٠
- حكم الاثنتين وسبعين فرقة	٧٢٢
- البدعة نوعان	٧٢٥
- التفريق بين الكفر وقائله	٧٢٧
- العذر بالجهل	٧٢٩
نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد ونتائج المخالفة لذلك	٧٣٠
النتيجة الأولى : تحقيق كمال الدين ، وتمام النعمة ، وقيام الحجة	٧٣٠
النتيجة الثانية : بيان ثبوت العصمة للشارع	٧٣١
النتيجة الثالثة : التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة	٧٣٢
النتيجة الرابعة : تعظيم نصوص الكتاب والسنة	٧٣٢
النتيجة الخامسة : عصمة علوم أهل السنة	٧٣٢
النتيجة السادسة : السكوت عما سكت عنه السلف	٧٣٣
النتيجة السابعة : النجاة المحضة موقوفة على متابعة مذهب أهل السنة ..	٧٣٣
النتيجة الثامنة : شرف الانتساب الى السلف الصالح	٧٣٥
النتيجة التاسعة : عدم صحة الإيمان المشروط	٧٣٦
النتيجة العاشرة : تكثير الصواب وتقليل الخطأ	٧٣٦
النتيجة الحادية عشرة : الاستغناء بالكتاب والسنة عما سواهما	٧٣٧
النتيجة الثانية عشرة : طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم	٧٣٧
النتيجة الثالثة عشرة : اجتماع محاسن الفرق الأخرى لأهل السنة خالصة	
من كل كدر	٧٣٨
النتيجة الرابعة عشرة : مخالفة مسالك الأمم الضالة	٧٣٨
النتيجة الخامسة عشرة : ما تلزمه المخالفة من الكفر ، وما يلتزمه المخالف	
من الدعوة إلى بدعته	٧٣٩
النتيجة السادسة عشرة : اليقين والثبات لأهل السنة ، وفي مقابله	
الاضطراب والتنقل لأهل البدع	٧٣٩
النتيجة السابعة عشرة : الشك والحيرة والضياغ مصير المخالف	٧٤٠
النتيجة الثامنة عشرة : أهل السنة أعمق علما وأسد عقلا	٧٤٣

رقم الصفحة

- ٧٤٤ النتيجة التاسعة عشرة : قيام المدينة وازدهار الحضارات
- ٧٤٥ النتيجة العشرون : توحيد الصفوف وجمع الكلمة

* * *

- ٧٤٩ فهرس الآيات القرآنية
- ٧٦٧ فهرس الأحاديث والآثار
- ٧٧٨ فهرس الألفاظ الغريبة
- ٧٧٩ فهرس الآيات الشعرية
- ٧٨٣ فهرس الأعلام المترجم لهم
- ٧٨٦ فهرس الفرق والطوائف
- ٧٨٧ فهرس المراجع والمصادر
- ٨٢٣ فهرس الموضوعات

* * *

